الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي.
جامعة الحاج لخضر – باتنة–

كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية
قسم: أصول الدين فرع: دعوة وإعلام

نيابة العمادة للبحث العلمي
والعلاقات الخارجية

المنهج الدعوي للإمام المغيلي

من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية

فرع: دعوة وإعلام

إعداد الطالب:
حاج أحمد نور الدين

إشراف الدكتور
مولود سعادة

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
د. العربي بن الشيخ	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	رئيسا
د. مولود سعادة	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
أ.د. اسعيد عليوان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر– قسنطينة	عضوا مناقشا
د. أحمد عيساوي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1431-1432هـ/ 2010- 2011 م

إهداء

أهدي هذا العمل إلى الحبيب الغالي محمد أفضل الخلق على الإطلاق عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

إلى روح والدي العزيز الذي علمني الاعتماد على النفس، وإلى والدتي الكريمة التي لولاها لما واصلت الركب، إلى زوجتي الغالية حماها الله، إلى فلذات كبدي فاطمة ومحمد البركة.

إلى أبناء عمي الصغار والكبار، إلى زملاء البحث العلمي.

إلى زملاء دفعة الماجستير لسنة 2008 محمد الفاتح وياسين وعبد السميع ومصطفى وهشام.

إلى كل طلبة العلم والباحثين والأساتذة

شكر وعرفان

من لم يشكر الناس لم يشكر الله وأول من أشكر المولى عز وجل المستحق لعظيم الشكر والإنعام أن وفقني إلى إنجاز هذا المشروع، إلى جميع مشائخي وأساتذتي الفضلاء الذين لم يبخلوا علي بعلمهم ونصحهم وتوجيهاتهم طيلة المراحل الدراسية فجزاهم الله عني خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

أقدم شكري الجزيل إلى عميد كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة باتنة، وكل الأساتذة والإداريين وعمال المكتبة خصوصا وإلى سكان وأرض باتنة الذين احتضنوني بقلوبهم فشكراً وألف شكر.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور مولود سعادة الذي أشرف على هذا البحث وحرص على جديته بالمتابعة والنصيحة والاهتمام، وكان له الفضل في تشجعي على خوض هذا الموضوع، فله مني جزيل الشكر والتقدير والاحترام.

كما أتقدم بشكري لأساتذتي الفضلاء وعلى رأسهم الدكتور احمد عيساوي والأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الذين شجعوني وكانوا لي نعم المعلمين والناصحين.

وأتقدم بشكري للدكتور الصديق حاج أحمد الذي كان ظلاً لي منذ بودار هذا البحث إلى منتهاه، فكان نعم الأخ والصديق والأستاذ، وجميله لا ينسى.

وأشكر الباحث مبروك مقدم على نصحه وتوضيحيه لبعض الأمور الخاصة بالمخطوطات وعلى الفيديو المصور النادر، والدكتور أحمد جعفري أبا الصافي الذي لم يبخل علي بالمراجع والفهوم والنظرة الوسطية.

كما أشكر كل من احتضن هذا البحث من قريب أو بعيد وأذكر منهم على الخصوص الحاج حميدة سلامي بكشيدة باتنة، وكلغلغ محمد مدير المدرسة الابتدائية رقم3 ببرج باجي مختار، وابن عمي حاج أحمد عبد القادر بن الحاج لحسن، وزميلي وصديقي الجوزي عبد الرحمن بأولاد سعيد.

بارك الله في الجميع وجزاهم الله عني كل خير ولهم مني عظيم الشكر والامتنان.

نور الدين حاج أحمد

كان القرنان الثامن والتاسع الهجريين، الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، حلقة وصل بين فترتين تاريخيتين هامتين من تاريخ الإسلام والمسلمين، فترة الحضارة الإسلامية الزاهرة التي انقضت باجتياح المغول للعراق، وسقوط الخلافة العباسية ببغداد، وسقوط غرناطة، آخر معاقل الإسلام بالأندلس، وبين فترة الحكم العثماني لمعظم بلاد العالم الإسلامي، ورغم التطورات الخطيرة التي مست الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشعوب العالم الإسلامي من جراء التغييرات الكبيرة التي شهدتها خريطته السياسية والجغرافية، إلا أن ذلك لم يمنع من صيرورة الحياة الثقافية والعلمية، ففي بلاد المغرب الإسلامي مثلاً ظهرت حركة علمية وثقافية واسعة، يشهد على ذلك كثرة العلماء والفقهاء، وانتشار العديد من مراكز العلم في مختلف أقطار البلاد، وقد ظهر بتلمسان حاضرة الزيانيين بالمغرب الأوسط آنذاك، مجموعة من الأسر التي اشتهرت بتوارث العلم، والريادة في الإفتاء والقضاء، ونخبة من العلماء الأجلاء الذين نبغوا في شتى الفنون والمعارف، انتعشت من خلالهم الحياة الثقافية والحضارية للبلاد، وكان لبعضهم مشاركةً فعالةً حتى في الحياة السياسية. وكان من بين هذه الأسر أسرة "المغيلي"، والتي ينحدر منها القاضي والفقيه العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني.

تتناول هاته الدراسة حياة الإمام المغيلي وظروف عصره، ودوره الفعال والإيجابي في منطقة توات والسودان الغربي من خلال إبراز المنهج الدعوي الذي اتبعه الإمام بهاته المناطق، باتصاله بالشعوب والحكام، محاولاً توضيح وإبراز مكانته الدعوية وعطاءه الحضاري الفياض. ومن هنا فإن الدراسة تختص بشخصية المغيلي من خلال الرسائل التي تحمل في مضمونها الدعوة إلى الله، ودوره في خدمة الإسلام، والمحافظة على أهدافه العليا. فقد أرسى المغيلي دعائم الحركة الدعوية بتوات والسودان الغربي، وأصبح فكره ودعوته منهاجاً للدعاة من بعده يستلهمون منها الثوابت والمعالم التي تمسك بها.

لقد كان المغيلي واحداً من علماء تلمسان القلائل، الذين جمعوا بين العلم والعمل وما يتعلق به من تحصيل وتدريس وقضاء وقتيا، وبين ممارسة السياسة، ومحاولة الإصلاح بالرجوع إلى تعاليم الدين من منابعه الأصلية. ورغم الاختلاف بين المؤرخين والباحثين، حول تفاصيل عديدة من حياته، كتاريخ ميلاده وتنقلاته ورحالاته والخلاف الواقع في ذلك،

وحصر شيوخه وتلامذته، إلا أنهم أجمعوا على أنه كان عالماً تقياً فقيهاً في العديد من العلوم وفنون المعرفة، ورحالةً نبيهاً، عاش فترة صباه بتلمسان، وفترة دراسته وشبابه بين بجاية والجزائر، وسنوات طوال من عمره بين قصور توات المترامية في الصحراء، وبين ممالك السودان الغربي والتكرور، محاولاً تجسيد أفكاره، ومبادئه، وأعماله الإصلاحية، فحياة الرجل كانت حافلة بالنشاط والعطاء والكفاح.

يقوم هذا البحث أساساً على دراسة المنهج الدعوي عند المغيلي من خلال رسائله الدعوية، إنطلاقاً من أرائه وأفكاره السياسية والاجتماعية والدينية، والتي حوتها بعض آثاره المخطوطة والمطبوعة، مع إبراز دوره الكبير في عملية الدعوة والإصلاح بإقليم توات، وممالك السودان الغربي مع نهاية القرن التاسع الهجري(15م)، بنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإصلاح المعتقدات الفاسدة، وتعليم اللغة العربية، ونشر الفقه المالكي، والطريقة القادرية في التصوف، ومحاولة المشاركة في تغيير بعض الأوضاع التي عرفتها تلك المناطق، حيث حظي بمكانة خاصة لدى بعض السلاطين والأمراء في المناطق التي زارها.

والإشكالية الرئيسية التي عالجتها هذه الدراسة هي: ما هي الملامح العامة التي شكلت الإطار الدعوي في حياة الإمام المغيلي؟ وما هي أهم المسائل والمناهج والأفكار التي عالجتها رسائله الدعوية التي هي موضوع البحث؟ وما هي أهم الأعمال التي قام بها في مساره الإصلاحي بتوات، والسودان الغربي؟ وما هي أهم الآثار التي تركتها هذه الإصلاحات سواء على المستوى القريب والبعيد؟.

وتندرج تحت هذه الإشكالية العديد من التساؤلات منها: ما مدى نجاح الإمام المغيلي في مهمته الدعوية في توات والسودان الغربي وانعكاسها على الحياة السياسية والاجتماعية؟ وهل وفق الإمام في طرد اليهود من توات؟ وهل كان محقاً في فتواه اتجاه اليهود كأهل الذمة؟ وهل نجح في حركته الإصلاحية في السودان الغربي؟ وهل صحح العقائـــد الفاسدة المنتشرة في المنطقة، من الشرك والشعوذة والسحر؟ كما نطرح تساؤلاً مهماً؛ هل للإمام المغيلي منهج ومبادئ وثوابت اعتمد عليها في دعوته الإصلاحية؟ وهل هاته المناهج والمبادئ مستوحاة من الأصول الدعوية للكتاب والسنة؟ أم هي مستخلصة من أفكار المغيلي الخاصة؟

كان اهتمامي بالموضوع منذ فترة الدراسة بالمعهد الإسلامي لتكوين الأيـــمة، حيث كان موضوع التخرج يتعلق بالإمام المغيلي، وكان موضوع العمل هو: الجانب العلمي في حياة الإمام المغيلي، وتعلق البحث بصفة خاصة بحياة الإمام المغيلي التاريخية ومحاولة جمع معارف كثيرة على الإمام المغيلي، دون تحليل أو مقارنة أو استنباط. وبعد انتهاء العمل ومراجعته وظهور بعض المراجع التي كُتبت عن الشخصية، وجدت نقصاً كبيراً، وأخطاءً فادحةً في بعض المعلومات التاريخية، ومنذ ذلك الوقت وأنا أتحين الفرصة لتصحيح الأخطاء، وإعطاء هذا العلم حقه في البحث، فجاءت فرصةُ الماجستير لإكمال هذا النقص.

إن البحث في شخصية الإمام المغيلي واسع، ومتعدد بحيث لا نستطيع الإلمام بجميع جوانب حياته الدعوية، لكثرة تنقلاته، ومؤلفاته، ولهذا كان لزاماً علينا تحديدُ مجال البحث، وحوصلته في موضوع خاص. وبالقراءة المتأنية والدقيقة لمؤلفات المغيلي، وبمساعدة أهل الاختصاص، قصّرنا البحث على رسائل الإمام المغيلي، واهتممنا أكثر بالرسائل الدعوية، التي لها علاقة بالإصلاح السياسي، والاجتماعي. وركزنا البحث على الجوانب الناقصة من حياة الإمام المغيلي، والتي لم تبحث من قبل من طرف الباحثين، والتي غض الطرف عنها عمداً أو نقصاً للمعلومة وندرتها.

قبل أن يخرج البحث إلى الصورة التي هو عليها الآن، واجهته العديد من المشاكل والصعوبات كان من أهمها: صعوبة قراءة الخط الذي ظهرت عليه النسخ المصورة الرديئة لأغلب المخطوطات المتوفرة، مما يصعب أخذ المعلومة منها ابتداءً، دون مساعدة الآثار المطبوعة في إكمال النقص الحاصل. كما منعنا من الحصول على المخطوطات الأصلية للإمام المغيلي، الموجودة في خزانة الإمام المغيلي بزاوية الشيخ المغيلي، ولم نستطع معرفة العناوين المتوفرة. وهذا نظراً للخوف النفسي لأصحاب هاته الخزائن، والتعنت والقوقعة التي يعيشها الأباء الكبار، فهم يعتبرون هاته المخطوطات ميراث شخصي، لا يجوز حتى النظر إليه، ولا معرفة حتى ما يوجد فيها.

ومن الصعوبات إيضاً: الوقوف على الآثار المتبقية للإمام المغيلي، وخاصة تلك الموجودة في أعماق الصحراء في السودان الغربي، وذلك لصعوبة المنطقة وبعد المسافة ووعورة الطريق، الذي يتطلب إمكانياتٍ عالية وغالية للوصول إليها، إضافة إلى تفرغ الباحث للبحث، وعدم

اهتمامه بأشياء أخرى تشغل فكره وحياته. عدم وصولنا إلى المنطقة التي عاش فيها الإمام المغيلي في السودان الغربي يعطي للبحث نظرة باهتة عن المنطقة بالإكتفاء بالسماع وما نقلته الكتب فقط، وليس النظر كالسماع. مما يبقي البحث ذا ثغرة واضحة لقلة المعلومات وتشابهها في الكتب المتوفرة.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التاريخي الإستقرائي، إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي. وكان اعتمادنا أساساً في هذا البحث على ما جاء في الرسائل الدعوية للإمام المغيلي التي هي عبارة عن مخطوطات لم تحقق بعد، وبعضها حقق ونشر من طرف الباحثين. وذلك بقراءة أهم الأفكار التي احتوتها هاته الرسائل، واستخراج أهم المبادئ والأفكار والثوابت التي أسس عليها الإمام المغيلي دعوته في توات، والسودان الغربي. ومن خلالها حاولنا التعرف على المناهج الدعوية للإمام المغيلي رجوعاً إلى رسالتين هامتين، كان لهما تأثيراً كبيراً على السياسية الداخلية والخارخية للمجتمع التواتي والسوداني، وكانا مجالاً للبحث من طرف الكثير من الباحثين، نظراً لأهميتهما وتأثيرهما.

اعتمدت هاته الدراسة على العديد من المصادر والمراجع المتنوعة أهمها: الرسائل المخطوطة التي ألفها الإمام المغيلي، فهي المحور الأساسي للبحث، واعتمدت أساساً على مخطوطة "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" المتعلقة بأهل الذمة عموماً وباليهود خصوصاً، وهي الرسالة التي بعثها للعلماء بفاس وتونس وتلمسان، لمساندة رأيه في يهود توات. إضافة إلى مخطوطة "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، وهي الرسالة التي كتبها لأمير السنغاي الأسقيا الحاج محمد. ومخطوطة "رسالة في الإمارة"، التي كتبها لأمير كانو محمد بن يعقوب. ومخطوطة "فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام" لنفس الأمير. ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها في البحث كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التمبكتي، الذي يعتبر من المصادر الأولى لترجمة الإمام المغيلي، بحيث لا يستطيع الباحث الاستغناء عنه، لأنه يعطينا إشارات مهمة في حياة الإمام المغيلي وتنقلاته ومؤلفاته. كما يعتبر كتاب "المعيار المعرِب " للونشريسي مصدراً اساسياً للبحث بحيث يعطينا صورة واضحة لردود العلماء المساندة والمعارضة للإمام المغيلي. وبيان الجانب الفقهي للقضية وتحليلها تحليلاً ممتازاً.

ومن المراجع المهمة التي اعتمد عليها البحث هو كتاب: الحركة العلمية والثقافية الإصلاحية في السودان الغربي، لمؤلفه أبو بكر إسماعيل ميقا، الذي يفيدنا في المقارنة بين أفكار الإمام المغيلي في رسائله الدعوية، ويزودنا بالنص الكامل لأهم هاته الرسائل. كما اعتمدنا على كتاب رسالة في اليهود لمحقيقه عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة، وهو المرجع الذي أعطى حرارة للبحث من خلال الأراء والأفكار التي نشرها، حيث يتهجم فيها على الإمام المغيلي ويوصفه بصفات تسيئ للإمام أكثر مما تنصفه. ويأتي الاعتماد على الكتب التي ألفاها الباحث مبروك مقدم، عن حياة الإمام المغيلي بتوات، ودعوته الإصلاحية بالسودان الغربي.

واعتمد البحث أساساً على الرسائل الجامعية التي ألفت في حياة الإمام المغيلي، وكان الاعتماد على ثلاثة رسائل وهي: الإمام المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات للأستاذ: أحمد الحمدي، والتي أعطت للبحث حقائق جديدة وفريدة من نوعها، بحيث يعتمد عليه كل من جاء بعده. ورسالة: الفكر السياسي للإمام المغيلي للطالب: ياسين شبايبي. ورسالة محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته الثقافية في غرب إفريقيا، للطالبة: منيرة بوغرارة. وكان للشريط المصور الذي تحصلنا عنه، بواسطة الباحث مبروك مقدم، أهمية كبيرة في البحث. فقد أطلعنا على بعض الحقائق والأفكار التي لم تكن معروفة في كتب التاريخ، ولا عند الباحثين. كما كانت للرحلة التي قمنا بها إلى عين المكان بمنطقة أولاد سعيد أول معاقل الإمام المغيلي بتوات، والوقوف شخصياً على الأثار التي تركها المغيلي في المنطقة، وتصويرها أعطى قوة حقيقية للوثائق التاريخية، والمعلومات المتوفرة.

قُسم هذا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول جاءت على النحو الأتي: تعرضت في المدخل إلى تحديد مفاهيم الدراسة، حيث حددت خمسة مفاهيم: الدعوة، المنهج، الرسالة، توات، السودان الغربي. أما الفصل الأول فكان ترجمة لحياة الإمام المغيلي، قسمته إلى ثلاثة مباحث، في المبحث الأول، تعرضت لدراسة شخصية من مولده، ونشأته، وتعليمه، وشيوخه، وتلاميذته، ومعاصريه، وكلام أهل الفضل فيه، ومؤلفاته. أما المبحث الثاني فكان بعنوان: الإمام المغيلي بتوات، وجاء فيه تنقل المغيلي إلى توات، وأولاد سعيد، وتمنطيط. ورجوعه إلى توات ووفاته بها. أما المبحث الثالث فكان بعنوان: الإمام المغيلي في السودان الغربي، وجاء فيه أهم الأماكن التي تنقل لها المغيلي في السودان، وأهم الأعمال التي قام بها هناك.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان: دراسة رسائل الإمام المغيلي، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث أساسية، المبحث الأول كان وصفاً لما جاء في هاته الرسائل وقراءتها، أما البحث الثاني فكان: وسائل الدعوة عند الإمام المغيلي، وركزت على أهم الوسائل الدعوية: كالمراسالات، والخطابة، والرحالات، والتأليف والتنظير، والمناظرات. أما البحث الثالث فكان: التأصيل الشرعي لوسائل الدعوة عند الإمام المغيلي، حاولت فيه استخراج أهم الأدلة التي اعتمد عليها المغيلي في رسائلة الدعوية مثل: القرءان الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العلماء، والشعر، والحكم، وأهم المصادر التي اعتمد عليها.

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان: المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ورسالة أسئلة الأسقيا و أجوبة المغيلي. تعرضت فيه إلى هاتين الرسالتين بالتحليل والإستنباط والمقارنة والتدقيق واستخراج المنهج الدعوي.

وقد ختمت هذه الرسالة بخاتمة استخلصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث. فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان. والله المستعان وعليه التكلان.

الفصل التمهيدي

تحديد مفاهيم الدراسة

(الدعوة ؛ المنهج ؛الرسالة ؛توات ؛السودان الغربي)

1) تعريف الدعوة:

الدعوة: لغة: جاء في المعجم العربي الأساسي من مؤسسةَ " لاروس " لسنة 1989 ما يلي: "دعوة مصدرها دعا، نشر الإسلام وشهادة أن لا اله إلا الله ، قام الرسول بتبليغ الدعوة على أحسن ما يكون". وجاء في المعجم حول كلمة دعا ما يلي: "دعا، يدعو، دعوة، داع ، الداعي، مدعو".

1) دعا إلى عقيدته بشرّ بها " دعا إلى الإسلام".

2) دعا الشخص إلى وليمة : استضافه " دعوة صديقي إلى العشاء".

3) دعا الله سأله حاجته " وقال ربكم أدعوني أستجب لكم".

4) دعا لفلان طلب له الخير.

5) دعا على فلان طلب له الشر.

6) دعا فلان بفلان : ناداه وصاح به " دعا المؤذن الناس الى الصلاة".

7) دعا الشخص : استعان به " وادعوا شهداؤكم من دون الله إن كنتم صادقين".

وجاء فيه حول كلمة " داعية " داع جمعه دعاة : من يدعو إلى دين الله أو فكرة[1].

وجاء في كتاب : "الدعوة قواعد وأصول" لمؤلفه جمعة أمين عبد العزيز ما يلي :

من معني الدعوة لغة:

النداء: يقال دعى فلان إذا ناداه ودعوة الرجل إذا صحت به واستدعيته.

الدعاء إلى الشئ بمعنى الحث عليه.

الدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها كانت حقا أو باطلا.

المحاولة القولية أو الفعلية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة .

الابتهال والسؤال . جاء في المصباح المنير :"دعوت الله أدعوه ، وادعوه دعاء أي ابتهل إليه بالسؤال وأرغب فيما عنده من الخير ".[2]

1- المعجم العربي الاساسي بمؤسسة لاروس 1989م- إعداد جماعة من كبار اللغويين العرب- ص452.

2 - جمعة امين عبد العزيز – الدعوة قواعد واصول- دار الصديقية للنشر- ط2 – الجزائر 1989- ص13، 14.

المعنى اللغوي في لسان العرب للفظ الدعوة

جاء في لسان العرب [1] : {دعا} الدعوى معناها الدعاء، والدعاء :الرغبة إلى الله عزّ وجلّ . دعاه، دعاء ، ودعوى .....، والدعوة : مدة من الدعاء ، والدعاء : واحد الأدعية ، وأصله دعاؤ لأنه من دعوت ، إلا أن الواو لما جاءت بعد ألف همزت ...، و في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هرقل : أدعوك بدعاية الإسلام ، أي بدعوته ....، ودعاه إلى الأمير أي ساقه وقوله تعالى: "وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا" معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه.

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدي أو ضلالة واحدهم داع ، ورجل داعية ، إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ...، النبي صلى الله عليه وسلم داع إلى الله تعالى.

فكلمة دعوة لغويا تفيد: المحاولات القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل كما إنها تطلق على المحاولات المذكورة اسم "الدعوة". وتطلق على الدين الإسلامي نفسهّ.

كما تأتي الدعوة لغة بالمعاني التالية :

1 ـ السؤال والنداء: يقال دعا الرجل دعوا ودعاه: سأله وناداه .

قال تعالى: قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ ﴿٦٨﴾ البقرة 68.

2ـ الدعاء إلى الشيء : الحث على قصده.

3ـ الدعاء : الرغبة إلى الله تعالى : ويطلق على المؤذن .

4ـ الدعوة : شهادة أن لا إله إلّا الله قال تعالى: لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴿١٤﴾ الرعد 14.

5ـ الدعاء إلى الله : توحيده والثناء عليه قال تعالى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴿٦٠﴾ غافر 60.

6ـ الدعاء : العبادة قال تعالى﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا ﴿١٢٥﴾ الصافات 125.

7ـ الدعاء : الإستغاثة. قال تعالى: وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ البقرة 23

8ـ والدعاة جمع داعية: وهم قوما يدعون إلى بيعة هدي أو ضلالة[2].

1- ابن منظور -لسان العرب - دار صادر -بيروت -ط1، ج1 ص357 -361-مادة [دعاً].ص17

2 - عبد الحليم محمد الرمحى - مفاهيم في فقه الدعوة وأساليبها – دار الحامد للنشر والتوزيع – المدينة- ط1،2002- ص18.

يطلق لفظ الدعوة على الأذان: فعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والدرجة الرفيعة وابعثه اللهم المقام محمود الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) [1].

تطلق الدعوة على الطلب إلى الطعام ، فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم :(إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن شاء طعم وإن شاء ترك) [2].

الأصل في مفهوم الدعوة انه يعتمد على البيان والكلام ، كما ذكر ذلك صاحب المقاييس إذ قال : الدعوة أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك.

ولفظ الدعوة يستعمل في الخير والشر: قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ ﴿٢٢١﴾ البقرة 221.

وقال صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر رضي الله عنه (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار)[3].

خلاصة المعنى اللغوى : ممّا تقدم يتبين لنا أن الدعوة تأتى بمعان عدة منها:

سؤال الله واللجوء إليه، وتوحيده والثناء عليه وعبادته ،والإستعانة به.

وتعنى شهادة أن لا إله إلا الله: أي كلمة التوحيد ،والرسول داع الله فهو يدعو إلى توحيده ، وما يقرب إليه والتزام شرعه[4].

المعنى الإصطلاحى: يأتي من تتبع لفظ الدعوة في القرءان الكريم.

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴿١٢٥﴾ النحل125، وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴿٣٣﴾ فصلت33، قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴿١٠٨﴾ يوسف 108. وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ ﴿١٠٤﴾ آل عمران104، وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ﴿٤٨﴾ النور48إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ﴿٥١﴾ النور51 .

1 – أخرجه البخارى في كتاب الاذان :باب الدعاء عن الاذان ج2 ص94،رقم 614.

2– أخرجه مسلم في كتاب النكاح ،باب الامر باجابة الداعى الى دعوة 45/2،ر143.

3 –أخرجه البخارى في كتاب الجهاد :باب مسح الغبار عن الراس في سبيل الله 2/ 279.

4 – عبد الحليم محمد الرمحي – المرجع السابق– ص 18.

كما تتجلى الدعوة في معنى التبليغ والنذارة : قال تعالى: هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴿٥٢﴾ إبراهيم 52، ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴿٦٧﴾ المائدة67، وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴿١٩﴾ الأنعام19 [1].

من خلال هاته المعاني والدلالات نستطيع تحديد المعنى الإصطلاحى للدعوة ونراه لا يبعد كثيرا عن المعنى اللغوي ،فالمعنى الإصطلاحى هو فرع من المعنى اللغوي .

فالدعوة إلى التوحيد تعنى البلاغ والإيضاح والبيان قال تعالى: يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿١٥﴾ المائدة15 وقال تعالى : وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴿٤﴾ إبراهيم04.

والدعوة إلى التوحيد وإعراض الناس عنه تقتضى البلاغ والنذير والتخويف وأن عليهم الإذعان والتحاكم إلى ما أنزل الله قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴿٢٣﴾ آل عمران23 [2].

الدعوة إصطلاحا: جاء في كتاب: " الدعوة قواعد وأصول " ما يلي :

الدعوة إلى الله التي نعنيها والتي يجب على المسلمين القيام بها هي التي تهدف إلى ما يلي:

1_ تأسيس مجتمع أسلامي : كدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام التي كانت تبدأ في المجتمع الجاهلي من دعوة الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى وتبليغهم وحيه ، وتحذيرهم من الإشراك به.

2_ دعوة الإصلاح في المجتمعات الإسلامية أصيبت بشئ من الانحراف وظهر فيها بعض المنكرات وضيع فيها بعض الواجبات.

3_ استمرار الدعوة في المجتمعات القائمة بالحق: للحفاظ على سلامتها بالموعظة الدائمة والتدابير والتزكية والتعليم ، فالدعوة ثلاثة مستويات وثلاث مهام حسب هذا التعريف ، فهي دعوة مرتبطة بالإسلام إقناعا وإصطلاحا ومحافظة على المنجزات.[3]

1 - عبد الحليم محمد الرمحي- المرجع السابق- ص 19.

2 - المرجع نفسه- ص20.

3 - بوعلام جوهري- البعد الدعوي في أعمال مولود قاسم نايت بلقاسم- ماجستر الدعوة والإعلام- جامعة الأمير - ص 18.

وجاء في كتاب: "الدعوة الإسلامية والمعادلة الاجتماعية" لمؤلفه الأستاذ الطيب برغوث ما يلي: موضوع الدعوة إلى الله هو : واقع الإنسان فردا أو جماعة فالداعي يسعى إلى إسلامه " هذا واقع الإنسان بصورة عميقة وشاملة تخرج العباد من عبادة العبادة إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام.

فالدعوة حسب الأستاذ الطيب برغوث: " هي تحقيق مقتضيات الشهادة بالقيام بفريضة الدعوة إلى الله التي تنقل حقيقة الإسلام كما هي شاملة ، متوازنة ، متكاملة. معجزة تأخذ بألباب المدعوين وتتملك نفوسهم ، توجّههم إلى المساهمة في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية.

أقرب تعريف للأستاذ الطيب برغوث " الدعوة هي ذلك الجهد المنهجي المنظم : الهادف إلى تعريف الناس الحقيقة الإسلام . والعمل على إحداث تتغيير جدري شامل متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الإستخلاف إبتغاء مرضات الله ، والفوز بما أدخره لعباده الصالحين في عالم الأخرة[1].

المعنى الاصطلاحي عند الباحثين :

1) نداء الحق للخلق ليوحد المعبود ويعبدوا الواحد حنفاء لله غير مشركين متبعين غير مبتدعين)[2].

2) حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والأجل [3].

3) إنها برنامج كامل يضم في أضوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها البشر ليبصروا الغاية من محياهم وليكتشفوا الأمر راشدين [4].

4) تبليغ الناس جميعا دعوة الإسلام وهدايتهم إليه قولاً وعملاً، في كل زمان ومكان بأساليب ووسائل مختلفة تتناسب مع المدعوين على مختلف أصنافهم وعصورهم [5].

5) إنها مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الناس الإسلام وتعليمهم وتطبيقه [6].

---

1 - بوعلام جوهرى – البعد الدعوى في اعمال مولود قاسم نايت بلقاسم– المرجع السابق- ص(18- 21).

2 - عبد الرب عبد النبي ابو السعود- الخطيط للدعوة الاسلامية واهميته .

3 - محمد الخضر - الدعوة الى الاصلاح / على محفوظ – هداية المرشدين .

4 - محمد الغزالى – مع الله- دراسات في الدعوة والدعاة- دار الهدى- الجزائر- ص

5- محمد امين حسين – خصائص الدوة الاسلامية ص21.

6 - محمد ابو الفتح البيانونى – المدخل الى علم الدعوة- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط3- 1995- ص22.

كما تأتي الدعوة بمعنى النشر والبلاغ: وهي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله وتصديقهم فيما أخبروا به وطاعته فيما أمروا به.

والدعوة إلى الله هي إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقعا تحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه.

إن الدعوة إلى الله: هدم وبناء. هدم جاهلية بكل صورها وأشكالها، سواء كانت جاهلية أفكار ، أم جاهلية أخلاق ، أم جاهلية نظم وشرائع ، ومن ثم بناء المجتمع المسلم على قواعد الإسلام في شكله ومحتواه ، في مظهره وجوهره، في نظام حكمه وأسلوب عيشه، في تطلعه العقدي للكون وللإنسان والحياة[1].

إختلفت تعريفات الدعوة وتعددت لدى الكتاب والباحثين تبعا لاختلافاتهم في تحديد معنى الدعوة من جهة ،وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى، فنجد أن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام وعلى عملية نشره بين الناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد[2].

وقد أصبحت الدعوة من هذا المفهوم مصطلحا يعنى الرسالة المحمدية ،وأصبح الرسول الكريم يسمى "داعياً إلى الله " أي صاحب الدعوة إلى توحيد الله، بـــهذا اعتبر دين الله دين الرسالة أو دين الدعوة الذي يدعو الإنسانية لاعتناق المبادئ التي ينادي بها القرءان الكريم وسنة نبيه الكريم.

فهناك من نظر إلى الدعوة على إنها تبليغ وبيان لما جاء به الإسلام فحسب ،وهناك من نظر إليها على إنها علم وتعليم، وجردها عن الجانب التطبيقي والتنفيذي ....إلى غير ذلك[3].

1- فتحي يكن – الآسلام (فكرة ، حركة ، انقلاب) ص22.

2 – د.احمد علوش:الدعوة الاسلامية – دار الكتاب المصري-ط1، 1987- ص10.

3- البيانوني محمد ابو الفتح – المدخل الى علم الدعوة – مؤسسة الرسالة – بيروت ط3- 1995م- ص14.

المنهج

المعنى اللغوي:

جاء في لسان العرب: "نهج" طريق نهج ، بين ، واضح، وهو النهج : قال أبو كبير فأجرته بأقل تحسب أثره نهجا أبان بدى فريغ مخرف ،والجمة نهجات ، ونهج ونهوج ،وسبيل منهج ،كنهج ، ومنهج الطريق وضحه. بوزن المذهب ، والمنهاج الطريق الواضح.

والمنهاج كمنهج : وفي التزيل ((ۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴿٤٨﴾ المائدة 48)).

وأنهج الطريق وضح وصار نهجا واضحا بيّن واستبان : قال يزيد بن الحداق العبدي : ولقد أضاء لك الطريق وانهجت سبل المكارم والهدي تعدى أي تعين وتقوى.

والمنهاج الطريق الواضح ، ونهجت الطريق أي ابنته وأوضحته ، يقال : إعمل على ما نهجته لك، ونهجت الطريق سلكته ، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه ، والنهج الطريق المستقيم[1].

مفهوم المنهج : المنهج أو المنهاج في قواميس اللغة العربية يعني الطريق الواضح ، ونهج الطريق : أبانه وأوضحه، وصار نهجا واضحا بينا ، جاء في القران الكريم قوله تعالى:لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴿٤٨﴾ المائدة 48. وهو السنة أو السبيل التي تشمل على الإنسان السير نحو غايته، دون زيغ أو انحراف ، والمنهاج : السبيل إلى المقاصد الصحيحة.

وبناء على التحقيق اللغوي لكلمة المنهج يمكن تعريفه بأنه :

مجموعة الطرق الواضحة والخطط المرسومة التي يسلكها الدعاة في تبليغهم رسالة الله تعالى إلى الناس[2].

ومن جملة الاشتقاقات السابقة : يتضح لنا أن المنهج أو المنهجية كلمتان يدور معناهما حول أساس وهو الخطة المرسومة، أو مسلك معين يتوصل به إلى هدف معين أو يكشف به عن حقيقة، فمثلا قد يستعمل المنهج كآلية لتحصيل المعرفة والتحقق منها، والإحاطة بكيفية عملها، وهذا ما يطلق

1 – ابن منظور – لسان العرب – ج6 – ص 4554-4555.

2 – ميلود رحالى – القصور المنهجى في العمل الدعوى في نظر الشيخ محمد الغزالى – ماجستير الدعوة والاعلام جامعة الحاج لخضر2007، 2008م- ص14.

عليه بالمنهج العلمي الذي هدفه البحث عن الحقيقة ، كما قد يستعمل المنهج بمفهوم واسع يرتبط ارتباطا وثيقا بالفعل التغييري، باعتباره يخضع لخطة معينة، ولذلك فان إيراد التعريف الأتي للمنهج يتجاوز إطار البحث العلمي[1].

المنهج في البحث العلمي: هو " الطريق التي سلكها الباحث للإجابة عن الأسئلة التي تثيرها المشكلة أو موضوع البحث " أو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل الى النتيجة .[2]

ويعرفه الدكتور محمد عبد الحميد بأنه:(الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد والإجراءات أو خطوات منتظمة توجه سير العمل، وتحدد عملياته حتى يصل الباحث إلى نتيجة[3].

المعنى الاصطلاحي :

هو الخطة أو التخطيط لإعداد شئ ما أساسه التفكير ، سواء كان هذا الشئ ماديا او معنويا ، لذا نستطيع القول : إنه علم التفكير أو طريق كسب المعرفة ، والشريعة الإسلامية أساسها منهج رباني واحد ، عمدته القران الكريم وسنة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – قولا وفعلا وتقريرا، إلى جانب القياس والإجماع ،واجتهاد علماء الأمة.

ولابد أن نوضح منذ البداية أن المنهج الإسلامي واحد مهما اختلفت أراء علماء الأمة لأن كلمة التوحيد وحدّت خطاهم ، وتشريع القرءان حددّ طريقته ، لذا فإن ما يلاحظ في القرءان الكريم من مفردات لغوية أخرى مثل السبيل ، الصراط ، ولكنها تدل على معنى واحد وهو الطريق . وقد جاء في القرءان الكريم:قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴿١٠٨﴾ يوسف 108.

فالمنهج إذا في الاصطلاح كما تدل عليه مصادر التشريع هو: الطريق الذلول الموصل الى رضى الله[4].

1 – سهيلة عظيمى – منهجية التجديد عند ابي الاعلى المودودى – ماجستير الدعوة والأعلام – جامعة الامير قسنطينة- 2001م .ص2.

2 – عبد اللطيف محمد العيد – مناهج البحث العلمى – بيروت- ط2- ص40.

3 – محمد عبدالحميد – تحليل المحتوى في بحوث الاعلام – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر – ط1 – ص54.

4 – الرازى محمد بن ابي بكر عبد القادر – مختار الصحاح –ت محمود خاطر – مكتبة لبنان بيروت ط1 -1999م ص688.

المنهج هو جملة الخطوات المرسومة أو العمليات المنظمة التي يتطلبها الواقع الإنساني وفق أبعاد فكرية معينة[1].

أهمية المنهج :

إن هذا الوجود الطبيعي محكوم بسنن مطردة ويسير وفق قوانين ثابتة في تناسق وانتظام دقيق قال تعالى : وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝ الفرقان 02.

ومعنى قدّره : جعله على مقدار واحد معين لا مجرد مصادفة، أي خلقه مقدرا، أي محكماً مضبوطاً صالحاً لما خلق لأجله لا تفاوت فيه ولا خلل ، وهذا يقتضي أنه بإرادة وعلم على كيفية أرادها وعينها[2].

وعليه فإن المنهج يؤدي دوراً خطيراً في توجيه حركة الإنسان الفكرية والحضارية عموماً، فإذا غاب المنهج أو أُهـــمل فليس ثمة طريق يوصل الى الأهداف التي تضمن للإنسانية أرقى مستويات التوازن والتفاعل الحي، المتناغم مع الوجود ، وهو ما تشهد عليه وقائع التاريخ الماضي والحاضر[3].

وعليه فإن المنهج هو الروح الضابطة التي ينبغي أن تتواجد في جسد الحركة الإسلامية التي تروح الإرتقاء بالواقع الإنساني ، الذي لن يتأتى إلا بعد تشخيص الأمراض ، وهذا ما ذهب اليه مالك بن نبي [4].

المنهج عند العلماء المعاصرين :

اصطلح العلماء والدعاة في العصر الأخير على أن يطلقوا "منهاج الدعوة" على الأساليب والوسائل التي يراد بها دعوة الناس عموما ، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم ، ونقلهم من الظلمات إلى النور ، ومن المعصية إلى الطاعة ، وتبصيرهم بأمور دينهم وأدابه ، وتبيان أحكامه وشريعته ، كما تطلق على الخطط التي يضعونها ويحددون معالمها وأهدافها ، وعلى طرق تصنيف المدعوين ومعرفة نفسياتـــهم وأحوالهم وطرق معاملتهم[5].

---

1 - سهيلة عظيمى – المرجع السابق- ص2

2 - ابن عاشور محمد الطاهر – تفسير التحرير والتنوير ج18 تونس 1984م- ص319.

3 - سهيلة عظيمى – المرجع السابق ص3.

4- المرجع نفسه- ص4.

5- بن نبى شعيب – قواعد الدعوة الى الله من خلال القصص القرآنى ماجستير الدعوة – جامعة الامير – 1995 _1996م.

أنواع المناهج الدعوية:

تنقسم المناهج الدعوية إلى أربع حيثيات وهى:

1-**من حيث واضعها أو مصدرها** : تنقسم عن هاته الحيثية إلى قسمين:

(ا)- المناهج الربانية: وهى المناهج التي وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرءان أو السنة فهى مناهج معصومة من الخطأ واصل للمناهج الدعوية كلها قال تعالى " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ".

(ب)- المناهج البشرية: وهى المناهج التي وضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدعوة تطبيقا للمناهج الربانية. وهى تحتمل الخطأ والصواب .

2-من حيث موضوعها: تتنوع تبعا لتنوع الموضوعات التي تتناولها ،وذلك لشمول الدعوة الإسلامية لجميع جوانب الحياة الإنسانية .

فهناك مناهج عقدية، وعبادية، واجتماعية، واقتصادية ،وعسكرية ،وسياسية ،وصحّية .

3- من حيث طبيعتها :فهناك مناهج دعوية خاصة وأخرى عامة ،وهناك مناهج فردية وأخرى جماعية ،وهناك مناهج نظرية وأخرى تطبيقية ،...وهكذا.

فلكل منهج من هذه المناهج طبيعته الخاصة به ،وميدانه الذي وضع له، فالمنهج الخاص لا يصلح تعميمه والمنهج العام لا يصلح تخصيصه ، وهكذا.

4-من حيث ركائزها: تتنوع المناهج الدعوية بجميع أنواعها السابقة من حيث ركائزها ، وذلك تبعا لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث: القلب، والعقل، والحس . فما كان من المناهج مرتكزاً على القلب سمّى ب (المنهج العاطفي)، فما كان العقل مرتكزه سمى بـــ(المنهج العقلي)،وما كان الحس مرتكزه سمّى ب(المنهج الحسي أو التجريبي).[1]

1 -محمد أبو الفتح البيانوتى –المدخل إلى علم الدعوة : دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل –مؤسسة الرسالة بيروت –ط3- ص196 ،197.

الرسالة

جاء في لسان العرب لابن منظور: الرسالة والإرسال: التوجيه وقد أرسل إليه، والرسالة تراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض.[1]

الرسالة لغة: ما يرسل أو الصحيفة التي يكتب فيها الكلام المرسل.[2]ما حمله الرسول.[3]

الرسالة ما يرسل وكتاب يشتمل على قليل من المسائل تكون في موضوع واحد[4].

قال ابن منظور: الترسل من الرسل في الأمور والمنطق كالتمهل والتثبت، وجمع الرسالة والرسائل.

قال ابن جنية: الترسل في الكلام التوتر والتفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديداً والترسل في الركوب أن يبسط رجليه على الدابة حتى يرخي ثيابه عليها.

إصطلاحاً: مصطلح تقرن دلالته في الاستعمال بمعنيين رئيسيين هما:

1) **التراسل أو المراسلة أو المكاتبة:** وهي جميعاً تدل على التخاطب بلسان القلم والترسل بهذا المعنى قديم في آداب الأمم. وقد عني العرب عناية خاصة منذ أقدم العصور حتى اليوم، فنوعوا أغراضه وحددوا مناهجه وميزوا أنواعه واستخلصوا قواعده وأصوله، وأبرز ما ذكروه من خواص المكاتبة: السداجة التي تكمن في إلتزام الفطرة ومجانبة التكلف والابتعاد عن المغالاة في زخرفة القول وبهرجة الكلام، والوضوح والإيجاز الذي يقوم على قاعدة "خير الكلام ما قلّ ودلّ".والملائمة وهي الانطلاق دائماً من مبدأ مطابقة مقتضى الحال من حيث مراعاة قدر الكاتب والمكتوب إليه. والطلاوة: التي تعتمد جودة العبارة وتكسو الكلام رونقاً وإشراقاً.

2) اعتماد النثر المرسل إرسالاً غير مقيد بالأسجاع وسائر ضروب البديع والزخارف اللفظية وما شابهه مما يجعل الترسل بعيداً عن الطبع فارقاً في التصنيع والتكالف مغالياً في التأنق والتظرف إلى حد التعقيد والاشكراه.[5]

1 - إبن منظور- المصدر السابق- ج6- ص378.

2 - مسعود جيران- الرائد- ط6- دار العلم للملايين- بيروت لبنان- م1- ص729.

3 - أبو بكر بن الحسن بن دريد- جمهرة اللغة- ج2- دار العلم للملايين- ط1- 1987.

4 - عبد الحليم منتصر، عطية العرابي-المعجم الوسيط- ج1- ط6- ص344.

5 - ديشال عاصي- اميل بديع يعقوب- المعجم المفصل في اللغة والأدب- ج1- دار العلم للملايين- بيروت- ط1- 1987- ص382.

والرسالة انبعاث أمر من المرسل إلى المرسل إليه وأصلها المجلة أي الصحيفة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد.[1]

تعريفات الجرجاني: وتطلق على خمسة معاني:

1) ما يكتبه انسان إلى آخر.
2) بحث موجز في موضوع معين.
3) بحث منهجي يقدمه طلاب الدراسات العليا في الجامعات لنيل الشهادات العليا
4) مهة الرسول أو الفئات أو الأديب.
5) في عملية التواصل اللساني، مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل أن ينقلها إلى المرسل إليه ويكتب الأول الرسالة ويفهمها الآخر بناء على نظام لغوي مشترك بينهما.[2]

الرسالة في اللغة: تحميل جملة من الكلام إلى المقصود بالدلالة وهو حد صحيح لما أن كل رسالة فيما بين الخلق هي الوساطة بين المرسل والمرسل إليه في إيصال الأخبار. ثم اطلقت الرسالة على العبارات المؤلفة والمعاني المدونة لما فيها من إيصال كلام المؤلف ومراده إلى المؤلف له وأصلها المجلة أي الصحيفة المشتملة على كتب المسائل من فن واحد.[3]

1 - أبو الغيض مرتضى الواسطي الزبيدي- تاج العروس- م14- ط2، 1994- دار الفكر- ص284.

2 - اميل يعقوب- قاموس المحيطات اللغوية والأدبية- ط1 فبراير1987- دار العلم للملايين- بيروت- ص215.

3 - أبو البقاء بن موسى الحسنين الكفوي- الكليات- ط2،1993- مؤسسة الرسالة بيروت- ص476.

السودان الغربي

أطلق العرب إسم السودان على تلك الأقوام المتمركزة جنوب الصحراء الكبرى وسميت رقعتهم ببلاد السودان، ويرجع أصل هذه التسمية إلى لون البشرة (السواد) التي يمتاز بها سكانها.
كما يطلق عليها بعض المؤرخين العرب بلاد التكرور[1] حتى أصبحت كلمة التكرور مرادفة لكلمة سوداني وأصبحت تطلق على السودان الغربي.
وتنقسم السودان إلى ثلاثة مناطق:
السودان الشرقي: وتشمل مناطق النيل وروافده، أي المنطقة الواقعة جنوب بلاد النوبة.
السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.
السودان الغربي: ويشمل حوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط.
الموقع الجغرافي: يمتد من سواحل الأطلس غربا إلى الحدود الشرقية لنيجيريا شرقا، ومن أطراف الصحراء الكبرى شمالا إلى خط عرض 16 درجة شمال خط الاستواء جنوبا[2]
ويمثل السودان الغربي: موطن الجماعات الزنجية النقية، أو الزنوج الممتدة لما بين نهر السنغال عند خط عرض 16 درجة شمال خط الاستواء الى الحدود الشرقية لنيجيريا، سدس المساحة الكلية للقارة.
التضاريس: تمتاز تضاريس هذه المنطقة بمظهر الأودية والسهول الواسعة والمرتفعات الجبلية، ممتدة من غرب نيجريا شرقا إلى سواحل الأطلس غربا. وتنقسم هذه التضاريس من الشمال إلى الجنوب كما يلي:
المنطقة الشمالية: تمتد أطرافها إلى الحوافي الجنوبية للصحراء الكبرى شمالا، وإلى فرع النيجر الأوسط جنوبا، وتتخلله الهضاب التالية: هضبة التيبسي شرقا، وهضبة الأيفوفاس والأهير في

1 - حسين حاجو –حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر –ماجستر –معهد التاريخ جامعة الجزائر -1994- ص11.
2 - المرجع نفسه- ص12.

الوسط، وهضاب موريتانيا غربا، ولذلك تعتبر منطقة صحراوية في أغلب مساحتها، وتتخللها بعض الأودية والواحات الصغيرة المتناثرة[1].

المنطقة الوسطى: تمتد من غربي بحيرة التشاد شرقا إلى منطقة فوتاتورو غربا، تحدها موريتانيا من الشمال فوتا جالون من الجنوب، كارث وينورو (أجزاء من مالي حاليا) من الشرق، والمحيط الأطلسي من الغرب، فهي إذن تمتد ما بين دمبكان شرقا وداغنا غربا، مكونة بذلك الضفة اليسرى للفرع الأوسط من نهر السينغال، وتكون أجزاؤها الشمالية شريطا زراعيا من أخصب الأراضي في السودان الغربي، ويبلغ متوسط عرضه من الشمال إلى الجنوب حوالي 12كم، ويعد من أكثف المناطق سكانا في السودان الغربي، ويشتغل 70 % من سكانه بالزراعة وتربية المواشي والصيد[2].

أما المنطقة الوسطى من فوتاتورو، فهي عبارة عن سهول تتخللها بعض المرتفعات وتقل فيها نسبة الأمطار كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب، حيث تصل كمية الأمطار في أقصى شرق الإقليم إلى 800 ملم سنويا، بينما لا يتجاوز 330 ملم سنويا في (أقصى غرب الإقليم) ويعد هذا الأقليم زراعيا بالدرجة الأولى ورعويا بالدرجة الثانية.

ويتكون الجزء الجنوبي من فوتا تورو، من الأستبس والمراعي، وفي فترة الجفاف ينتقل الرعاة بمواشيهم في اتجاه النهر لممارسة نشاطهم.

المنطقة الجنوبية: وهي المشرفة على خليج غينيا المطلة على الأطلس، وتضم كتل جبلية عالية، منها كتلة فولتا جالون التي يبلغ ارتفاعها حوالي 1752 م والهضاب الليبرية، وهضاب نيجيريا الشمالية، ثم الأطراف الغربية من سلسلة جبال الأدموا في الكاميرون. وينحصر بين مرتفعات نيجيريا شرقا وهضبة فوتا جالون غربا سهل منخفض كون حوض نهر الفولتا ويوجد في أقصى جنوب هذا الإقليم سهل ساحلي ضيق تتخلله بعض البحيرات الممتدة من جزيرة شيربرو(sherbro) في سيراليون غربا، إلى دلتا نهر النيجر شرقا[3].

الأنهار: لعبت الأنهار دورا أساسيا في تاريخ المنطقة ويشمل كل من نهر السينغال والنيجر وغامبيا إلى جانب وجود أنهار أخرى ثانوية كنهر الكاسدان وانهار الجنوب، ونهر الفولتا، ونهر داهومي.

1 - حسين حاجو- المرجع السابق- ص13.

2 - المرجع نفسه- ص 14.

3 - المرجع نفسه- ص14.

نهر السينغال: طوله حوالي 1700 كم، وينبع من هضبة فوتا جالون ويتجه شمالا ثم غربا نحو المحيط الأطلسي، ليصب عند مدينة سان لويس، ويمتاز بانحدار مجراه تدريجيا في المنطقة الساحلية، ولا يتجاوز عمقه ثلاثة أمتار ليقطع مسافة 350كم من المصب.

نهر النيجر: طوله حوالي 4200كم وهو ثالث أنهار إفريقيا بعد النيل والكونغو ويمتد في السودان الغربي على شكل قوس يتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، وينبع من هضبة فوتا جالون ويسير النهر ليصل إلى تمبكتو ليصب في المحيط الأطلسي[1].

وتمثل ثنية نهر النيجر جزء هام من السودان الغربي، كما يعتبر هذا النهر شريان حيوي بالنسبة للعمران والمواصلات في هذه الرقعة من إفريقيا.

نهر غامبيا: من أهم طرق المواصلات في المنطقة، صالح للملاحة لمسافة470كم تقع القرى بعيدة عن مجراه بسبب كثرة المستنقعات والغابات على ضفافه، وهو المدخل الرئيسي للسودان الغربي، نظرا لاختراقه منطقة السافانا.

المناخ: يندرج مناخ السودان الغربي ضمن مناخ الإقليم الشبه استوائي، الذي يمتاز بارتفاع عام في الحرارة وبزيادة معتبرة في نسبة الرطوبة، نتيجة لوقعه ما بين خط الاستواء جنوبا ومدار السرطان شمالا. وتزداد الحرارة ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الداخل والشمال خاصة في فصل الصيف.

وبذلك يمكن تمييز مناخ السودان الغربي فيما يلي:

1 المناخ الصحراوي: الذي يسود المناطق الشمالية المتاخمة للصحراء الكبرى ممتدا إلى صحاري كل من النيجر ومالي والسينغال، ويمتاز هذا الإقليم بشدة حرارته، وقلة المياه وندرة الأمطار[2].

2 الإقليم الساحلي: يمتاز هذا الإقليم بفصلين مناخيين، أحدهما جاف والآخر ممطر وخاصة في السواحل الموريتانية والسينغالية نظرا لتأثيرات المحيط الأطلسي.

3 المناخ الشبه الاستوائي: ويمتاز بارتفاع متوسط حرارته إلى 28° وله فصلان ممطران، وبينهما فصل جاف، والسمة البارزة فيه، هي: غزارة أمطاره ويمتد هذا المناخ من غينيا إلى نيجريا.

4 مناخ المرتفعات: ويسود في المناطق الجبلية المرتفعة ويميل نسبيا إلى البرودة وغزارة الامطار[3].

1 -حسين حاجو- المرجع السابق- ص16.

2 -المرجع نفسه ص21.

3- المرجع نفسه- ص22.

_ **السكان(العنصر البشري)** ينقسم في هاته المنطقة إلى سلالتين هما: السلالة البيضاء، والسلالة السوداء.

1 **السلالة البيضاء:** تتمركز في شمال إفريقيا، وفي جنوب غرب الصحراء الكبرى ويتمركز جزء منهم في الحافات الساحلية الممتدة على الضفة اليمنى لنهر السنغال والضفة اليمنى من نهر النيجر، وهم خليط من البربر والعرب، وكان لها نفوذ في المنطقة.

السلالة الزنجية: تتمركز في منطقة الغابات وفي الأراضي الزراعية المكشوفة الواقعة بين الصحراء ونهر النيجر والسينغال والبلاد المطلة على خليج عدن[1].

التعريف بمنطقة توات:

تعتبر منطقة توات من المناطق الهامة من الناحية التجارية، فقد كانت همزة وصل بين الشمال والجنوب، فهي طريق القوافل التجارية ونقطة عبور الحجاج إلى بيت الله الحرام.

هاته الأهمية جعلت الرواة يختلفون في تسميتها نظرا لكثرة الناس الذين يلجؤن إليها من كل الإتجاهات.

أصل التسمية: هناك اختلاف كبير حول تسمية توات وأهم هذه الأراء والروايات، نلخصها في عشر روايات وهي كالأتي:

الرواية الأولى: وهي للرصاع حيث جعلها اسما لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء، حيث يقول: (والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم طوائف الطوارق والمتونة والتوات)[2].

1 – حسين حاجو–المرجع السابق– ص26.

2 – احمد الحمدى– محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره–رسالة ماجستر في التاريخ والحضارة الإسلامية –كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية وهران– عام 1999–2000 ص05.

الرواية الثانية: وصاحبها عبد الرحمان السعدي: حيث يرى إن سلطان مالي (كنان موسى) عندما رحل إلى الحج مر بتوات فأصابه وجع في رجله بتلك المنطقة يسمى توات، فسمي الموضع باسم تلك العلة[1].

الرواية الثالثة: منقولة عن محمد بن مبارك: حيث يرى أن أصلها أعجمي فقد أطلقها قبائل من لمتونة عندما لجأت إلى الأقاليم في منتصف القرن السادس الهجرى[2].

الرواية الرابعة: وهي لأحد المؤرخين المحليين، وهو محمد بن عومر بن محمد بن أحمد بن لحبيب بن محمد المبروك البداوي: صاحب كتاب (نقل الرواة عمن أبدع قصور توات) ، وذكر في مخطوطه: أن توات سميت بهذا الاسم عندما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، وعندما وصل إلى توات سألهم هل تواتي نفي المجرمين من عصاة المغرب، فأجابوه بأنها تواتي، فأنطلق اللسان بذلك[3].

الرواية الخامسة: ذكرها محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنطيطي، في كتابه (درة الأقلام في ذكر أخبار المغرب بعد الإسلام) ويرى أن توات سميت بهذا الاسم الذي جاء من الأتوات التي كان يفرضها السلطان، فعرف هذا القطر بأهل الأتوات ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصارت تدعى توات[4].

الرواية السادسة: وهي لمولاي أحمد الإدريسي الطاهري، ذكرها في كتابه (نسيم النفحات) وعلل سبب التسمية: بأنها تواتي للعبادة[5].

الرواية السابعة: هي لأحد الفرنسيين ويدعى(مارتن) Martin-AGP ويرى أن كلمة توات أصلها كلمة "أو" مفردة تتواجد في عدة لغات وتتواجد عند سكان الزناتة، ومع مرور الزمن تحرفت هاته الكلمة على لسان الزناتة فأضافوا لها حرف "ت" في المقدمة والمؤخرة، فأصبحت "توات" واستشهد باسم توات الحنة[6].

---

1 – عبد الرحمان السعدى ،تاريخ السودان– طبعة هوداس– باريس1964– ص7.

2 – فرج محمود فرج–اقليم توات خلال القرين18 .19م– الجزائر 1977–ص2.

3 – الصديق حاج احمد– التاريخ الثقافى لأقليم توات من ق11 إلى ق14هـ– أدرار– مديرية الثقافة– ط1– سنة 2003م– ص27

4 – المرجع نفسه– ص27.

5 – مولاى احمد الادريسي– نسيم النفحات ذكر جوانب من اخبار توات .مخطوط . خزانة الشارى .كوسان– ص3.

6 – الصديق حاج احمد– المرجع السابق ص28.

الرواية الثامنة: وهي لأحد الغربيين ماندوفيل (Mandeville) حيث يرى إن اسم توات أطلقه الطوارق والعرب على مجموعة من الواحات المنتشرة بالمنخفض الضيق لواد الساورة وواد مسعود[1].

الرواية التاسعة: لأحد الغربيين كذلك ويدعى روكليس (Reclus) ويرى أن توات هي اسم بربري معناه الواحة[2].

الرواية العاشرة: صاحبها الأستاذ بوساحة حيث يرى أن كلمة توات تطلق على الأماكن المنخفضة، في اللهجات البربرية، والمقصود بكلمة توات في جسم الإنسان هو الجزء الداخلي من الجسم الذي يقع تحت القفص الصدري[3].

نقد الروايات: عند تتبع الروايات ونقدها فإننا نستبعد أن تكون التسمية عربية كونها تواتي العبادة أو جاءت من الأتوات، ونرجح أن يكون اسم توات بربري، لأن القصور التواتية شاهدة على ذلك، فأسماؤها أغلبها بربرية مثل: تمنطيط – أغرملال- أدمر.....وغيرها، فإذا كان الفرع بربريا فالأصل أولى ، ولهذا نعتمد هاته الرواية ونضعها في المرتبة الاولى.

كما أن الرطانة الموجودة في اللهجة التواتية دليل واضح على بربريتها[4].

توات كما ذكرها القدامى:

مّر ذكر توات في الكثير من المصادر التاريخية والجغرافية التي تعتني بالمسالك والممالك ولعل أهم هذه المصادر ما يلي:

1- أن أقدم تلميح عثرنا عليه لمح إلى المنطقة يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، عن طريق المؤرخ اليوناني الشهير هيردوت"Herodote" حيث قال:(وخلف منطقة ليبيا صحارى بلا ماء ولا حيوانات ولا أمطار ولا أخشاب وليس فيها أثر للرطوبة، وأسفلها لا يوجد إلا الرمال والجفاف والصحراء القاحلة)[5].

1 – الصديق حاج أحمد- المرجع السابق – ص28.

2 – المرجع نفسه – ص28.

3 – بوساحة- أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر- دار هومة- الجزائر 2002- ص79.

4 – الصديق حاج احمد- المرجع السابق- ص29.

5 – عليق ريحة نايت –قصر ملوكة –دراسة تاريخية واثرية –ماجستير قسم الاثار كلية العلوم الانسانية – بجامعة الجزائر 2002- ص8.

2- أشار الجغرافي الكبير ابن حوقل في كتابه: "صورة الأرض" إلى إشارات تنم عن المنطقة فقال "وبين بلاد السودان وأرض المغرب، سكان من البربر ومفاوز وبراري منقطعة، قليلة المياه، متعذرة المراعي، لا تسلك إلا في الشتاء"[1].

3-كما وصفها الأصطخري المعروف بالكرخي في كتابه "المسالك والممالك" فقال (وأرض المغرب ما كان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سوادا حتى ينتهوا إلى السودان، فيكون الناس فيها أشد الأمم سوادا)[2].

4- ذكرها اليعقوبي في كتابه البلدان قوله (ومن سجلماسة لمن سلك متوجها القبلة يريد أرض السودان، يسير في مفازة وصحراء مقدار خمسين رحلة ، ثم يلقاه قوم يقال لهم انيبة من صنهاجة في صحراء ليس لها قرار يتلثمون بعمائمهم ولا يلبسون قمصا إنما يتوشّحون بثيابهم ومعاشهم من الإبل ليس لهم زرع ولا طعام)[3].

5- كما وصف الحسن الوزان (الأسد الأفريقي) في كتابه "وصف إفريقيا" قوله (تسابيت إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد مأتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، ومئة ميل من الاطلس، يضم أربعة قصور، وقرى عديدة، سكانه فقراء، لا تنبت أرضهم غير التمر وقليل من الشعير، بشرتهم سمراء، إلا أن نساءهم جميلات سمروات).

كما وصف تيكورارين قال عنها(تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو مئة وعشرون ميلا شرق تسابيت، حيث يوجد بها ما يقارب خمسين(50) قصر وأكثر من مئة قرية بين حدائق النخيل وسكانها أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب بسلعهم لبلاد السودان.... ويأكلون لحم الجمال ويستعملون في طعامهم الشحم المالح الذي يأتي به تجار فاس لتلمسان)[4] .

6- ذكر العياشي في رحلته فقال: (دخلنا أول عمالة توات، وهي قرى تسابيت زرنا في أول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الرأس....وقمنا بها ستة أيام،

1 - الصديق حاج احمد- المرجع السابق ص30.

2 - المرجع نفسه - ص30.

3 - المرجع نفسه - ص30.

4 - المرجع نفسه- ص30.

وبعنا فيها خيلنا وما ضعف من إبلنا واشترينا ما نحتاج إليه من التمر، وبها أنواع كثيرة، ووجدنا التمر فيها رخيصا)[1].

7- ذكرها ابن خلدون فقال: (وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين وورکلان)[2].

8- وصفها عبد العزيز القشتالي في كتابه "مناهل الصفا" فقال: (قطر توات أوسع وطنا وأفسح مجالا وأقرب إلى السودان اتصالا وجوارا، وقطر تيكورارين هو أعظم اشتهارا واعرق نقيبا وأشد شوكة واخشن جانبا)3.

9- ذكرها الرحالة ابن بطوطة فقال: (وقصدت السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة- إذ لا يوجد الطعام بين تكدة وتوات... ودخلنا بودة وهي من أكبر قصور توات وأرضها رمالا وسبخة وثمرها كثير ليس بطيب، لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وإن أكثر أكل أهلها التمر والجراد)[4].

10_ ذكرها عمدة المؤرخين التواتيين محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي في كتابه "درة الأقلام" فقال: (توات هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر يوما جنوبا، وغربا عشرين يوما لأول السودان، من غدامس عشرون يوما، ....وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مئتا قصر أوسطهما بودة وتيمي وتمنطيط)[5].

11_ وصفها مولاي أحمد الأدريسي الطاهري في كتابه "نسيم النفحات" فقال:(توات ارض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح لا يحيط بها جبال ولا أشجار شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها والماء يستخرجونه من الأرض بالفقاقير بكيفية عجيبة ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب)[6].

1 - أبو سالم العياشي- الرحلة العياشية (مائدةالموائد)-ج1 ت: محمد حجي -1977م المغرب ص20.

2- ابن خلدون –ج1-ص93.

3 - عبدالغزيز القشتالي –مناهل الصفا في ماثر موالين الشرفاء –ت –د: عبدالكريم كريم –مطبوعات وزارة الاوقات –المعرب 1972ص73.

4 - ابن بطوطة –تحفة الانظار في غرائب الامصار –دار بيروت -1980م ص699 -700.

5 - الصديق حاج احمد- المرجع السابق ص32.

6 - المرجع نفسه- ص32.

تحديد منطقة توات :

هناك اختلاف كبير في تحديد المنطقة فهناك من يجعل حدود منطقة توات من منطقة تبلكوزة إلى فقارة الزوا وهو بذلك يدخل في مفهوم منطقة توات: منطقة تيديكلت وتيكورارين حيث يعرف بالتواتي كل شخص خرج من تيكورارين أو توات أو تيديكلت.

أما العياشي فيحدد توات من الناحية الشمالية ، فهو يجعل أول عماله توات تسابيت، وأول قرية منها عريان الرأس ، وبذلك يفصل بين تيكورارين وتوات ، ويفصل بين منطقة تيديكلت ، حيث جعل رقان آخر مجموعة لحدود توات من ناحية الجنوب .

وهكذا يظهر بأن توات لشهرتها ، غلب اسمها على غيرها من المناطق المجاورة لها ، والدارس للأقاليم الثلاثة : تيكورارين ، توات ، تيديكلت ، يدرك أن لكل إقليم من هاته الأقاليم ميزات خاصة به ، لكن اسم توات أريد به العموم فيدخل في مفهومه تيديكلت ، وتيكورارين[1].

الموقع الجغرافي :يقع إقليم توات بالجنوب الغربي للجزائر : يحده من الشمال العرق الغربي الكبير – وواد مقيدن ، ويحده من الجنوب صحراء تتزروفت وواد قاريت وجبال مويدرا ، كما يحده من الشرق العرق الشرقي الكبير المحاذي لواد الماية ، ويحده من الغرب وواد الساورة وروافده[2].

الموقع الفلكي : يقع بين خطي طول 1 درجة شرقا ، و3درجات غربا ، وبين دائرتي عرض 20 درجة إلى 30 درجة شمال[3].

التضاريس: يتكون السطح الأرضي للأقليم من الحمادة والرق والعرق والسبخة وبعض السلاسل الجبلية المنخفضة وهضبة تدمايت.

أما الحمادة : فهي هضبة صخرية تغطيها صخور جيرية.

الرق : سهل مغطى بالحصى الجافة تنتشر منها الرمال لتكون ما يسمى بالعرق .العرق: يطلق على الكثبان الرملية المرتفعة التي جلبتها الرياح. ويوجد العرق الشرقي الكبير والعرق الغربي الكبير.

السبخة : هي بحيرة تتبخر مياهها في الصيف لتستحيل إلى ضاية من الملح تسمى الشط أو السبخة او زاغز[4].

1 – احمد الحمدى– المرجع السابق– ص7.

2 – فرج محمود فرج – المرجع السابق– ص3.

3 – الصديق حاج احمد– المرجع السابق– ص35.

4 – المرجع نفسه– ص36.

المناخ: يسود الإقليم مناخ صحراوي جاف شديد البرودة شتاء ، شديد الحرارة صيفا ، وتصل درجة الحرارة القصوى إلى 50 درجة ، والمتوسطة 40 درجة .

أما الأمطار فهي شبه معدومة ، اللهم إلا بعض الحالات الإستثنائية ، لبناءاتهم الطينية .

الأودية : يعبر الإقليم العديد من الأودية وهي :

واد مقيدن ، وينتهي بمنطقة قورارة ، ثم واد مسعود ، ثم واد قاريت الذي ينتهي بمنطقة تيديكلت[1].

الرياح :تعصف بالإقليم رياح جنوبية تسمى الشهيلي (أريفي) أما الرياح التي تنجر عنها الزوابع الرملية فهي رياح جنوبية شرقية ، ويسميها الفرنسيون (sirocco)[2].

وأشجار النخيل وغيرها.

التركيبة البشرية:

بتنوع العنصر البشري في توات حيث سكنها كل من البربر والشرفاء، والمرابطين، والعرب ، الحراثين، والعبيد، واليهود.

البربر :هم أول من قطن توات وعمّروا بها ، خاصة قبائل زناتة كوتطفير ، وبني عبد الواد وبني يالدس ، ومصاب ، وبني مرين، وذلك قبل دخول الإسلام لبلاد المغرب لسنوات طويلة ، وكل الأثار والنقوش الموجودة على الصخور تدل على أن البربر أقدم من سكن بهذه المنطقة[3].

العرب : كان أول من وصل إلى توات هم عرب المعقل الذين كانت تنتهي بهم رحلة الرعي في فصل الشتاء بتوات.

الشرفاء :وأصلهم من المغرب جآءو من تفيلالت ، في عام 1121هـ/1709م ورد شريف من تافيلالت هو : مولاى امبارك بن مولاى المأمون إلى توات مع 30 فارسا من بني أمحمد فاستضافتهم القبائل التواتية بأربعين مثقالا للضيافة في كل يوم .كما قدم من الشرفاء إلى توات سيدي سليمان بن على،فدخلها سنة585هـ[4].

1 - فرج محمود فرج – المرجع السابق- ص2,

2- الصديق حاج احمد- المرجع السابق- ص37.

3 - احمد الحمدى – المرجع السابق- ص22.

4- الصديق حاج احمد – المرجع السابق- ص43.

المرابطين: يطلق هذا الإسم في السوس والصحراء الشرقية والغربية على سلالة المرابطين أي سكان الرباطات الذين رابطوا للجهاد ثم العبادة والإعتكاف وكانت هاته الرباطات مقامة في الثغور والحدود[1].

عرب الخلط : هم الذين وضعهم أحمد المنصور الذهبي، في المترلة بين المترلتين لما حرّرهم من النصف في بذل الخراج، وإبعادهم عن سلك الجندية2

الحراثين: هم أولاد الأحرار من الجوارى، واصل تسميتهم من الحر الثاني كان آباؤهم أحرار أولون، وذلك لأن الشخص الذي ينجب من جارية لا يعترف بابنه ،وإذا اعترف به فهل يساوى بينه وبين إخوته الذين ولدوا من أم حرة فإنه إما يضطر إلى عدم الاعتراف بابنه وينسبه لأحد مماليكه، وهو يعلم الحقيقة. أو يعترف به ويسميه كما جرت العادة حر ثاني وهو بطبيعة الحال أكبر شأناَ من العبيد ،لأنه يقوم بعملية الإشراف عليهم أثناء قيامهم بزراعة الأرض.

كما يرجع البعض تسميتهم إلى حرطان، وهو نوع من التمر يوجد في المنطقة وهذا الاحتمال ضعيف لأن اللفظ بربرى. أحرطان ويعني الهجين بمعنى مختلط وهو الذي يحرث الأرض، لأنهم اشتهروا بزراعة النخيل في الواحات، ورعى الغنم، وحفر الأبار،وسقي المياه[2].

العبيد :العبد في الإسلام هو ذلك الأسير الذي سقط في يد المسلمين خلال النخاسة، وتاريخ وجودهم بتوات مرتبط بحركة قوافل الأقاليم الشمالية وبلاد السودان، وقد استعملوا في الوظائف ذات مجهود عضلي كبير.كشق الأبار وبناء القصبات وحفر الفقاقير وأعمال البناء والغراسة[3].

وينتمى عبيد توات إلى القبائل الفلان والبمبارا والمنيقو والبوبو والهوسا والهاييى والموسى والسرفو والفوتا.

اليهود: هم أقل شريحة من حيث العدد بتوات ،ووجودهم بالمنطقة مرتبط أساسا بالتجارة ، فهم تجار يتقنون هذه الحرفة بشكل كبير ،وتمكنوا من السيطرة على سوق تمنطيط ،فكان بهذا السوق وحده كما قال محمد الطيب :(ثلاثمائة وستون صائغا يهوديا)، ويرجع بداية ظهور اليهود بتوات إلى القرن 8هـ/143م وكان استقرارهم بتمنطيط وتيطاف واغرملال وتازولت ،وتاخفيف،

1 - الصديق حاج احمد – المرجع نفسه - ص43.

2 - احمد الحمدى- المرجع السابق- ص27.

3 - المرجع نفسه- ص25.

وتسفاوت ، وكان لهم حي خاص بهم في تمنطيط وادّعت طائفة منهم الإسلام ولقبوا بالمسلمانيين أو المهاجرية.

ولكون التواتي كثير الثقة بكل من أعلن إسلامه ،فقد تعامل السكان مع اليهود يشكل يوحى أن أهل توات وثقوا في إسلامهم ،حيث قرّبوهم من عيالهم وأهلهم ،وبذلك قويت شوكتهم وأصبحوا من أكبر ممولي توات وسيطروا بشكل كلّى على الحرف والتجارة[1].

1 - احمد الحمدى- المرجع السابق - ص28 -29.

الفصل الأول

ترجمة الإمام المغيلي

كانت حياة الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي كلها نفع وخير للإسلام والمسلمين ،ونصرة للمساكين وإرساء وتثبيتا لأسس قواعد الدين، وعيناً ساهرة لحماية الإسلام ومبادئه، والذود عنه وإعلاء كلمته، وشمساً مشرقة على ظلام أهل الخرافات، والبدع والسحر والنفاق والكذب على الدين، شهد له بهذا الفضل أهل الصلاح والمصلحين والعلماء الربانيين المخلصين.[1]

ويعتبر الإمام المغيلي من أبرز علماء المغرب الأوسط في النصف الثاني من القرن 8هـ، 15م وهو من الفقهاء الأذكياء ذوي الرؤية الثقافية والحكمة الصائبة وواحد من العلماء المشهورين، الذين كانت لهم مشاركة في تفعيل الحياة السياسية والثقافية بتوات والسودان الغربي، وله شهرة في الدعوة إلى الله ورسوله، وكرهه لأعدائه، فكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2]

1)نسبه: هو محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد ين السري بن قيس ابن قيس ابن غالب ابن أبي بكر ابن أبي بكر مكررة ابن عبد الله ابن إدريس ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثني السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

هناك شجرة أخرى بخزانة الشيخ عبد القادر سيدي سالم المغيلي ونصها :(الحمد لله وحده ، وبعد فاعلم أيها الواقف على عمود نسب القطب الرباني والهيكل الصمداني ، العلامة شيخ المشايخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الشريف الحساني ،فلا شك ولا ريب أنه شريف وأبناؤه شرفاء، وهذا النسب زاد فيه الجد الثامن للشيخ وهو أسنادور فهو الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم بن عمر بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن أسنادور بن علي بن محمد بن احمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن غالب إلى أخر السلسلة[4].

1- محمد سالم -تأثير الأزمات التاريخية والإقليمية في حياة الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي-مخطوط -ص14.

2- ابن عساكر-دوحة الناشر لمحاسن من كان في المغرب من مشايخ القرن العاشر-ت محمد حجي -دار الغرب بيروت-ص130.

3- محمد سالم -المرجع السابق-ص.21

4- مقدم مبروك-الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية- خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة- دارا لغرب للنشر والتوزيع- ج1-ط2002.ص49.

2) مولده: ولد بمغيلة ، فلقب بالمغيلي نسبة لها، للمكان وليس للقبيلة. ولد عام 790هـ-1388م وهذا تاريخ بعيد عن هذه الصحة وعلى فرض صحته يكون المغيلي قاتل اليهود في المرة الثانية عام 902هـ-1496م وعمره قد تجاوز المائة، ومعلوم أنه قام بقيادة جيشه بنفسه. ويرجح أن تكون سنة مولده هي عام 820هـ-1417م، وهو رأى القاضي المكناسي، فعندما ذكر وفاة احمد بن محمد المغراوي المصمودي في تلك السنة قال "هو محمد بن عبد الكريم المغيلي الرجل الصالح في حدودها[1] ". وهذا التاريخ ذكره عبد الحميد بكري في كتابه "النبذة".

كما رجح الأستاذ مبروك مقدم في كتابه انه ولد عام (831هـ،1427م) وقال لتطابقه مع الأحداث وخاصة مراسلاته وتنقلاته لأصقاع العالم وخاصة افريقية الغربية[2] .

نشأته: نشأ الإمام المغيلي في أحضان عائلته المشهورة بالعلم، والتقوى، والتصوف، حيث ظهر بها العديد من العلماء، ونبغ منها أعلام على سبيل المثال :الشيخ موسى بن يحي بن عيسى المغيلي المازوني .كما ترعرع ونشأ بين أحضان شيخ مغيلة (محمد بن احمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب فحفظ عليه القرءان الكريم ،كما أخذ عنه مبادئ الفقه وأمهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي كالرسالة ،ومختصر خليل، وابن الحاجب وابن يونس[3].

عكف بعدها على دراسة العلوم العربية الإسلامية اللغوية ،والدينية، والعقلية والنقلية، الشيء الذي دفعه إلى مغادرة تلمسان باتجاه مدينة بجاية، فقد كانت آنذاك مركزاً ثقافيا يعج به الطلاب الوافدين إليها من كل جهة فاخذ الحديث (موطأ الإمام مالك) عن الإمام (سعيد المقري)وعلوم العربية من الإمام (يحي بن يدير).

فهاته الرحلة إلى مدينة بجاية تعتبر أول رحلة قام بها المغيلي في طلب العلم وذلك للإستزادة من العلم، والتمكن منه، ولاكتساب معارف جديدة والتتلمذ على يد المشائخ مباشرة.

1- أحمد الحمدي- محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره-رسالة ماجستر في التاريخ والحضارة الإسلامية - كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- عام 1999-2000 ص34.

2- مقدم مبروك- الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي- المرجع السابق- ص49.

3- المرجع نفسه- ص 51.

لكنه لم يبق كثيرا بمدينة بجاية فخرج منها قاصدا جزائر بني مزغنة مدركاً من بعض زملائه الطلاب شهرة مدرسة الإمام عبد الرحمان الثعالبي[1]، فنـــزل عنده لطلب العلم والمعرفة، ومكث عنده مدة من الزمن، يأخذ عنه علم الحديث، والتفسير والقرءان وعلم التصوف، ولما رأى الإمام الثعالبي في شخص المغيلي الذكاء والفقه والشجاعة، قربه إليه وزوّجه ابنته زينب، وهذا يدل على أن للإمام المغيلي مكانة وحظوة عند شيخه عبد الرحمان الثعالبي. لما رأى فيه من توقد الذاكرة و قدرته على القيام بالدور المنوط له.

ولذلك أعطاه الطريقة الصوفية القادرية وأمره بنشرها في ألاماكن التي يذهب إليها، وأوصاه عند رحيله بدعوة منه له ،"بان لا يعاشر أهل سفاهة، وأن لا يستوطن مكان إهانة".[2]وعندما توسعت مداركه ومعارفه، وتزود بما يكفيه، تصدى هو الآخر للتدريس كشيخ وأستاذ، فتتلمذ على يديه عدد لا بأس به من العلماء والشيوخ أمثال :الفقيه أيد احمد ،والشيخ العاقب الانصمنى ،ومحمد بن عبد الجبار الفيجيجي وغيرهم .

وخلال انشغاله بالتدريس في تلمسان، لاحظ التعفن السياسي الذي يسود عرش بني زيان والتفسخ والانحلال اللذان يعمان مجتمع المدينة الزيانية، وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد ومدنها الساحلية، ولاحظ كذلك خروج الأمراء عن الجادة الإسلامية، وانغماسهم في الملذات، واستسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود والأسبان، فأنف العيش هناك وتاقت نفسه للهجرة أين يكون في مقدوره القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3] .

علماء عصره: يعتبر العصر الذي عاش فيه الإمام المغيلي من العصور النيرة واشتهر فيها العديد من العلماء الذين عاصروه، حيث يعدون من فطاحلة العلماء في هذا العصر، ومن بينهم:

1) محمد بن مرزوق الحفيد:(ت 842هـــ-1438م) كان فقيهاً وأصولياً ومفسراً، كما كان له باعٌ في علم الحديث والنحو وللغة والبيان والعروض[4] .

---

1 - ياسين شبايبي- الفكر السياسي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي -رسالة ماجستر في التاريخ والحضارة الإسلامية- بإشراف :الدكتورة جهيدة بوجمعة (نوقشت بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- بجامعة وهران -الموسم الجامعي 2006-2007).ص13.

2 _ مقدم مبروك -الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية- مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر والتوزيع- ط1- 2002ص42.

3 يحي بوعزيز -تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية ،دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر -د ط -ص 70.

4 -مقدم مبروك-الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات ومماليك إفريقيا الغربية -ص68.

2) احمد بن زاغو (ت845هـ،1441م) اهتم بالتفسير والحديث و الأصول والفرائض والمنطق والتصوف.

3) محمد بن احمد العقباني: (ت871هـ،1467م) هو صاحب كتاب "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر "[1].

4) محمد بن يوسف السنوسي : (ت865هـ، 1490م) .

أهتم بالتفسير والفقه والفرائض والنحو، المنطق، الطب، ونبغ في علم الكلام وصنف فيه .

5) محمد بن عبد الله التنسي : ت(889هـ، 1494م) أديب ومؤرخ ومحدث وحافظ عرف بالحافظ التنسي له كتاب "نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان ".

6) أحمد الونشريسي : ت(914هـ، 1508م) حامل لواء المذهب المالكي في بلاد المغرب العربي اشتهر بكتابه:"المعيار المعرب في ذكر فتاوى إفريقيا والمغرب".

7) الإمام الحافظ السيوطي: وقد كانت بينهما مناظرة حول استعمال علم المنطق وعدمه.

8) الشيخ عبد الله العصنوني: عاصر المغيلي تلميذاً، حيث درس معه على يد الشيخ يحي بن يدير، وبعد وفاته وقع بينهما خلاف حول قضية يهود توات، في مسألة (هدم أو عدم هدم كنائس اليهود بتوات).

9) الشيخ عبد الرحمن بن عمر : وقع بينهما الخلاف حول من له الحق في لاستفادة مما يدفعه اليهود لرؤساء القبائل، وهل يعد هذا من قبيل دفع الجزية الشرعية، أم إنها تدفع لبيت المال، وهو الذي دارت بينه وبين الإمام المغيلي حرب في تمنطيط بقرية أولاد إسماعيل، حيث هزم المغيلي وأنصاره في هاته الحرب، ورجع إلى إمارته بوعلي فبقي هناك إلى أن وافته المنية عام 909هـ، 1502م[2].

1 - مبروك مقدم- المغيلي وأثره الإصلاحي بممالك إفريقيا-المرجع السابق- ص68

2 - المرجع نفسه- ص69.

شيوخـــه:

تتلمذ المغيلي على يد العديد من العلماء ومن أبرزهم:

1) **الشيخ محمد بن احمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب:** ت(875هـــ، 1470م) :

هو عالم فقيه على مذهب الإمام مالك ، تخرج على يديه العديد من علماء تلمسان وفقهائها أبرزهم احمد الونشريسي والإمام السنوسي، وللجلاب العديد من الفتاوى في المعيار والمازونية، قال فيه الونشريسي: "الشيخ الصالح شيخنا المحصل الحافظ أبو عبد الله " وهي صفات يقل اجتماعها في شخص إلا إذا كان ورعاً تقياً".

يعد الإمام المغيلي من تلاميذه النجباء حيث ختم عليه المدونة مرتين، وهكذا يظهر أن الجلاب كان من المتضلعين في الفقه بشهادة الونشريسي والسنوسي وغيرهما من العلماء الذين أخذوا عنه[1] .

2) **الشيخ العلامة أبو العباس الوغليسي** : يعتبر من أوائل مشائخ الإمام المغيلي، ومن الذين تربى عليهم في صغره ذكره الشيخ محمد التسليمي في كتابه (البشرى شرح على المرفأة الكبرى) فقال (وتربى على يد ابي العباس الوغليسي)2

3) **الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي** :ت(875هـــ، 1470م).

ولد بناحية وادي يسر، رحل في طلب العلم إلى بجاية وتفقه على يد الفقيه الزاهد عبد الرحمن الوغليسي ،ثم سافر منها إلى تونس فأخذ عن أصحاب إبن عرفة كالشيخ أبي المهدي عيسى الغبريني ، وبمصر لقي أفاضل العلماء فسمع بها اختصار الإحياء، وتحصل بها على إجازة في علم الحديث. فلما عاد إلى بلاده وُلِيّ خُطة القضاء وهو كارهٌ لها لذلك خلع نفسه فيما بعد، وكان كثير التحري في النقل، أعرض عن الدنيا وزخرفها فاشتهر بالتصوف والزهد قال عنه الشيخ زروق شيخنا الفقيه الصالح الذي عليه أغلب أهل العلم، له العديد من الكتب في فن التصوف منها "الأنوار المضيئة بين الشريعة والحقيقة، وكتاب الدر الفائق في الأذكار والدعوات"، وهو من كبار المفسرين في زمانه حيث يشهد له كتابه الجواهر الحسان في تفسير القرآن[3] .

1 – الحمدي –المرجع السابق–ص.36

2– محمد سالم –المرجع السابق– ص25.

3 – الحمدي –المرجع السابق – ص37.

4)**الشيخ يحي بن يدير بن عتيق التدلسي التلمساني أبو زكرياء** :من كبار فقهاء المالكية في زمانه ، درس بتلمسان على يد الشيخ أحمد بن زاغو النغراوي، هاجر إلى توات عام 845هـ، فتولى بها قضاء الجماعة التواتية أخذ عنه العديد من العلماء من بينهم محمد بن عبد الكريم المغيلي وعبد الله العصنوني، عرف بالعلم والصلاح والاستقامة توفي بتمنطيط ودفن بمقبرة أولاد علي بن موسى وقبره معروف ويزار.

يقول أحمد بابا في مختصر نيل الانتهاج "توفي بتوات ووجدته بخط تلميذه ابن عبد الكريم المغيلي" وللشيخ يحي بن يدير العديد من الفتاوى في النوازل التواتية تدل على سعة إطلاعه في الفقه ومنهجه القويم في الفتوى[1] .

تلاميذته:

1) **عمر بن احمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي**: ولد عام 865هـ 1460م درس في صغره على يد والده ،ثم رحل إلى بلاد المغرب ومنها إلى مصر ومر ببلاد الشام وأدى فريضة الحج ثم عاد إلى بلاد التكرور، والتقى خلال هذه الأسفار بالإمام المغيلي فلازمه وتبعه في جميع رحلاته الداعية إلى نشر الإسلام الصحيح . وأدى فريضة الحج مرة ثانية برفقته، ولما عاد المغيلي إلى توات، كان الشيخ عمر بصحبته، وأخذ عنه علوم الحديث والفقه والعربية والسياسة الشرعية والمنطق والفرائض ،وقد تأثر الشيخ عمر بشخصية المغيلي حيث لازمه و لم يفارقه حتى وفاته، ويعتبر الوارث الأول لعلم الإمام المغيلي، وهو الذي انتهت إليه رئاسة الطريقة القادرية في بلاد التكرور[2].

2) **محمد بن عبد الجبار الفجيجي**: عالم متصوف له إلمام كبير بعلوم الحديث ورواياته، كانت درسته الأولى بفجيج على يد والده عبد الجبار وغيره من علماء المنطقة ، أسس زاوية في بلاده فجيج ،كما بنى بيتا للفقراء ومريدي التصوف ينفق عليهم، اشتهر بالشعر ومهر فيه وألف العديد من القصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم التقى مع المغيلي في فاس حيث لازمه

1 – أحمد الحمدي- المرجع السابق-ص38.

2- المرجع نفسه- ص40.

طوال وجوده بها، وأخذ عنه التصوف وعلوم الحديث والفقه والعقيدة والمنطق، ثم رجع إلى بلاده ليستقر فيها، ويدرس مختلف العلوم الشرعية خاصة الحديث الذي كان له فيه سند عال[1].

3) **الشيخ عثمان بن محمد بن عمر بن فودى الفولاني السكطي**: أحد تلاميذ الشيخ، وقد ألف كتابه: "الفتح الرباني في ذكر أخبار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني". وقد لازمه مدة عشرة سنوات كاملة[2] .

4) **إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي**: أكبر أبناء الشيخ عبد الجبار وأغزرهم علماً وأدباً، درس على يد أبيه وكبار علماء فجيج ،توجه إلى فاس فأخذ على شيخ الجماعة ابن غازي، ثم قصد تلمسان فاخذ بها عن الإمام السنوسي، رحل إلى المشرق أكثر من مرة للحج فأخذ عن جلال الدين السيوطي، اشتغل بالقضاء والتدريس في مسقط رأسه، وفي طريق هجرته إلى السودان الغربي مر بتوات، فصادف بها ثورة المغيلي على اليهود، فتحركت مشاعره الدينية وشاطر المغيلي في رأيه[3].

5) **الشيخ العاقب بن عبد الله الأنصنمي المسوفي**: من أهل اقدز، درس في بداية حياته وتفقه على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بمسجد الكرامة، وأخذ عنه علم التوحيد والمنطق واللغة العربية، قال عنه احمد بابا: "فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن وقّاد الخاطر مشتغل بالعلوم، في لسانه حدة". وكان ملازماً للشيخ المغيلي طوال تواجده بممالك السودان، حيث تأثر بسلوكه ومنهجه العلمي، الذي يقوم أساسا على نصح العامة من خلال نصح الخاصة[4].

6) **الشيخ محمد بن احمد بن أبي محمد التاذخسي**: المشهور بأيد احمد، درس في بداية حياته على يد حاج احمد بن عمر، وخاله الفقيه علي، ثم رحل إلى تكدة فلقي بها الإمام المغيلي ولازمه مدة من الزمن، وأخذ عنه الفقه والمنطق والحديث والعقيدة سافر إلى بلاد المشرق وأخذ من علمائها علم الحديث حتى تميز في الفنون وسار من المحدثين. رجع إلى بلاد السودان واستقر بكشنا، وتوليّ قضائها إلى أن توفاه الله في حدود 936هـــ. قال عنه احمد بابا: "شيخنا فقيهاً

1- أحمد الحمدي- المرجع السابق - ص 40.

2 -بوغرارة منيرة- محمد بن عبد الكريم المغيلي -ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا-ماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر-جامعة الأمير عبد القادر كلية الآداب والعلوم الإنسانية-قسم التاريخ تحت إشراف الدكتور احمد صاري- ص53.

3 -الحمدي – المرجع السابق-ص41.

4 - المرجع نفسه - ص42.

عالماً علامةً محققاً فهامةً محدثاً رحالةً شهيراً محصلاً ناقداً جيد الخط والفهم حسن الإدراك كثير النـــزاع"[1].

كلام أهل الفضل فيه :

وصفه احمد بابا في الابتهاج حيث نعته (بخاتمة المحققين الإمام العلامة الفهامة القدوة الصالح السني ، أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم متمكن المحبة في السنة وبغض أعداء الدين) [2].

نعته الشيخ السنوسي قائلا :"الأخ الحبيب القائم بما أندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي القيام بها سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية، وعمارة القلب بالإيمان"[3].

نعته الشيخ أبو عبد الله بن غازي ب "الغريب في هذا الجيل "[4] أي انه لا ينتمي إلى عصره أو سبق زمانه لأنه عنيد في مبادئه ،متحمس لأرائه ،خاصة في ما تعلق بالقضايا المصيرية للأمة الإسلامية[5].

هناك من جعله من أشهر العلماء والأولياء الذين حلو بتمنطيط وعرفه بأنه "مشهر بالعلوم الظاهرة ،والولاية الباطنة ،فهو أية الله في أرضه وحجته في شريعته ..."[6].

قال عنه الشيخ عثمان ابن فديو في كتابه "فتح أفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور": "كان فقيها حافظا ،أصوليا،ومحدثا فرضيا ،محققا كبيرا ،نقادا مؤلفا قدوة ،نبيها مجتهدا ،عارفا بالقرءان ،مضطلعا في الأدب ،صوفي المسالك ،متخلقا بأخلاق الصالحين ،وكان أية الله في تحقيق العلوم ،بالاطلاع المفرط ،والباع الطويل ،في علم المعقول، والمنقول والسهر على تحصيل القبول)).

قال عنه ابن مريم: (خاتمة المحققين ،الإمام العالم العلامة ،المحقق الفهامة،القدوة الصالح السني، الحبر،احد أذكياء العالم، وإفراد العلماء ،الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم والنسبة في

1- الحمدي- المرجع السابق - ص42.

2 شبايبي ياسين- المرجع السابق -ص25.

3 -احمد بابا التنكتي -نيل الابتهاج بتطريز الديباج -ت علي عمر -القاهرة ط 1-2004-ج2ص264

4- المصدر نفسه- ص331.

5 -ابن عساكر- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر-ت محمد حجي -الرباط-ط2-1997م-ص131.

6- شبايبي ياسين- المرجع السابق-ص23.

الدين،المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبغض أعدائه... وكان رحمه الله مقداما على الأمور ،جسورا،جرئ القلب،فصيح اللسان محبا في السنة جدليا نظارا محققا) [1] .

قال عنه صاحب دوحة الناشر :(الشيخ الفقيه،الصدر الأوحد ،أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي ،كان من أكابر العلماء ،وأفضل الأتقياء ،كان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) [2] .

قال عنه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي :(هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، أحد أعلام الجزائر وأبطالها الشجعان، في فاتحة القرن العاشر الهجري)[3].

الشيخ عثمان بن محمد بن عمر بن فودي الفولاني السكطي قال: (وكان أية في تحقيق العلوم، باطلاعه المفرط ،وباعه الطويل في المعقول والمنقول ،والسهر على تحصيل الفنون ،وكان لا يجارى في علم الفقه، رئيسا في التفسير ،مقدما في الحديث) [4].

العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي قال في تقييد على كتاب "مصباح الأرواح" يصف الكتاب ومؤلفه :(طالعت هذا التأليف المسمى مصباح الأرواح في أصول الفلاح، فوجدناه تأليفا مشتملا على تحقيق علوم الشريعة وأصول الدين ، وأبرزها لبصائر القلوب، بطريق بديع لطيف، من به في هذا الزمان العسير المظلم مولانا العليم الخبير، الملك المبين، ورايته كاملا عاليا لا يتصور إلا من قلب مستنير بأنوار الولاية، والمعارف الدينية، والمواهب القدسية، والحكم الربانية، مع مشاركة صاحبه لعلماء الظاهر في التبحر في علمي المعقول والمنقول)[5].

قال عنه الشيخ محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي :قال في سلسلة الأشياخ :(وهو عن شيخه العلامة النحرير الفهامة ،ذي الخوارق المتواترة ،والحقائق المتوافرة ،سيد محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني) [6] .

1 -محمد سالم - المرجع السابق-ص23.

2 -ابن عساكر- المصدر السابق-ص09.

3 -عبد الرحمان الجيلالي -تاريخ الجزائر العام-ديوان المطبوعات الجامعية -ط 07--1994-ص171.

4 -محمد سالم -المرجع السابق -ص22.

5- المرجع نفسه- ص22.

6 - المرجع نفسه- ص23.

الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم :المعروف باسم بابا حيدة التمنطيطي قال: (وهو مشهور بالعلم الظاهر والولاية الباطنة، وهو أية الله في أرضه وحجه في شريعته) [1] .

قيل عنه :"فقيه حافظ، ترجع إليه الفتوى ،وأصولي ماهر،نظارا محققا كبيرا،نقادا ثبتا ،معدودا للمشاكل العويصات ،مشاركا في التفسير ،مشهودا له في الحديث وعلومه ،مؤلفا قدوة نبيها، عارفا بعلم القراءات متضلعا في علوم الأدب " [2].

1 -إبن عبد الرحيم- القول البسيط في أخبار تمنطيط- ت"فرج محمود فرج-الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية -1977م ص31.

2 -محمد مخلوف- شحرة النور الذكية في طبقات المالكية -ص266- 274.

دخول المغيلي إلى توات:

كان دخول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى توات زمان أخر الدولة المرينية بالمغرب، ووقت احتلال نظامها، فوجد توات مهملة مقتصر حكمها على شيوخ بلدانها وقد ظهر فيها فساد ومنكر عظيم.[1]

تعتبر توات منذ العصور الغابرة ملجأ آمنا لكل المضطهدين، ومقراً حصيناً يقصده الكثير من ضحايا القمع السياسي والديني.

التضارب في تواريخ دخول المغيلي إلى توات:

1) نقله الشيخ محمد بن المصطفى الرقادي الكنتي وهو عام 856هـ حيث كان نزوله الأول بقرية أولاد سعيد بتميمون، وتوطن بها بصحبة وزوجته زينب وولدت له ثلاثة أبناءهم على التوالي: علي، عبد الجبار، عبد الله.

2) نقله الشيخ محمد باي بلعالم الفولاني الأولفي في محاضرته حول الشيخ المغيلي، حيث قال:(وفي سنة 870هـ كان قدوم الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي لتوات وذلك في حياة أستاذه يحي بن يدير فوجده بتمنطيط واستفاد منه علوم كثيرة). نؤول أن هذا التاريخ الذي ذكره محمد بلعالم (870هـ) هو تاريخ دخول الإمام المغيلي إلى تمنطيط بعد توطنه بقرية أولاد سعيد.

3) نقله الشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم: وهو عام 882هـ وقال: (وتلك السنة جاء فيها الشيخ بن عبد الكريم المغيلي لتمنطيط ونزل بأولاد يعقوب).ويحتمل أن يكون هذا تاريخ رجوعه إلى تمنطيط بعد وفاة شيخه يحي بن يدير، فوجدها مهملة قد ظهر فيها فساد عظيم لاسيما من اليهود لعنهم الله، فانتقم الشيخ منهم وطهر الأرض منهم، فكان دخوله فتحا عظيما[2].

1- من مخطوط: (ذكر ما وجد من تواريخ في الديار التواتية): لمؤلف مجهول.

2- نقلا عن كتاب الرحلة العلية لمؤلفه محمد باي بلعالم: ج1 ص 81 -82 بتصرف.

المغيلي في أولاد سعيد:

غادر المغيلي تلمسان فطلب شاسع الأمصار، فكانت أول أرض نزل بها هي منطقة أولاد سعيد عاصمة منطقة قورارة بتيميمون. وهذا حوالي856هـ 1452م. فلا نحتاج الآن إلى دليل إثبات حقيقة سكن واستيطان الشيخ المغيلي في أولاد سعيد، مع العلم أنه خلّف فيها آثاراً كثيرة تدل عليه، بل لا نشك بتاتاً في طول مكثه ومقامه هناك، خصوصاً إذا علمنا أنه ترك لنا فيها معالم يستحيل أن تقام في وقت زمني قصير، وتشيدها لا يتأتى إلا بملائمة الظروف وموافقة أهل الحل والعقد لهذا البلد العتيق وإلا لكان الرفض وعدم القبول سيد الموقف في دعوته التي تحتمل الوجهين: المساندة أو الاعتراض. فسكناه في أولاد سعيد ووجود قبر زوجته زينب[1] بنت الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين العاصمة، وقبر نجله علي[2] التي تدلي الوثائق والكتب التاريخية إنه مات صغيراً، لكن بالرجوع إلى قبره نجده إنه قبر رجل كبير وليس طفل صغير. ويعرف علي في المنطقة باسم (الزيعلي) بلغة زناتة. أما عبد الله فهو الذي عاش بعد أبيه وخلف ولدين هما: أبو القاسم محمد سماه باسم أبيه، عبد الرحيم، ومنها انتشرت وتفرعت سلالة الشيخ بالأراضي التواتية[3].

بدخول المغيلي إلى أولاد سعيد وجد هاته الرقعة من الديّار الإسلامية وقد استحوذت عليها العصابات اليهودية لتواطأ حكامها، ووفق قواعد وأحكام ونظام لا يخدم سوى مصالحهم.

عندما دخل المغيلي مدينة أولاد سعيد وجد اليهود وقد أحكموا سيطرتهم على التعامل التجاري، بحيث أصبح البيع والشراء والإجراءات التي تتبعهما مستوحاة من خارج روح ثوابت المجتمع الإسلامي.

لا تحتاج إلى الشرح أن هذه القواعد إنما صاغها اليهود من أجل تفكيك القواعد الأساسية للمجتمع الإسلامي الذي تنص مبادئه على حرية التدين وحرية العقيدة داخل البلاد الإسلامية[4].

---

1 – السيدة زينب الجزائرية المعروفة محلياً باسم (اللاوت العلبي) مقبورة بقصر (باضاها) من أولاد سعيد على حافة الطريق بين بلدة كالي وأولاد سعيد.

2 – عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي– ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي– معد للطبع– د.ص.

3– مبروك مقدم –الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية– ص43.

4 – الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني رائد النهضة العلمية الإصلاحية والجهادية بقصور توات، ودور علمائها في نشر الإسلام بإمارات وممالك إفريقيا خلال القرن 9هـ 15م، وثائق سمعية بصرية.

أعمال الإمام المغيلي بأولاد سعيد:

لما سكن الإمام المغيلي بأولاد سعيد واستوطن بها استقبلته أهالي أولاد سعيد بالترحيب والتكريم لمعرفتهم بقيمة هذا العالم، ووضعوا بيده مقاليد الأمور فهو صاحب الحل والربط هناك. وأصبح بذلك إمام وقائد هاته البلاد، وبهاته الثقة التي وضعها أهالي هاته البلاد في الإمام المغيلي استطاع أن يغيّر الكثير من الأمور التي لا ترضي الله والتي لم يكن باستطاعة هؤلاء تغيرها، ومن أهم هاته الأعمال ما يلي:

1) المسجد: كان أول عمل قام به الإمام المغيلي في المنطقة في قصر أولاد هارون هو تحويل معبد لليهود (البيعة أو الكنيسة) إلى مسجد لا تزال تقام فيه صلاة الجمعة، بل أدركناه على الحال الذي شيّدة الشيخ عليه.[1] وبذهابنا إلى عين المكان وجدنا هذا المسجد قد أعيد بناءه بطريقة عصرية، و لم يبق إلا بعض الأثار الجانبية التي تدل على أن هناك مسجد قديم.

عندما أصبح جلياً أمام هذا المصلح أنه لا مفر من التغيير قرّر تحطيم القواعد التي ساقها الحكام والعلماء يإيغاز من اليهود لتسير المجتمع ليخر السقف عليهم من فوق وبذلك يبعث نهضة علمية إسلامية صحيحة. هذا المسجد كان يهدف منه توسيع دائرة إشعاعه الإصلاحي وطمس الأفكار التي عششت نظراً لطغيان التدجيل والشعوذة على عقل الناس، وباعتبار أن أفكار المغيلي ذات طابع إصلاحي تهدف إلى إلغاء النموذج الذي شيده حكام القصور في تلك العصور.[2]

2) مصلى العيدين: بناه الإمام المغيلي في قصر أولاد موسى بأولاد سعيد. وهذا المصلى خصصه لصلاة العيدين (الأضحى والفطر) وهو ما يزال مستعملاً حتى اليوم، حيث يجتمع فيه كل سكان منطقة أولاد سعيد بهذا المصلى في صلاة كل عيد، وهذا دليلٌ على المحبة الباقية في قلوب هؤلاء السكان للمغيلي، لأنهم فضلهم الله سبحانه بأن أبقى لهم هاته الأثار التي اسسها المغيلي في المنطقة، وهذا المصلى بقي واسعاً حتى الآن يتسع لالأف من الناس، ويحسب لهؤلاء السكان موقفهم الرافض لتوسيع الإكمالية الموجودة هناك على حساب المصلى، فرفضوا المساس بالمصلى وأبقوه على الحالة التي تركه عليها الإمام المغيلي. وقيل أنه يوماً ضرب بها

1 – عبد الرحمن الجوزي– المرجع السابق– د.ص.

2 – وثائق سمعية بصرية، الإمام المغيلي.

عصاه على الأرض مخاطباً للناس قائلاً: [هنا الخير والبركة إلى يوم القيامة]، وفيها دعى للبلاد بسعة الرزق وبركة الكيل في تمور النخيل[1].

3) السوق: بنى الإمام المغيلي سوقاً كبيرةً ومشهورةً بمنطقة أولاد سعيد وبالضبط بقصر سيدي يوسف المعروف أمازيغياً باسم [أغام انهزوف]، وبها شكل قطباً اقتصادياً كبيراً أفضى إلى ربط توات بكثير من الأقاليم والبلدان مثل واد ريغ والساورة والمغرب وبجاية والسودان...الخ. وبعدما تأكد الإمام المغيلي من تغلغل التيار اليهودي في المنطقة أنشأ هاته السوق التي لا تزال قائمة لحد الساعة، وهي تستعمل لغرض تجاري ولكن وفقاً لقواعد ومناهج إسلامية، وبذلك يكون قد فتح جبهة المنافسة التجارية ضدّ اليهود وأذنابهم.[2]

وظلت هاته السوق عامرة إلى غاية 1300هـ، وخلاصة القول أن سوق المغيلي بأولاد سعيد رفعت معالم ثورة اقتصادية عظيمة بتوات كانت في وقتها يشار لها بالبنان، ومن خلالها قضى المغيلي على السيطرة الاقتصادية لليهود بالإقليم، ونضيف أيضاً بأن القبائل التي كلفت ببيع المواشي والحلي والزرع والأقمشة والأواني والتوابل...الخ في السوق لا تزال الذاكرة الشعبية تتذكرها إلى الآن، وتتذكر حتى مواقع تعبد الشيخ واستراحته فهي معلّمة ومعروفة لدى الخاص والعام.[3]

4) الكرسي: هذا الكرسي يعد من الأثار التي تركها الإمام المغيلي وهو موجود في وسط السوق التي أنشأها، حيث كان يجلس عليه الإمام المغيلي لحل المشاكل والمنازعات التي تحدث في السوق، وهو يعتبر مجلس للقضاء والإفتاء يقصده العامة والخاصة لحل المشاكل التي يعانون منها. وهذا المجلس كان يجلس فيه مع الخاصة من أهل البلاد يتولى بنفسه إدارة شؤون التجارة من البيع والشراء، وهو مجلس علم يلتقي فيه مع كبار العلماء والفقهاء من أجل المذاكرة والمناقشة، وقد أعجب بهؤلاء الأعلام وبغيرهم من أعلام توات فأعرب عنه قائلاً:[دخلنا توات فوجدناها دار علم ومقر أكابر فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا].[4]

1 – عبد الرحمن الجوزي– المرجع السابق– د.ص.

2 – وثائق سمعية بصرية للإمام المغيلي.

3 – عبد الرحمن الجوزي– المرجع السابق– د.ص.

4– المرجع نفسه– د،ص.

وهذا الكرسي إلى اليوم موجود في مكانه، وقد عمل أعيان البلاد حفظهم الله على حفظه ورعايته، وبنوا حوله مقام مثل مقام الإمام المغيلي بزاوية الشيخ، والمقام موجود داخل مدرسة إبتدائية، لا تدخل إليه إلا بعد دخول المدرسة الإبتدائية. وعندما ترى المقام وقبل الدخول إليه يتبادر إلى ذهنك وجود قبر لولي صالح، لكن بعد فتح الباب تصاب بالذهول فتجد أمامك كرسي أبيض فقط، لا شيء عليه. وهذا دلالة على مستوى فكري عالي ومتين لأهالي المنطقة للحفاظ على الأثار الباقية للإمام المغيلي.

بالإضافة إلى هاته المعالم توجد هناك خلوة للإمام المغيلي كان يتعبد فيها ويخلو فيها ليزكي نفسه ويذكر الله سبحانه وتعالى بالأذكار والأوردة وينسى فيها متاعب الحياة وفوضى السوق ومشاكل وقضايا العباد، وتعتبر الخلوة من أهم الأمور التي يجب على الداعية أن يفكر فيها ويجعل لنفسه مكاناً ووقتاً يختلي فيه بنفسه، ويراجع أفكاره وإخلاصه، ويصحح من أخطائه وهفواته، فهي مجال للمحاسبة النفس على أعمالها وأفعالها، وهي مجال للعبادة والتفكر في خلق الله.

والحق أن أهالي أولاد سعيد تفانوا في محبة الشيخ المغيلي إلى حدّ لا يتصور، وهو الشيء الذي دفعهم إلى أخذ العهود والمواثيق على تولي حماية أهل بيته (الزوجة والأولاد) في غيابه عن البلاد ومطاردته لليهود في أقطار توات وغيرها، وأثناء نشره لدعوة الإسلام في تخوم إفريقيا وبلاد السودان، هو ذلك الموقف الذي أجمعت عليه أولاد سعيد في تقديم إحدى بنات الأعيان فداءً لبنت الشيخ المغيلي مع الاعتراف لليهود بأنها البنت المطلوبة، وذلك عندما جاءوا بجيوش لا قبل للبلاد بها تطلب البنت بتوعد وتهديد بعد قتلهم لولده عبد الجبار في زاجلوا.[1] وقبره موجود حتى الآن ومعروف ويزار. وهاته الرواية إن صحت تدل دلالة واضحة على أن للمغيلي بنت وهذا ما لم تذكره الوثائق التاريخية الموجودة حتى الآن.

1-.عبد الرحمن الجوزي- المرجع السابق- د.ص.

المـــغيلي في تمـــنطيـــط:

تمنطيط هذا العلم السحري القابع في جو التاريخ ملامحه تدل على أنه صارع القرون، تجد بهاته المدينة ملحمة أجيال، وأجناس متعاقبة. من قبط، ويهود، وعرب، وزنوج، كما تشهد على ذلك الأثار الباقية. الشكل الموجودة عليه تمنطيط حالياً يعود إلى القرن السابع قبل الهجرة.

إن تمنطيط كانت تمثل نقطة الالتقاء للقوافل التجارية القادمة من سجلماسة والعائدة اليها من تمبكتو وصحراء التكرور، وكذلك بلاد السودان وطرابلس وبجاية نحو اتجاهات مختلفة.[1]

إن الأوضاع السياسية التي وجدها المغيلي بمناطق توات تتمثل في انعدام نظام واضح أو حكم موحد لقصور المنطقة، وهذه الميزة طبعت الناحية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري لأسباب عديدة منها.

1) بعد المنطقة عن مناطق الصراع في المغرب العربي.

2) تناثر القصور في مناطق بعيدة مما يصعب قيادتها.

3) سيطرة رؤساء القبائل والأعيان على قصورهم.

هذا ما صعب المهمة الإصلاحية للشيخ المغيلي بحيث أن أفراد الناحية يدينون بالولاء لأشرافهم وأعيانهم وكل ما سواه فهو باطل وبهتان.

هذا لم يمنع المغيلي من إحداث ثورة في المجتمع التواتي وذلك بإيقاظ الروح الدينية بين المسلمين عامة، ونشاطه الديني وخاصة جانب التدريس ومراسلاته إلى علماء الإسلام في كل من فاس وتونس وبجاية وتلمسان، وتصحيح العديد من المسارات الخلقية والدينية.[2]

يقول الباحث المكي قلوم: الإمام المغيلي يعد بحق غريب عصره فقال عنه أحد معاصريه ابن عازي: "علم بالصواب غريب في هذا الجيل".أي جيل عصره.

الإمام المغيلي بحركته الإصلاحية تمرد على عصره، وعلى علماء وحكام عصره، واستنفض عن الوضع الروحي والاقتصادي والتجاري والاجتماعي الذي سقط أنذاك في قبضة النفوذ المحلي اليهودي المهيمن المبيت والمندس، وعصر المغيلي واكب بالتقدير فقدان الإسلام بالاندلس، وتميّز على صعيد المغرب العربي بتغلغل العنصر اليهودي داخل أجهزة الدولة الحاكمة، وتميّز عصر

1 – وثائق سمعية بصرية للإمام المغيلي.

2 – الوثيقة نفسها.

المغيلي بالضعف العلمي ويستشهد ليون الإفريقي على هذا الوضع قائلاً "لم يبقى إلا القليل من الناس ومن بينهم بعض الأندلسين يتدارسون الفلسفة والرياضيات، وهذا الضعف العلمي والثقافي تمثل في تقليص النفوذ الثقافي والعلمي للمدارس الجامعية المشهورة لفاس وتلمسان وتونس وبجاية، وتعويضها بالنفوذ الثقافي للزوايا التي حددت تعليمها للتربية الصوفية، وحفظ القرءان دون تدبير معانيه"[1].

بهذا الاعتبار أحكم اليهود سيطرتهم على هذا المركز التجاري، الذي استعمل كقناة لتوصيل الحركة اليهودية إلى الشمال والجنوب.

قضية يهود توات

وما إن استقر الإمام المغيلي في القدوم الثاني لتوات حيث أنتقل إلى تمنطيط

في حياة شيخه بن يدير الذي جلس للعلم عنده رفقة الشيخ محمد العصنوني والذي حصل بينه وبين الإمام المغيلي خلاف كبير حول قضية يهود توات.

وفي القدوم الثاني وجد المغيلي شيخه قد توفي، فوجد الإمام العصنوني يترأس القصور التواتية، فاشتد الخلاف بينهما حول قضية هدم، أو عدم هدم كنائس اليهود بقصور توات. فراسلا في ذالك علماء عصريهما[2].

لقد كانت بداية الخلاف بين المغيلي وقاضي مدينة تمنطيط عبد الله العصنوني في إثارة موضوع استخدام الحكام والتجار المسلمين لليهود وتوكيلهم على أموالهم مما أعطى لليهود مكانة متميزة تفوق مكانة أهل الذمة في الإسلام.

لقد أقر العصنوني فكرة تواجد الكنائس والبيع بمدينة تمنطيط، بينما رأى المغيلي أن كل الأيات القرءانية، والأحاديث النبوية الشريفة، وكتب الفقه، لا تجيز إحداث الكنائس في أرض الإسلام. إلا إذا كان عقد الجزية الذي ينظم لهم عيشتهم في بلاد الإسلام، وتعايشهم مع المسلمين.

لقد كتب الإمام المغيلي رسالة كاملة من ثلاث فصول في هذه القضية، وبيّن موقفه وأعطاها شرح بوجهة نظره بكيفية دقيقة وواسعة، ويستخلص من الفصل الثالث: الأسباب التي دعته

1 - كلام المكي قلوم نقلاً عن وثائق سمعية بصرية للإمام المغيلي.

2- مقدم مبروك- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن 9-10هـ-ص116.

إلى إتخاذ هذا القرار المتعلق بمحاربة اليهود وعنون هذا الفصل: "فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان".

إن تمنطيط كلها عالم سحري أخاذ، ومعين لا ينبض، إذ هناك من المناطق ما يثير الإعجاب والدهشة، أما بفضل طرازها المميز بحكم قدمها المتناهي. ومن هذه المناطق هذا المخزن المخصص للذخيرة المسمى ب"أكري"، والذي بناه الإمام المغيلي أثناء الحروب التي أعلناها ضد اليهود. من هذا يظهر واضحاً أن الإمام المغيلي كان جاداً في مسألة محاربة اليهود، بحيث أعد لهم ما استطاع من قوّة ومن رباط الخيل، ليرهبهم به من أجل تخليص البلاد الإسلامية من سيطرتهم. ومن أبرز مصادر التاريخ التي تنقل هذه المعطيات ما أورده ابن خلدون في الجزء السادس عن تحول الكثير من اليهود نحو الشرق وتمركزوا في توات، وبنوا لهم بيّعاً فيها جديدة أثارت استنكار المغيلي بعد انتقاله من تلمسان إلى توات.[1]

الشيخ محمد باي بلعالم: يقول رأية في قضية يهود توات.

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي هو علم من أعلام الإسلام كانت له محاورة في شأن يهود توات جرت بينه وبين الشيخ عبد الله العصنوني في هدم الكنائس، وبالضبط في تمنطيط. شارك في هاته المحاورة بعض من علماء تلمسان وتونس وفاس، فكان البعض منهم إلى جانب الشيخ المغيلي يؤيد موقفه اتجاه أعداء الله اليهود الذين كانوا في هاته المنطقة وعتو فيها فساداً وخرّبوا وبدّلوا وغيّروا.

أما الشيخ العصنوني فيقول أنهم أهل ذمة وعلينا أن نراعي حقوقهم وألا نهدم كنائسهم وألا نقاتلهم.

بعث كل منهم إلى بعض العلماء فكان منهم من أيد موقف الشيخ المغيلي، ومنهم من أيد موقف الشيخ العصنوني.

الإمام المغيلي بمجرد ما بلغته فتوى العلماء الذين أيدوه بادر إلى هدم كنائس اليهود وإلى تطهيرهم من هاته الأرض الطاهرة، فطردهم وأبقاها طاهرة.

1 – وثائق سمعية بصرية للإمام المغيلي.

ثم أنه بعد ذلك سافر إلى التكرور قام من ورائه الشيخ عبد الله العصنوني بفتواه إلى الشيخ عمر بن عبد الرحمن أمير تمنطيط أنذاك. فرّد اليهود إلى أماكنها وكنائسها، فبلغ الخبر إلى الشيخ المغيلي وهو في أرض التكرور، فرجع إلى توات وجاهدهم مرّة أخرى وطهّر الأرض منهم، ومن ذلك الوقت لم تبقى أي كنيسة في هاته الأرض لا لليهود ولا لغيرهم، إلى أن جاء الاحتلال في أوائل القرن العشرين وبنا كنيسةً له في أدرار.[1]

لو طوينا كتب التاريخ وطرحنا الماضي جانباً ورجعنا إلى الحاضر، فإننا نلاحظ التشابه المطلق في المعطيات والقواعد التي يسير عليها النظام العالمي، ويتجلى ذلك في استمرار سيطرة الطغمة اليهودية على مراكز القرار بواسطة مسكها لعصب الحياة، من أموال تحرّك بها التجارة وتؤثر على القرارات السياسية حتى للدول التي تدّعي الصدارة.

اليهود منذ القديم يحسنون اقتناص الفرص، ولا يدخلون مكاناً إلا إذا خططوا ودققوا في المعطيات من أجل تحقيق النتائج.

ما أصدق التشابه في القول والمصير للأمامين الشيخ الإمام ابن باديس رائد النهضة الإصلاحية للأمة الجزائرية في العصر الحديث والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في العصور الوسطى، فرغم الفارق الزماني والمكاني بينهما إلا أن نشاطهما كان يصب في مجرى واحد. فكان ابن باديس يسعى من وراء تأسيس جمعية العلماء المسلمين إلى إصلاح الفساد والوقوف أمام محاولات طمس الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري بالحكمة في ضرورة المحبة والوئام.

فإن الإمام المغيلي نهج نفس السبيل فكان من وراء المذهب الإصلاحي يهدف إلى سد الشرخ الذي أحدثته الأوضاع السياسية والاجتماعية للمجتمع التواتي، وكذلك عبر إصلاح أمور الناس والعدل بينهم.

ويقول المكي قلوم: الإمام المغيلي يعتبر همزة وصل بين الحركة الإصلاحية السنوسية والحركة الجزائرية التي قادها الإمام عبد الحميد ابن باديس. فالإمام المغيلي شانه شأن ابن باديس في المواقف والسلوك.[2]

1 – وثائق سمعية بصرية للإمام المغيلي.

2 – الوثيقة نفسها.

دور الإمام المغيلي الجهادي في توات

كما كان للمغيلي دور جهادي في توات، كان له دور ديني إصلاحي من خلال نشره للطريقة القادرية عملا بوصية شيخه سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وساعده للقيام بهذا الدور الزوايا التي كانت تشتهر بها المنطقة.

كان من أكبر شيوخ الطريقة القادرية بالمغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري الشيخ عبد الرحمان الثعالبي على صلاحه وإمامته، وأثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح. وهناك رواية تاريخية مفادها أنه كلف المغيلي بنشر الطريقة القادرية بتوات والسودان الغربي، وهو من أوائل العلماء الذين أدخلوا هذه الطريقة إلى هذه البلاد، كما تتصل به سلسلة شيوخ الطريقة، وقد ذكره الشيخ المختار الكنتي (ت:1286هـ) في سلسلة أشياخه للطريقة القادرية حيث يقول:

وبه إلى الشيخ المغيلي شيخه***سيف الإله على ذوي الطغيان.

محي رسوم الدين بعد دثورها***ومميت سائر خارج الأديـــان.

الأسباب التي دعت الإمام المغيلي لحرب اليهود:

1) تجاوز اليهود للحدود الشرعية واستعلائهم على المسلمين وتمردهم على الأحكام، والتحكم في أصحاب الشوكة والسلطان، وذلك بأنهم سيطروا على الوضع ووضعوا الحكام إلى جانبهم واشتروا ذممهم، حتى أصبحوا يأتمرون بأوامرهم وينتهون بنهيهم، فأدى بهم ذلك إلى تجاوز الحدود الشرعية .

2) تساهل المسلمين مع هؤلاء اليهود، حتى أصبح المسلم يقرب اليهودي من نفسه وعياله ويستعمله في أعماله، ويجعل بيده ما شاء من ماله مع أنه لا دين له ولا مروءة، ووصل الأمر ببعض المسلمين بإعانة اليهود في بناء بيعهم فهو من باب التعاون على الإثم والعدوان ومعصية كبيرة، و إهانة لمكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان لا يجوز لمسلم أن يعين على بناء كنيسة بأرضه، فأحرى به أن لا يساعدهم على بنائها بيده .فإن ذلك من الإعانة على الضلال ومباشرته، وإذلال المسلم نفسه للكافر ما لا يرضى به إلا منافق أو فاسق[1].

1- ياسين شبابي-المرجع السابق-ص115.

3) ثراء وغناء الجالية اليهودية بالمنطقة، حيث استغلوا هاته الثروة للسيطرة والنفوذ الاقتصادي، مما سهل عليهم الحياة بالمنطقة . وكان لموقف بعض الرؤساء في تمنطيط أثره في تشجيع اليهود على بناء بيعة كبيرة لهم تجاوزت تلك الحدود التي قد يـــمكن للمسلمين أن يسمح لهم بـــها[1] .

استوطن اليهود بالخصوص بالمراكز التجارية التي تمر منها أو تنتهي إليها قوافل الذهب الرابطة بين شمال إفريقيا والسودان، واشتغلوا بالتجارة وصياغة الحلي وضرب النقود، كما تولوا الإشراف على شؤون أملاك الأمراء ووجهاء الناس، وأصبحوا من الأثرياء يشار لهم بالبنان وكانوا منتشرين في القرى الريفية في مواطن الخصب والرفاهية [2].

4) إحداث اليهود لكنائس في ديار الإسلام وتطاولهم على الإسلام والمسلمين، وأصبحت لهم حرية دينية جعلتهم يقيمون شعائرهم وطقوسهم بأمان داخل البلاد، ويتصلون بأبناء ملتهم نمن بضائع ست وعشرون صندوقا مملوءا بنسخ التوراة[3] .

محاولة المغيلي إقناع علماء فاس المعارضين له برأيه :

رأى المغيلي أن يناظر علماء فاس وان يذهب إليهم مشافهة بعد أن لم يقنعهم كتابة، فجاءهم من توات ومعه مماليكه الخمسة الذين كانوا يحفظون المدونة وعلى رأسهم الفقيه ميمون[4] ،سافر المغيلي لفاس لشرح رأيه حول يهود توات ، وليبين للسلطان محمد الوطاس :

إن إجلاء اليهود تم بناء على أغلبية العلماء وليوضح كذلك لعلماء فاس بان ارض توات ارض إسلامية لا يجوز إحداث البيع والكنائس فيها . غير أن رحلة المغيلي إلى فاس باءت بالفشل فقد اتهم من طرف علماء فاس بأنه يريد الملك، ورغم محاولاته العديدة لتوضيح رأيه إلا أنه لم يجد أذانا صاغية ،فقرر العودة إلى توات بعدما يئس من إقناع السلطان الوطاسي ،الذي كانت تحيط به بطانة من علماء السوء[5] .

---

1 – مجلة الأصالة –العدد26–ص211.

2 – أبو بكر إسماعيل ميقا– الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من400ه إلى 1100ه –مكتبة التوبة –ط 1 – ص106.

3– المرجع نفسه – ص107.

4– المرجع نفسه– ص117.

5 –احمد الحمدي –المرجع السابق –ص117.

بعد فشل رحلة المغيلي إلى فاس وعودته منها، أسس المغيلي إمارة توات ببوعلي وأصبحت بوعلي هي عاصمة الإقليم التواتي بحيث تضم زاوية المغيلي التي كانت مركز كل هذا التغيير .

زاوية الإمام المغيلي ببوعلي ودورها:

بعد رجوع الإمام المغيلي من فاس وفشله في إقناع علمائه والسلطان الوطاسي ولكون الإمام المغيلي لم يتمكن من السيطرة على تمنطيط لوجود من يعاديه بها ولوجود أنصار المغيلي من قبيلة أولاد يعقوب أكبر القبائل التواتية قي الشطر الشرقي من الإقليم وكذلك البرامكة وغيرهم من القبائل الأخرى المحاذية لقصر بوعلي[1].

من هنا أسس الإمام المغيلي إمارته وزاويته بقصر بوعلي على اثر الخلاف الذي وقع بينه وبين شيخ زاوية أبي يحي المنياري عبد الله العصنوني وهذا سنة (885هـ ،1480م) وبدا نشاطه التعليمي بـــها، وسرعان ما جمعت هذه الزاوية بين المهمة التعليمية والمهمة الحربية، حيث كانت قاعدة لانطلاق جيش المغيلي لضرب قواعد اليهود بتازولت وتاخفيفت وتاسفاوت وتمنطيط وأغرملال وغيرها من أماكن تواجد اليهود بتوات[2].

فحياة الرجل لم تكن كلها مقاتلة وحملات عسكرية بتوات، لأن أحداث اليهود لم تدم سوى بضع سنوات، وهو قبل كل شيء رجل علم وثقافة ودين . وقد استطاع أن يجمع من حوله طلبة العلم من مختلف النواحي والجهات، وقد كان للشيخ المغيلي أتباع من تلامذته يساعدونه في عمله الدعوي والإصلاحي انطلاقا من زاويته، ولم يقتصر تكوينه للطلاب الأحرار فقط ،بل عمد إلي تكوين طلاب له من العبيد والمماليك، وقد اشتهر منهم الفقيه ميمون الذي سافر معه في رحلته لفاس للقاء السلطان الوطاسي،..ضمن مجموعة أخرى من طلابه) [3].

وقد استطاع المغيلي وهو شيخ طريقته ومقدم زاويته بتوات أن يستفيد من الطريقة الصوفية التي تقوم على السمع والطاعة للشيخ ،في حشد عدد لا بأس به من الأنصار ،والمريدين في خدمة توجهه الإصلاحي وفي دعوته إلى حربه ضد اليهود وأنصارهم.

1- أحمد الحمدي- المرجع السابق- ص119.

2 -المرجع نفسه- ص70.

3 -ياسين شبايبي-المرجع السابق-ص126..

تتلخص أهم أدوار زاوية المغيلي في الأمور التالية:

1- كانت الزاوية مركزا للعبادة والتعليم والتربية، حيث قصدها الكثير من الطلاب والمريدين. وقد استطاعت في ظرف وجيز منافسة المراكز والزوايا التي كانت بتوات آنذاك، وعلى رأسها زاوية الشيخ المنياري[1].

2) كانت الزاوية مقرا لثاني أكبر دار للقضاء بتوات بعد مركز تمنطيط، وقد كانت تختص في الفصل في القضايا والخصومات والنوازل التي كانت تشغل الأفراد والعشائر المنتمية إلى الجهة الشرقية من المجتمع الواحي التواتي[2].

3) اهتمام الزاوية بالجانب الاجتماعي على عادة جميع زوايا توات ،حيث كانت مركزا لنزول المسافرين وإيواء الفقراء وابن السبيل.

4) توفير الأمن والاستقرار للقوافل التجارية المارة بها خاصة تلك الآتية من أسواق الجنوب من السودان الغربي ،حيث كانوا ينزلون في مختلف واحات الإقليم لأحد نصيب وافر من الراحة والتزود بالماء والغذاء.

5) تعد زاوية المغيلي مركزاً عسكرياً لتجيش الجيوش واستنهاض الهمم حيث كانت مركز الحرب الاولى والثانية ضد اليهود، فأصبح للزاوية صيتاً في جهات عديدة ، داخل وخارج الوطن [3].

6) بفضل هاته الزاوية أصبح في توات قاضيان شرعيان :الأول في الجهة الشرقية وهو الإمام المغيلي والثاني في الجهة الغربية وهو الشيخ العصنوني ، وكانا يقضيان في المسألة الواحدة وحكم كل منهما مغاير لحكم الأخر في الكثير من الأحيان[4] .

7)العمل على نشر الفكر الصوفي القادري من خلال نشر الطريقة القادرية التي أخذها على شيخه عبد الرحمان الثعالبي ووصاه بنشرها في توات والسودان الغربي فأخذ من هاته الزاوية

1- ياسين شبايبي- المرجع السابق- ص122.

2- المرجع نفسه- ص128.

3- المرجع نفسه- ص128.

4 -احمد الحمدي.المرجع السابق-ص116.

قاعدة لنشر هاته الطريقة وإيجاد أتباع لها ومريدين .فهو في تصوفه يركز على تهذيب الأخلاق وإصلاحها ، والدعوة إلى تعاليم الدين الصحيحة.[1]

هذا ما يتعلق بزاوية الإمام المغيلي التي كانت تعتبر إمارة خاصة به ونجده أن الإمام لم يمكث بهاته الإمارة وقت طويل وبهذا لانستطيع القول بأن الإمام المغيلي كان هدفه السلطة والملك لأنه انشأ إمارة خاصة به في بوعلي بعد عودته من فاس مباشرة ولكن الإمام المغيلي لم يستغرق وقتا طويلا حتى ارتحل إلى بلاد السودان الغربي للدعوة والإصلاح .وإنما إنشائه هاته الإمارة كان بدافع الحفاظ على الطابع الإسلامي والشخصية الإسلامية للأهالي وحتى ينشر أفكاره التي ناضل من أجلها وحتى تبقى الإمارة غير تابعة لجهة معينة وليست عليها ضغوط.

فعمل المغيلي على استخلاف ابنه عبد الجبار على هاته الإمارة، الذي كان قائدا على جهاز الشرطة، الذي يعتبر من الأولويات التي يسعى المغيلي إلى إقامتها، وكان يضم قي صفوفه أفرادا من خيرة أنصاره والموالين لحملته الأولى على اليهود، وكان غرضه الأساسي من إنشائه هو حماية النظام الداخلي لإقليم توات ببسط سلطته على كافة القصور التابعة للإمارة الجديدة[2].

1 - ياسين شبابي-المرجع السابق-ص129.

2- المرجع نفسه- ص119.

بعد أن استتب الأمر للمغيلي في توات وطرد اليهود وشتتهم في جميع الأمصار وأسس زاويته وإمارته بناحية بوعلي ووضع على رأسها ابنه عبد الجبار وأعطاه رسالته الاستخلافية. أكمل ما كان يصبوا إليه من نشر الدعوة إلى الله والإصلاح ، ففضل إن يهاجر إلى بلاد السودان بعد إن سبر غور طبائع أمراء وسلاطين السودان فوجد أن فطرهم أسلم من فطر أمراء المغرب، وأن استعدادهم لتقبل الدعوة والنصيحة ، فغادر توات قاصدا بلاد السودان معلما ومرشدا ومصلحا وداعيا إلى الله[1].

تعريف مصطلح السودان :

كلمة السودان في اصطلاح المؤرخين المسلمين كانت تطلق على بلدان افريقية الغربية وجنوب الصحراء . أما تحديد مدلول هذا الاسم على جمهورية السودان الحديثة ترجع إلى بداية القرن 18م، وقبل هذا التاريخ كانت تطلق عليه أسماء عديدة بالنظر لحدوده الواسعة مثل بلاد سنار،وبلاد الفونج...،وفي بدابة القرن 19م كان يطلق مصطلح السودان في كتابات ذلك العهد على مصر بصورة خاصة، ليدل على مناطق أعالي النيل برمتها ،ثم أصبح يشمل كل أقاليم السودان.

-لقد تحدث صاحب الدوحة عن نشاط الإمام المغيلي الديني في نشر الإسلام في السودان، ومقاومته لليهود فيها، حيث أسلم على يديه سلطان تنبكتو وحاشيته وحسن إسلامهم . فأهل هذه البلاد كانوا يمتازون بتعظيم العلم والعلماء واجلال ءآل البيت وإكرام الفقهاء،واضطهاد. اليهود ،فحينما يظهر اليهودي هناك يقتل ويستباح ماله ومال كل من يحمل له التجارة على مذهب الشيخ ووصيته .

كان للشيخ المغيلي دور كبير في توجيه سلاطين السودان، فقد تكلما ابن مريم صاحب البستان واحمد بابا صاحب النيل عن هذا الموقف في كتابيهما: (إن المغيلي رحل إلى بلاد أصير، ودخل بلدة تكدة، فاجتمع بسلطان كنو، فقرّبه إليه واستشاره في أمور السلطنة، فألف له رسالة في الموضوع حضه فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ووضّح له أحكام الشرع وقواعده وكل ما يهم السلطان[2].

1-اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص118.

2 -رابح بونار- مصباح الأرواح في أصول الفلاح- ص20.

أهم المناطق التي دخلها في السودان الغربي:

إن أول ارض نزل بها المغيلي في بلاد غرب إفريقيا هي بلاد" أصير" عند ابن مريم، أو بلاد "أهر" عند أحمد بابا، أو بلاد "كاهر" كما سماها ابن بطوطة. من هنا نستطيع تصور الطريق الذي سلكه بين تكدة وتوات.

دخل الإمام المغيلي تكدة واجتمع بحاكمها ومكث بين ظهراني أهلها ينشر العلم ويمارس التدريس والوعظ في مساجدها وسبقته إليها سمعته كعالم ومصلح ،ومقاوم للخرافات ،وهي قرية صغيرة في آخر (تمسنا) من جهة (أقدر) ووجد مياهها مالحة غير صالحة للشرب،فحفر بها بئراً في طريق المارة ،وسئل الله أن يجعل مائه شفاءً وأن يبارك فيه بحلاوة مائه، وبنى مسجداً في قرية إياتول شمال شرق اجاديس، من الذين حضروا دروسه في تكدة الفقيه :محمد بن أحمد ابن ابي محمد التازختي المعروف بأبيد احمد والعاقب الأصنمني . حيث وصف الطريق من تكدا إلى توات ابن بطوطة فأشار انه يستغرق مسيرة حوالي شهر ونصف، بعد ذلك تزود بطعام أربعين يوما ، والطريق صعب المسالك قليل النباتات كثير الحجارة[1].

المغيلي في كانوا:

اتجه المغيلي من تكدة إلى كشنا وكانوا داعيا إلى الله ومدافعا عن الإسلام وموجها الحكام إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم و خلفائه الراشدين .

وصل المغيلي إلى كانوا والتقى بحاكمها محمد بن يعقوب الذي كان يتربع على عرش كانوا في الفترة الزمنية (867هـ_904هـ، 1463م_1499م)[2].

لقد كان للإمام المغيلي عمل كبير في الدعوة إلى الاسلام ونشر تعاليمه الصحيحة في إقليم كانوا، حيث كان من العلماء المسلمين الأوائل الذين دخلوا هذا الإقليم ، واشتهر في كتابات العديد من المؤرخين لهذه المناطق "بفقيه توات" تـــميزاً له عن الفقهاء المحليين ذوي الأصول السودانية.

توطن الإمام المغيلي بكانو وبنى مدرسته المعروفة في مدينة كانو بمدرسة الشيخ المغيلى، وتصدر بها للتدريس ،وأنتشر صيته وقصدته الطلبة من الجهات المختلفة من جنوب إفريقيا وغيرها من

1 -ابن بطوطة -رحلة ابن بطوطة -دار صادر بيروت-ص699.

2 - أبو بكر إسماعيل ميقا – المرجع السابق- ص119.

الأقطار السودانية، وانتفع به الجم الغفير، وتخرج بها على يديه مشائخ طابت أوقاتهم وشاعت أخبارهم ،كما حكاه صاحب الفتح .ولله در سلطان كانو، فقد كان لا يقدّم رجلاً ولا يؤخرها في أمر من أموره الدينية والدنيوية إلا بأذنه ومشورته، عاملا برأيه في كل حركة وسكنة[1].

لقد كانت الحكومات المسلمة ببلاد الهوسا كما هو الحال مع إمارة كانو تجد عناء ومشقة في نشر الاسلام بين القبائل الوثنية الواقعة إلى الجنوب، بل كانت في حروب متصلة معها فضلا عن انقسامها على أنفسها ومحاربة بعضها البعض، فكان لا بد من إيجاد وسيلة بديلة عن قوة السلاح في إدخالهم إلى الإسلام، حيث كانت تقوى هاته الإمارات المسلمة بانضمام مجموعات القبائل التي أعلنت إسلامها إليها، وكان هذا هو الدور الذي يتعين على الدعاة والعلماء القيام به في أوساط الوثنيين[2] .

لقد استفاد حاكم كانوا من المغيلي حيث اتخذه مستشاراً له، وولاه القضاء والإفتاء في الفترة التي قضاها ببلاده وكتب له رسالة في الإمارة وشروطها يحضه فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف ورسالة أخرى فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام .

فقد أعطى المغيلي في رسائله إلى أمراء السودان بيانا شافيا وتصورا واضحا للمفاهيم الإسلامية التي يجب أن يلتزم بها الحاكم والمحكومون من وجوب استشعار أن الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوب إحسان النية فيها، وما يجب على الأمير في خاصة نفسه ومجلسه وبطانته وترتيب مملكته[3] .

إلى جانب وظيفة المستشار التي شغلها المغيلي عند الأمير محمد بن يعقوب رنفا، فقد أوكل إليه مهمة الإفتاء العام والقضاء بكانو، فكان مفتيها العام واستطاع أن يبين لسلطان كانو الأسس التي تقوم عليها الدولة ، وإعادة تنظيمها بإنشاء المجالس والدواوين وتحديد المواصفات لمن يتولى المناصب العليا وكيفية اختيارهم، وتطبيق الشريعة الإسلامية خاصة في الأحوال الشخصية كمسائل الزواج والطلاق[4].

1- محمد سالم -المرجع السابق-ص30.

2- ياسين شبابي-الفكر السياسي عند المعيلي-ص141.

3 -أبو بكر إسماعيل ميقا-المرجع السابق- ص120.

4- ياسين شبابي- المرجع السابق- ص143.

ومن هنا يدل على أن موقف المغيلي من سلاطين عصره هو موقف الناصح المرشد والمصلح وليس موقف الطامع في المال، أو الباحث عن لقمة العيش أو جاه، لكي يظهر لنا جليا مدى تأثير تلك الرسائل على حكام بلاد الهوسا وعلى المجتمع السوداني كله ومدى غيرة المغيلي مصلحاً على الاسلام والمسلمين ومدى علمه فقيها وإماما وداعيا ظهر أثره في توجيه المجتمع السوداني ،وامتد أثره بعده في إصلاح المجتمعات السودانية بالإسلام[1] .

بعد أن أنهى المغيلي دوره التعليمي في بلاد كانو واطمأن باستقرار وتوطيد إمارة كانوا على أسس الشريعة الإسلامية الصحيحة وتصحيح المفاهيم المغلوطة ،وبعد أن أرسى قواعد الدعوة الإسلامية وتوجيه الحكام إلى العمل بها وطبع المجتمع الإسلامي عليها ، وبعد إن ترك تلاميذه من أهل كانوا الذين يؤمنون بمنهجه في الدعوة ، ومنهج الاسلام الصحيح في الحياة العملية .

بعد ذلك غادر المغيلي كانوا وانتقل إلى كشنا وتولى بها الإمامة والقضاء، وقام بالدور نفسه الذي قام به في البلاد التي مر بها ، وأثمرت جهوده مع حاكم كشنا ماحي إبراهيم الذي فرض على أهل البلاد تطبيق الشريعة الإسلامية ،خاصة في الأحوال الشخصية. .

المغيلي في بلاد السنغاي:

وبعد ذلك كله رحل إلى امبراطورية سنغاي الإسلامية فوصل عاصمتها غاو سنة 1497م والتقى بحاكمها أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد، ورحب به وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، واتخذه اسكيا مستشارا له ووجه له أسئلة عديدة هامة وأثار الأمير محمد بن أبي بكر الملقب بأسكيا، المشاكل الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت تواجهه في بلاد السودان. فأجابه المغيلي بأجوبة هامة في رسالة أوضح له فيها الفتاوى الإسلامية ،وحكم الله ورسوله في الموضوعات التي أثارها الأمير في أسئلته ، وكان المغيلي على علم تام بأحوال السودان الغربي ومطلع عليها بالإضافة إلى أن هاته الأجوبة كانت تتصف بالشمول والتفصيل، فقد تناول فيها الجوانب العقائدية والدينية والأحوال الاجتماعية والسياسية في بلاد السودان، و لم يترك شيء يعرفه إلا تطرق له بالتوضيح والتفصيل[3].

1- ياسين شبابي– المرجع السابق- ص142.

2 -احمد بابا التنبكتي -نيل الابتهاج –المصدر السابق- ج2-ص266

3 -ابو بكر إسماعيل ميقا-المرجع السابق-ص133.

وكانت هاته الأجوبة عبارة عن فتاوى عامة أصدرها الشيخ للأمير ليعمل بها في تدبير مملكته، وهي بمثابة قانونا شرعيا يحتوي على أهم المسائل التي تمس الدولة والأفراد،كالأحوال الشخصية ونظام المعاملات،كما استطاع المغيلي من خلال أجوبته على أسئلة الأسقيا أن يضع حداً لتطاول أدعياء العلم.

إن أهمية هذه الأجوبة تتمثل في إبراز الدور الذي قام به علماء شمال إفريقيا والمغرب من الإصلاح وخدمة الدين في السودان الغربي، وإرساء قواعد الحكم على أساس الشريعة الإسلامية، ولا سيّما ما قام به الشيخ المغيلى من جهود مباركة في توجيه حكام السودان إلى أحكام الشريعة، وطبع المجتمع بطابع إسلامي صحيح ، وقد بدأ هذا العمل منذ وصول الإسلام إلى إفريقيا الغربية، عندما قام عقبة بن نافع بإرسال فرقة من جيشه إلى مشارف السودان.

وتكشف لنا هاته الأجوبة كذلك ما كان عليه الإمام المغيلى في دعوته الإصلاحية من الاهتمام الشديد بإصلاح أوضاع المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية.كما تظهر أهميتها في أنها لا تقتصر على المواضيع التي حوتها الأسئلة من أحوال البلاد الداخلية فقط،بل يتعلق قسم منها بعلاقة سنغاي بالإمارات والقبائل المجاورة لها ،ونظرة تلك القبائل والإمارات لسنغاي في ذلك الوقت[1].

أن تطبيق ما جاء في دعوة المغيلي الإصلاحية من مسائل الإمارة والأخلاق والآداب أتى أكله على مستوى عدة أجيال من زعماء بلاد الهوسا خاصة بين القرنين (9هـ-10هـ،15م 16م) وحتى القرن 19م .حيث أدى ذلك إلى تغيير ملموس في حياة الناس في بلاد السودان الغربي والتكرور وما يحيط بهما ،وان توصيات المغيلي الشفوية والمكتوبة لأمراء الهوسا بيّـــن،وكان هذا مرفوقا بتطوير كبير في النظام السياسي لقبيلة الهوسا تزامنا مع جهاد السكوتو في القرن الثالث عشر هجري (19م)[2].

المغيلي من خلال أجوبته على أسئلة الاسقيا ، أثبت لنا عمق اطلاعه بأصول الشرع الإسلامي وفروعه وسعة معرفته بأوضاع البلاد وعاداتها وتقاليدها .

1 - ابو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص136.

2 -ياسين شبابي- المرجع السابق-ص145.

وحول قضية الخلافة أوضح أن الذي يتولاها يجب أن يكون واعيا بمسؤولياته وواجباته تجاه رعاياه ،وعموم المسلمين بصفة عامة .أما حول قضية مدّعي العلم المزيفين ، ذكر أنه يجب الضرب على أيديهم بحزم وشدة دون رحمة وشفقة ، وبالمقابل فإن من واجبات المسلمين خلع وعزل الأمير الجائر غير العادل، الذي يتخلى عن مسؤولياته تجاه مجتمعه ورعيته. وأوضح المغيلي من خلال هاته الأجوبة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لبلاد السنغاي في تلك الفترة، وبالتالي تعتبر هذه الأجوبة وثيقة تاريخية عامة لا غنى للباحثين عنها بالنسبة لتاريخ السودان الغربي[1].

تأثر العلماء بالإمام المغيلي:

لقد تأثر العديد من العلماء بأفكار المغيلي الإصلاحية من أهمهم :

الفقيه البكري البرناوي الذي أخذ عن تلاميذ المغيلي وكان يحتج ببعض فتواه في تكفير من صدر منه ما لا يصدر إلا من الكافر، ولو لم يعتقد الكفر.

-حركة الفوديين الممثلة في الشيخ عثمان بن فودي بن محمد بن عثمان بن صالح الذي اتبع أسلوب المغيلي في حركته الإصلاحية.

بدأ الشيخ عثمان دعوته الإصلاحية وهو في العشرين من عمره، سالكا في دعوته أسلوب التدريس والوعظ الذي انتهجه الإمام المغيلي في رحلته للسودان الغربي والتكرور،ومتبعا مناهج معلميه وأسلافه الأوائل، وبذلك كثر أتباعه لتدخل دعوته الإصلاحية في مرحلة التحرك نحو قصر السلطان، فدرس فيه أكثر من خمس سنوات[2].و إذا كان المغيلي قد ألف العديد من الكتب في مختلف العلوم كالفقه، والحديث، والتفسير، والمنطق، واللغة، والسياسة الشرعية ،فان أربعة من مؤلفاته استثارت منظري الدعوة الفودية، وهي الرسائل الثلاث التي ألفها خلال إقامته في السودان الغربي بطلب من سلطان كانو والسنغاي ،ورسالته الرابعة التي ألفها في نازلة يهود توات .

فإذا عدنا إلى مؤلفات عثمان بن فودي، نجده اعتمد اعتماداً كلياً على كلام وأفكار المغيلي، ففي كتابه "سراج ألإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان "حيث قسّمه إلى عشرة فصول

1 - أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص134.

2 - ياسين شبايبى- المرجع السابق- ص148.

نقل في تسعة فصول منها كلام المغيلي في أجوبته للأسقيا ،فلو حذفنا هاته النقول المغيلية لما بقي سوى بعض فقرات قليلات، أو تعليق أو وسيلة ربط بين الكلام .

وفي رسالة أخرى لابن فودي بعنوان " تنبيه ألإخوان على أحول ارض السودان " حيث خصص الفصل السادس في هاته الرسالة لذكر وصية المغيلي لمحمد بن يعقوب أمير كانو . أما في رسالته "وثيقة أهل السودان وما شاء الله من ألإخوان "فهي عبارة عن تلخيص لرسالته الخاصة بشؤون الرعية والإمارة .وفي كتاب آخر له وهو"حصن الأفهام من جيوش الأوهام فقد نقل كلام المغيلي في عدة مواضع. وفي كتابه "أصول العدل لولاة الأمور وأهل الفضل "فقد لخص فيه ما جاء في رسالة الإمارة للمغيلي، وكلام الغزالي في كتابه "التبر المسبوك في نصيحة الملوك "حيث عمل على تلخيص الأبواب الثمانية التي تتألف منها رسالة المغيلي في نصحه لأمير كانو .

لقد تجاوز تأثر ابن فودي بالمغيلي النقولات من كتبه، إلى الاقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع، والى العمل بآرائه والاقتداء بأفكاره لتدعيم مواقفه. فقد كان المغيلي يختم كل فصل من رسالة الإمارة بعبارة يكررها هي قوله:((ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية)) فكذلك ابن فودي كان يختم كل فصل من رسالته "إحياء السنة "بعبارة أخرى وهي:((اللهم وفقنا لإتباع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم بجاهه عندك))[1].

فتاوى الإمام المغيلي في إفريقيا الغربية :

نظرا لشمولية شخصية الإمام المغيلي نظم عدة مناظرات وأنتج عدة فتاوى للإجابة عن الأسئلة التي طرحت عليه .

لقد سبق للإمام المغيلي فتوى في قضية يهود توات ،بعد أن وجّه مراسلة إلى العلماء في كل من تونس وفاس وتركيا ومصر والحجاز .

لقد استفتى المغيلي علماء عصره إقتداء بسيدنا عمر رضي الله عنه في مشاورته للصحابة في تقسيم أرض العراق بين المحاربين ، وإمساكه خراجا للمسلمين كما شاورهم في دية المرأة التي أملصت من هيبته، بجمع أراء الصحابة ليأخذ ما اتفقوا عليه على طريقه والإجماع، فقد جمع

1 -ياسين شبايبي-المرجع السابق-ص149.

المغيلي أراء فقهاء عصره في موطنه توات بالأرجح والأكثر ليرى أراء من خلفه، أو يحمل الأقل على إتباع الأكثر فذلك هو الإجماع الصحيح الذي يرتضيه كل فقيه .

سئل الإمام المغيلي عن تحليل المطلقة ثلاثا قبل الزواج فقال :(من أفتى بتحليل المطلقة ثلاثا قبل الزواج ، فهو جاهل دجال مضل يجب على من له القدرة من المسلمين أن يزجره بما استطاع من الضرب الموجع ، والحبس الطويل ، وكل ما أمكن من زجره)[1] .

تأثر العلماء بفتاوى الإمام المغيلي :

1) تأثر الشيخ الأخضري بالشيخ المغيلي :من خلال الرجز الذي نظمه على نمط رجز المغيلي، والاخضري قريب العهد والبلد بالمغيلي ، حيث ولد عام920هـ بعد وفاة المغيلي بإحدى عشر سنة ، ولما جاء الاخضري نظم سلمه على نمط رجز المغيلي في المنطق سنة 941هـ، وعمره إحدى وعشرون سنة كما قال في السلم .

وكان أوائل المحرم تأليف هذا الرجز المنظم
من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئين
ولبني إحدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة[2].

2) تأثر الشيخ البكري بالمغيلي:

من المشاهير الذين تأثروا به الشيخ البكري "البرناوي" الذي أخذ عن تلاميذ المغيلي ،وكان يحتج بفتواه في تكفير من صدر منه ما لا يصدر إلا من كافر ولو لم يعتقد الكفر .

حيث كان يحكم بتكفير بعض الفلانيين من أجل العادة التي كانوا يفعلونها في الصحاري ، وهي : أن يجتمعوا ويخرجوا مع أولادهم إلى موضع بعيد ، ويوقدون النار ويطوفون حولها ويقولون :(نحن وديعة الله ثم وديعتك أيتها النار ، وأنت أبونا وأمنا) وكان البكري يكفرهم اعتمادا على فتوى المغيلي، ولكن عارضه تلميذه عبد الله الثقة حيث يقول: إن ذلك من المعاصي ولا يكفرون عليها، لأنهم يقرون بالتوحيد ويعتقدون الإشراك مع الله في شيء[3].

1 -مقدم مبروك-الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي- المرجع السابق - ص290-291.
2 -المرجع نفسه- ص292-293.
3 -المرجع نفسه- ص295-296.

3) تأثر ابن فودي بالمغيلي:

لقد تأثر ابن فودي أولا بعلمائه في السودان، وبحركة المرابطين، وفي الأندلس بحركة الدعوة الإسلامية، كما تأثر بحركة الموحدين. ولقد تنورت أفكار ابن فودي على تلك الحركات من خلال اثأر المغيلي في غيرته على الاسلام، والدفاع عنه باللسان ثم باليد ثم بالسلاح.

لقد تأثر ابن فودي بأفكار المغيلي تأثيرا كبيرا، حتى صار ينقل من كتبه كأنما ينقل عنه مشافهة، ولقد أورد قي كتابه "حصن الأفهام"بعض فتاوى المغيلي .

لقد عزا الثقل إلى المغيلي ونسب نفسه إليه كالتلميذ الذي سمع أو اخذ منه مباشرة مع ما بينهما من بُعد العهد الذي لا يقل عن ثلاثة قرون ،مما يدل على تأثره الشديد وتعلقه بهذا الشيخ الكبير.

المغيلي والسيوطي:

عندما عزم الإمام المغيلي التوجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج رفقة بعض تلامذته،كانت إحدى محطات الطريق من تنبكتو إلى مكة مدينة أسيوط وفيها التقى بالإمام جلال الدين السيوطي فتناقشا في الكثير من القضايا فوقع الخلاف بينهما في قضية العمل والأخذ بعلم المنطق،حيث يرى السيوطي عدم الأخذ بعلم المنطق لأنه من علوم أهل الكفر ولذلك حرمه، لكن المغيلي يخالفه الرأي حيث يرى ضرورة العمل بعلم المنطق،وانه لا مانع من أخذه من الكفار، لأن معرفة الناس بالحق هو المعتمد وليس معرفة الحق بالناس.

دار الحوار بينهما وتمخضت عنه مناظرة شعرية يرد فيها كل طرف على الطرف الأخر،ومما قاله الإمام المغيلي مخاطبا السيوطي:

سمعت بأمر ماسمعت بمثله وكل حديث حكمه حكم اصله.

ايمكن ان المرء في العلم حجة وينهى عن الفرقان في بعضقوله.

الى ان يقول:

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم دليلا على شخص بمذهب مثله.

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن به لابهم اذ هم هداة لأجـــــــله.

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عالما بالشرع باح بفضله.

ورد عليه الإمام السيوطي قائلا:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني بنقل عن حبر اقر بنبله.

تعجب مني حين الفت مبدعا كتابا جموعا فيه جم بنقـــــله.

أقرر فيه النهي عن علم منطق وما قاله من قال من ذم شكله.

إلى أن يقول:

أقمت دليلا بالحديث و لم أقم دليلا على شخص بمذهب مثله.

سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله[1].

من خلال هاته المناظرة يتبين لنا أن الإمام المغيلي كان له رأيا خالف فيه علماء عصره مما يدل على أنه مجدد عصره،و لم يكن تابعا لرأي من سبقوه،في حين أن الإمام السيوطي كان يرى برأي جمهور علماء ذلك العصر لكنه اعترف برسوخ قدم الامام المغيلي في العلم وأثنى عليه،مما يدل على ألاحترام القائم بينهما رغم اختلافهما وهذا هو منهج ودأب العلماء.

آخر أيام المغيلي في بلاد السودان :

أثناء إقامة الإمام المغيلي في بلاد السنغاي عند السلطان الحاج محمد اسكيا،سمع بمقتل ابنه عبد الجبار من طرف يهود توات ،فانزعج اشد الإنزعاج لهذا الخبر الفجيع ،لأن فيه عداوة الدين وقتل الولد ،وفي ثورة الغضب الجامع طلب من السلطان إلقاء القبض على أهل توات القاطنين بغاو العاصمة ،لأنه كان يرى أن أهل توات أعانوا اليهود على قتل أبنه ،فامتثل الحاكم لأمره وزج التواتيين في السجن غير أن الشيخ محمود بن عمر اقيت المشهور بأبا المحاسن خالف الإمام المغيلي وأنكر عليه فعلته وعاتبه وقال له: ما ذنب هؤلاء هنا بالسنغاي بما فعله أولئك بتوات، فتنازل الإمام المغيلي عن رأيه وتدخل لدى ألأسقيا وطلب منه إطلاق سراحهم فامتثل لرغبته، مما يدل مكانة الإمام المغيلي عند هذا الحاكم[2].

كانت هاته الرحلات التي قام بها المغيلي في غرب إفريقيا متنقلا بين بلدانها وولاتها أعطت دفعة قوية للعلاقة بين المغرب العربي وإفريقيا الغربية وأصبح هنا نشاط تجاري حيوي يربط بين المنطقيين ، اذ لم يعد الشيخ المغيلي ذلك العالم المغاربي المتصوف فحسب ، وإنما صار إماما ذاع

1 -يحي بوعزيز -المرجع السابق-ص84-85.

2 -ابو بكر إسماعيل ميقا-المرجع السابق- بتصرف-ص178.

صيته في البلاد الإسلامية على كل لسان ، فهو المشير على الاسقيا حين استنصحه باستعمال العلماء الأتقياء الأكفاء والاستعانة بهم في تسيير شؤون الدولة ،دون اعتبار إلى أصل أو نسب. لذلك فانه وكما كان من حق بلاد المغرب أن تفتخر بهذا العالم الجليل ، فان بلاد غرب بلاد إفريقيا أحق أن يفاخر به، وعن ذلك يقول:ادم عبد الله الالوري : لم يخلد التاريخ أثر لعالم غربي أو شرقي مثل ما خلده للإمام المغيلي في غرب إفريقيا عموما ، وفي نيجيريا خصوصا[1].

إن المجهودات العظيمة التي قام بها الشيخ في هذه البلاد ،خرجت على يده مشايخ تولوا بدورهم تعليم الأجيال اللاحقة ،وبث الفكر الإصلاحي الدعوي فيهم ، وعن ذلك يقول ادم عبد الله الالوري "لقد تأثر بالمغيلي جميع العلماء الذين اجتمعوا به، أو الذين أخذوا عنه من العوام ، أو أخذوا عن تلاميذه ،حتى امتازوا عند علمائنا بمعاصري المغيلي ،وعصرهم بعصر المغيلي وقد كانت نتيجة هاته الثمرة ظهور مصلح مشهور عثمان دان فوديو والشيخ البكري البرناوي[2].

1- بوغرارة منيرة-المرجع السابق-ص88.

2 -المرجع نفسه-ص89.

الفصل الثاني

دراسة رسائل الإمام المغيلي

تقديم لرسائل المغيلي:

إذا نظرنا إلى الأثار العلمية التي خلّفها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وجدناها عبارة عن رسائل، منها ما يحمل المعنى الحقيقي للرسالة، كتلك الرسائل التي وجهها لعلماء الحواضر الإسلامية، بفاس، وتلمسان، وتونس والمذكورة في كتاب المعيار للونشريسي، ومنها ما بعث به لبعض الملوك والأمراء بالسودان الغربي كتلك التي بعثها لسلطان كانو، وسلطان غاو، وهي أقرب ما تكون إلى الكتب.

أما الصنف الثالث من آثاره العلمية، فهي عبارة عن كتب ألّفها في الفقه والمنطق والسياسة الشرعية.

1) رسالة إلى كل مسلم ومسلمة:

وهي في أصلها المخطوط الموجود بالخزائن التواتية، عبارة عن مخطوط رقيق الخط، كتبت بخط الناسخ محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني، كتبت بخط مغربي بارز في الفصول والعناوين، توجد منها نسخة بخزانة أحفاد الإمام المغيلي بزاوية الشيخ المغيلي بلدية زاوية كنتة ولاية أدرار، تحتوي هاته النسخة على 17ورقة، مكتوبة الوجه والظهر، مسطرتها 18 سطرا.

والنسخة الثانية المخطوطة، هي نسخة المكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 1508، وهي التي اعتمدها رابح بونار في تحقيقه لكتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي، أول مرّة سنة 1968م. وقد وقع الكاتب في خلط، حيث حقق هذا الكتاب بعنوان مصباح الأرواح، إنما هو في الحقيقة رسالة إلى كل مسلم ومسلمة، أما كتاب المغيلي الموسوم بمصباح الأرواح في أصول الفلاح، فهو كتاب في العقائد والتصوف، وذلك بدليل شهادة أحد العلماء الذين عايشوا المغيلي وهو أبو إسحاق إبرهيم بن هلال السجلماسي (ت 902ه)[1]

وأعيد طبعها مرة ثانية في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007،حيث يقول في مقدمة كتابه: "واسمها مصباح الأرواح في أصول الفلاح غير موجود فيها وإنما اطلقه عليها النسّاخ"[2]

1 -أحمد العملي حمدان- رسالة المغيلي في اليهود- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية –فاس –العدد 06 1983-ص99.

2 -رابح بونار-مصباح الأرواح في أصول الفلاح –الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007-ص23.

الدواعي والأسباب التي حملت المغيلي على تأليف هذه الرسالة:

سكتت كتب الطبقات والتراجم عن الأسباب والدواعي الحقيقية التي حملت المغيلي على تأليف هاته الرسالة، والظاهر أن المغيلي ألفها بسبب موقع توات من القوافل التجارية العابرة للصحراء، والدور الذي لعبه اليهود في أسواق تمنطيط، فبعد حلوله بتوات لاحظ أن اليهود قد قويت شوكتهم، وسيطروا على ذوي السلطان، و لم يعد ينطبق عليهم قوله تعالى: (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فقامت ثائرته آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر.

محتوى الرسالة: تتكون الرسالة من ثلاثة فصول :

الفصل الأول: وعنونه: "فيما يجب على المسلمين من إجتناب الكفار" وقد شرح فيه بالدليل القاطع والبرهان الساطع مسألة الإقتراب من الكافر، حيث دلّل على أقواله بالأيات القرءانية والأحاديث النبوية.

الفصل الثاني: وخصّصه للجزيه وعنونه:" فيما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار" حيث انطلق من مضمون الأية 29 من سورة التوبة : حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ .

وانطلق في دراسة موضوع الجزية من زوايا ثلاث، حيث حدد مفهومها وصفة أخذها بالذلّ والصغار، وكيفية صرف المال المترتب من جبايتها، والاجتهاد في صرفها. كما تطرق في هذا الفصل إلى تحديد مفهوم الصغار وذلك بالعودة إلى المعاجم كلسان العرب لابن منظور، حيث اعتمد آراء عمر بن الخطاب كمرجعية شرعية، فيما ذهب إليه من أحكام على أهل الذمة.

الفصل الثالث: عنونه "فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد والأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية والأركان بتولي أرباب الشوكة وخدمة السلطان"

حيث تعرض ليهود توات وتيجوارين وتافلالت ودرعة وغيرها من الحواضر الأخرى، حيث خلُص إلى نتيجة مفادها إلى أن طغيان اليهود وعدم امتثالهم لأحكام أهل الذمة فإن ذلك يحل دماءهم وأموالهم وأنه لا ذمة لهم.

رسالة المغيلي لأمير كانو[1]في شوؤن الإمارة:

من المصادر التاريخية التي لا يرقى الشك إليها، نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي، حيث ذكر في كتابه ما نصه "واجتمع بصاحب كانو واستفاد منه وكتب له رسالة في أمور السلطنة يحضه فيها على إتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرر له أحكام الشرع وقواعده"[2].

وقد ذكر الأستاذ: يحي بوعزيز في كتابه تاريخ إفريقيا الغربية، أن سلطان كانو أبو عبد الله محمد بن يعقوب رنفا، هو الذي طلب من المغيلي أن يكتب له رسالة في أمور السلطنة وشوؤنها فكتبها له عام 1492هـ[3].

والرسالة في أصلها مخطوط بخزانة أحفاد الإمام المغيلي بولاية أدرار، وقد نشرها الباحث مبروك مقدم ضمن كتابه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي[4]

الدواعي والأسباب لتأليف الرسالة:

يتضح لنا جليا من خلال قراءة نص الرسالة أن أمير كانو محمد بن يعقوب يونفا قد طلب من الإمام المغيلي أن يكتب له رسالة في شوؤن الإمارة يطلعه فيها على واجبات الأمير ومهامه، ويعلمه كيف يسير إماراته وفق الشريعة الإسلامية.

مضمون الرسالة: الرسالة تحتوي على ثمانية أبواب

الباب الأول عنونه: "فيما يجب على الأمير من حسن النية في الإمارة"

الباب الثاني عنونه: "فيما يجب على الأمير من حسن الهيئة".

الباب الثالث عنونه: "فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته".

الباب الرابع عنونه: "فيما يجب على الأمير من الحذر في الحضر والسفر".

الباب الخامس عنونه: "فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور".

الباب السادس عنونه: "فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام".

الباب السابع عنونه: "في جبي الأموال من وجوه الحلال".

---

1 -كانو من أشهر مدن الهوسة،نشطت كانو في عهد الملك التاسع يعقوب (1463/1452).

2 -أحمد بابا التمكتي –المصدر السابق-ص577.

3 -يحي بوعزيز –تاريخ إفريقيا الغربية – المرجع السابق- ص138.

4 -مبروك مقدم –الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي - المرجع السابق ص251.

الباب الثامن عنوانه: "في مصارف أموال الله".

وتعد هاته الرسالة من أشهر الرسائل التي ألفها المغيلي حيث لاقت ذيوعاً كبيراً عند الباحثين والنقاد وهناك الكثير ممن حققها وشرحها، ويعد الباحث ياسين شبايبي من أبرز الذين أعطوا للرسالة حقها، حيث خصصّ للرسالة مبحث خاص بها تحت عنوان : مقومات الدولة السلطانية بين الواجبات والحقوق وحسن السياسة. في رسالته: الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي التلمساني ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي.

3 – أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:

وتوجد منها نسخة بخزانة أحفاد المغيلي، ونسخة بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 07435، وقد نشرت أول مرة من طرف الأستاذ عبد القادر زبايدية، ثم أعيد نشرها من طرف الباحث مبروك مقدم في كتاب خاص سماه على بركة الله "أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم الميغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير".

وقد اعتمدنا النص الأخير المنشور لكونه اعتمد على عدد أكبر من النسخ، إضافة لعدة إستدراكات على النص الأول المنشور.

وهي عبارة عن أجوبة لسبع مسائل تدور حول مسائل في السياسة الشرعية وعلاقة الراعي بالراعية، وتكتسي هذه الأسئلة والأجوبة أهمية كبيرة، لكونها تكشف لنا عن الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لدولة سنغاي في عهد الأسقيين.

وسنقوم في الفصل الثالث بتسليط الضوء على هاته الرسالة التي تعتبر وثيقة تاريخية لا يستغنى عنها في التأريخ لتلك الفترة ، وذلك بشرحها وتحليها واستخراج المنهج الدعوي للإمام المغيلي منها.

4-رسالة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام:

وهي وصية الإمام المغيلي إلى سلطان كانو وهي مخطوطة وجهها المغيلي إلى أمير كانو (أبو عبيد الله محمد بن يعقوب رنفا) وقد عنونها ب:(إتباع الشرع بالأمر بالمعروف والنهي عن النكر).

ويعرف هذا المخطوط بالوصية، وقام بنشرها كل من الأستاذ أدم عبد الله الألوري في كتابه "الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا"[1].ونشر جزءاً منها قبل

[1] – هذا أول مرجع كتب كاملاً عن الإمام المغيلي، وكتب كتاب " الإسلام في نيجيريا"، حيث كتب فيه النص الكامل للرسائل.

ذلك الأستاذ رابح بونار،ومن خلال المقارنة بين النصين يتضح لنا جليا أن ما نشره رابح بونار ناقص ويفتقد إلى الدقة.[1]

–هاته المخطوطة تفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم، وذكر فيها اسمه واسم المرسولة إليه هو عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانو، وفيها إشارة في الافتتاح تشبه افتتاح مقدمة رسالة بن أبي زيد القيرواني، في قوله:(فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإيّاك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه).

وافتتح نصيحته بعقاب الإفساد والمفسدين وأعطى الحلول للحكام قي معاقبتهم بالطعن والحبس والضرب والصلب والقتل فقال:"ولكل داء دواء ولكل مقام مقال".

وثنا بالابتعاد عن الكبائر ومحاربتهم من الشرك وكشف العورة وشرب الخمر، وأكل الميتة، والدم والزنا، والإفطار في رمضان، إلى غيرها من الكبائر المنتشرة في بلاد السودان، والسودان الغربي اليوم لا يزال يعاني من بعض المشاكل التي تقف ضدّ تقدمه، كما لا يزال التمسك بالدين خفيفاً يحتاج إلى دعاة مثل المغيلي يعرفون خفايا وخبايا هذا المجتمع الذي نكن له المحبة والاحترام والتقدير فهل من منقذ لهاته المجتمعات وإصلاحها من الشوائب المتعلقة بها.

وأعطى في عقاب المفسد قاعدة أصولية وهي قوله: "ولا تفعل بالمفسد ما هو أشد في ردعه إلا إذا رأيت انه لا يرجع بغيره". وهنا يشير المغيلي في هاته القاعدة أنه يجب البدء بالعقاب السهل والبسيط، فإن لم ينفع ينتقل به إلى العقاب الصعب والأكبر، وهذا ينطبق على قوله تعالى: ((وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾ السجدة 21 رجوعاً إلى ما أشار به الدكتور: أحمد بن محمد في محاضرته بكلية الشريعة بباتنه.

وحذّر من بيع تلقي الركبان وأمر بمعاقبتهم إن لم ينتهوا عن هذا الفعل لقوله صلى الله عليه وسلم ((لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد)) متفق عليه. لأن مقصد الشارع هو درء المفاسد وجلب المصالح: (وإن تعارضت مفسدتان أكبر من الأخرى، فدرء المفسدة الكبرى أولى، وأن تعارضت مفسدتان أحدهما دينية والأخرى دنيويه، فدرء المفسدة الدنيوية أولى).

1 –منيرة بوغرارة –المرجع السابق –ص58.

ثم نصح الأمير أن يكون عادلا في حكمه بين الصغير، والكبير والفقير والغني، والعالم والجاهل، وأن يقيم حدود الله دون خوف أو عاطفة، ومن المصطلحات التي يستعملها المغيلي في رسائله "وليس الخبر كالعيان والله المستعان وعليه التكلان".

وفي الختام نصحه بعدم تغيير حكم الله لأنه يخرج صاحبه عن المّلة ويصبح في حكم الكافر، لأنه صيّر الباطل حقا، والحق باطلا، ولا تعطي منصب القضاء إلا لعالم تقي لا يأخذ الرشا ولا يحكم بالهوى، وختمها بقوله: الله الله الله.[1]

سبب تأليفه لهذه الرسالة:

ألف هاته الرسالة طلباً من أمير كانو أبي عبد الله محمد بن يعقوب الذي طلب منه أن يكتب له رسالة يوضح له فيها كيف يقوم بردع الناس عن ارتكاب الحرام، فأجابه لرغبته وكتب له هاته الرسالة وشرح له فيها كيف يمكن أن يحكم بلاده وشعبه ورعيته، وفق الشريعة الإسلامية، ومقاومة العادات الوثنية.

ومن خلال قراءة هاته الرسالة يتضح لنا أن المغيلي كان على إطلاع واسع بأوضاع السودان الغربي السياسية والإقتصادية والإجتماعيه وعاداته وتقاليده، ويظهر لنا إنه كان حريصا على أن يسود الشرع الإسلامي في هاته البلدان، شعبا وحكاما قولا وعملا.[2]

5-الرسالة الإستخلافيه لابنه عبد الجبار:

قبل سفر الإمام المغيلي إلى السودان الغربي خلّف بعده ابنه عبد الجبار أميراً، وقائداً على منطقة توات وكتب له هاته الرسالة الإستخلافية.

والرسالة موجودة في مخطوط أضواء على إقليم توات لمحمد بن عبد الكريم البكري ونص الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وأله: من عبد الله تعالى محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي إلى جميع المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإن المؤمنين إخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضا. وقد علمتم ما كنت فيه من الجهاد في الكفرة وأهل الفساد، حتى توليت بالولاية الشرعية على جميع ناحية توات وغيرت فيها من المنكرات ما لا يحصى، ثم استخلفت ولدي محمد(يقصد عبد الجبار) عند سفري لعلمي أنه أهل لذلك إن وفقه الله

1- مبروك مقدم- الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي- المرجع السابق- ص100-104.

2 -يحي بوعزيز- تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية- المرجع السابق- ص80.

وأعانه وقد أوصيته بتقوى الله في جميع أموره وأكدت عليه وعلى جميع إخوانه أن تكون جميع أمورهم من قتال وغيره على نصرة ثلاثة أشياء وهي: نصرة دين الله، ومن ينصر دينه،ومن لا ناصر له إلا الله. ولم أسمع عنه في غيبتي إلا الخير والعزم والنصر، إلا إن الكلام ثرجمان الشيطان لا يزال يطغى على أيـــمة العدل والإحسان بالكذب والبهتان، في كل زمان فلا يصرفهم عاقل صحيح الإيمان، وكيف يصرفهم عاقل وقد سبقت إذايتهم لأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله أجمعين إنتهى"[1].

الهدف من كتابة هاته الرسالة:

كتب الإمام المغيلي هاته الرسالة الاستخلافية وهو يهدف إلى ثلاث مسائل:

1) إشعار المسلمين بالداخل والخارج بتولية ابنه مكانه.

وهذا يوضح لنا بأن الإمام المغيلي كان قائداً وقاضياً في منطقة توات على كامل قصورها بعد طرده لليهود وكان هو الحاكم الشرعي في المنطقة. وذلك بسيطرته على كامل القصور ولم يترك للقبائل التي عارضته أي سلطة تذكر خاصة قبيلة أولاد علي بن موسى، وانتقلت بذلك عاصمة توات من تمنطيط إلى نواحي بوعلي[2].

2) إظهار وبيان تولية ابنه عبد الجبار الشرعية على كامل قصور توات وأخذ مكانه أثناء غيابه وهو المتصرف الأول في أمور هاته المنطقة مما يظهر لنا أن الإمام المغيلي لم يجد من يصلح لهذه المهمة إلا ابنه لما له من مكانة علمية ودينية في المجتمع، فكل من وصفه كان يقول بأنه يشبه والده في الشجاعة والإقدام، وكان عالما متمكنا في العلوم الشرعية.

إن الإمام المغيلي كان ثاقب النظر في هذا الأمر فلم يطرح أعباء هاته الإمارة على أحد تلاميذته أو المقربين إليه لعدم ثقة المغيلي في رؤساء القبائل جعل ابنه عبد الجبار قائد جيشه الذي يسهر على حماية النظام بتوات، وضبط القوانين الشرعية وخضعت لسلطته جميع النواحي. قال التمنطيطي: "فلما مهدّ الأرض استخلف ولده عبد الجبار وغاب لأرض التكرور"[3]. أو لأنه لا يريد أن يقحم أحداً خارج عائلته في هذا الأمر الثقيل والصعب، لأنه كان يعرف عقلية أهل

1 -مبروك مقدم- الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي- المرجع السابق-ص151-152.

2 - أحمد الحمدي – المرجع السابق- ص54.

3- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي- التقييد- و1ظ.

توات فربما يسقط بالمساومة أو المال أو القتل فإنه يتحمله أولا أفراد عائلته، إقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام.

وهذا العمل من صفات الأبطال الشجعان الذين يقدّمون أبناءهم وإخوانهم في مقدمة الجيش، ولا يرجعون إلى الخلف.

1) وصيّ ابنه بثلاثة أشياء وهي: نصرة دين الله،ونصرة من ينصر دينه، ونصرة من لا ناصر له إلا الله. وأوصاه بتقوى الله في جميع أموره.

وهو بذلك يكون قد أعطى لابنه الميثاق الغليظ الذي ينجيه عند الشدائد وهو التوكل على الله ونصرة دين الله ونصرة المتمسكين بالحق، فمن نصر الله نصره الله على أعدائه.

6) رسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح:

وهو مخطوط[1] وصفه أحمد بابا التنبكتي بقوله "كتاب عجيب في كراسين أرسله للسنوسي وابن غازي فقرظاه[2]، وهو يتحدث في التوحيد ويتصل موضوعه بمباحث العقيدة وربما عناه الشيخ محمد بن عسكر حين قال "ووصل كتابه إلى حضرة فاس فطالعه الفقهاء، فمنهم من أنف ، ومنهم من أنصف وكان شيخ الجماعة الإمام أبو عبد الله بن غازي ممن أنصف، وكتب على ظهر كتابه: هذا كتاب جليل صدر عن نص نبيل، وعلم بالصواب كفيل وصاحبه غريب في هذا الجيل...."".

ويدخل هذا المخطوط تحت الرسائل التي بعثها المغيلي لعلماء فاس يريد أن يبين رأيه في العديد من قضايا التوحيد والعقيدة.

وهذا المخطوط تعرّض فيه الإمام المغيلي إلى قضايا مهمة جداً، لا يزال الجدال فيها متواصل حتى الآن، مثل مسألة التأويل في الصفات. حيث يرى الإمام المغيلي إن الحديث عن ذات الله تعالى وصفاته، لا يجوز الخوض فيها بالظن في الأقوال والأعمال، خاصة وإن وجوه الاحتمالات في كلام العرب كثيرة، وكل مسلم عاقل لا يخمن ولا يحكم على مراد الله بالظن. قال الشيخ المغيلي: "ويلزم التوقف في الأحكام السمعية على السمع، وهو أنفع لأهل الميمنة، وأقطع لشبهة أي مشبه، وهكذا يسلم الإنسان من التقول على الله بالظن والتخمين، لأن ذلك غيباً جملة وتفصيلاً"[3]. ونجده

1 – توجد نسخة منه مصورة بمتحف زاوية الشيخ بتوات.

2 – أحمد بابا– نيل الإبتهاج– المصدر السابق– ص.577

3- المغيلي– مصباح الأرواح في أصول الفلاح– و6ظ.

قد فصّل في هاته القضية تفصيلاً واضحاً يبيّن فيه إن الإلتزام بمذهب السنة وهو التوقف في تأويل الصفات آمن وأسلم للمؤمن ولعقيدته حتى لا يقع في الشرك .

وتعرض لأشياء مهمة مثل: عدم تكفير أحد من أهل القبلة إلا بشروط. وقضية تصديق الكاهن بما يجبر كفر، وقضية لا يبلغ الولي درجة الأنبياء . ومن خلال قراءة أراء المغيلي العقدية نجد أنه متمكن المحبة في السنة، يأخذ بأراء ومذهب الجمهور عند الحديث في العقيدة الإسلامية، وينكر على غيره من العلماء عند الخوض في أشياء غيبية لا يعلمها إلا الله لأن العقل البشري متصف بالقصور وعدم الإدراك. وهو بذلك لا يتهاون مع الذين يتخذون من علم الكلام هدفاً في حدّ ذاته، لأنه جاء للرد على الشبهات التي أثارها أعداء الملة الإسلامية.[1]

وهذا ما يؤيد إن الإمام المغيلي لم يكن منغلق على نفسه وإنما كان يراسل العلماء، ويبدي رأيه ويصحح ما كان فيه من خطأ أو زيغ وهذا من صفات العالم المتواضع المتفتح على الأراء الأخرى، وهذا ما لمسنه في شخصية الإمام المغيلي.

7) رسالة: الرد على المعتزلة:

رسالة مخطوطة توجد نسخة منها بمتحف زاوية الشيخ المغيلي بتوات، هاته الرسالة رد فيها عن أراء المعتزلة الكلامية وألف هاته الرسالة بطلب من بعض زملائه العلماء في بلاد المغرب لمناصرة أهل السنة، وفي هاته المخطوطة نلاحظ أن المغيلى لا يرد على عقائد المعتزلة الفاسدة رداً مباشراً بقدر ما يركز على توضيح رأي أهل السنة حول فكرة الاشتغال بعلم الكلام. وهذا يدل على تواجد المذهب الاعتزالي في هذه الفترة بالمغرب الإسلامي.

يقول في مقدمتها موجّها الكلام إلى هذا السائل: "أعاننا الله وإيّاك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة في الردّ على المعتزلة في اعتقادهم الفاسدة، وذكرت لي أن طائفة العزابية[2] ببلاد المغرب بينهم قوم من المالكية لا قوة لهم ولا علم عندهم، وطلبت مني أن أذكر لك أدلة تنصرهم عليهم".[3]

4- أحمد الحمدي- المرجع السابق- ص92.

2 – هم بقية من العزابية الذين سكنوا البوادي والقرى النائية للإكتفاء بنجاة أنفسهم بعدما تنكر لهم الخليفة المتوكل (232-248) وقضى عليهم سنة237هـ إذا أمر بإحراق كتبهم ومصادرها وتعقب زعمائهم في كل مكان.

3 – المغيلي –الرد على المعتزلة- و1ظ

فالإمام المغيلي في هاته الرسالة في رده على المعتزلة لا يناقش عقائدهم، بل يتطرق إلى حقيقة اشتغالهم بعلم الكلام ويبين أن المعتزلة لم تتبع أثر النبيء صلى الله عليه وسلم عند تناولها لنصوص الكتاب والسنة ويحذّر من إتباع فكر ومنهج المعتزلة سداً للذريعة حيث يقول الإمام المغيلي: "فالإتيان بالباطل لإبطاله ليس كالإتيان بالباطل لإثباته". ويرد الإمام المغيلي في هاته الرسالة على الشبه التي ينشرها المعتزلة مثل: الاختلاف في الأصول حيث يقول: "أما اختلاف الفرق فبدعة لأنهم اختلفوا في الأصول الاعتقادية التي استوفاها الشارع"[1].

ويرد عليهم قضية استعمال العقل في كل الأشياء دون الرجوع إلى الوحي من خلال استعمال الفلسفة والمنطق والعقل، لأن الفيلسوف يقوم باستعمال العقل والجمل المنطقية وبواسطتها يؤسس اعتقاده. كما ردّ على شبهة الأمور التي تأتي من جهة الشيطان وكيف إنهم يتبعونها وينفخون فيها حيث يقول المغيلي "الخوض في وسوسة الشيطان بذكرها في العقائد ونحوها إظهاراً للفساد وإضلالاً للعباد، الواجب في نزغات الشيطان الإعراض عنها والاستعاذة بالله منها، وأنتم قد أتبعهم الشيطان في كثير منها وتكلفتم له بتبليغها واجتهدتم في تزيينها وحمل الناس عليها، وكان الشيطان يوسوس في صدوركم وأنتم توسوسون في صدور الناس بما وسوس لكم"[2]. ومثال شُبه المعتزلة التي أتبعوا فيها الشيطان مسألة: خلق القراءن.

ويتعرض إلى مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى ورأى المعتزلة فيها وينتصر دائما لرأي أهل السنة والجماعة، والمعتزلة في هاته المسألة ينفون رؤية الله تعالى في الاخرة ويجعلون قوله تعالى ((لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿١٠٣﴾ الأنعام 103 هو المحكم، أما المتشابه

فقوله عز وجل وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ القيامة 22-23 ويرد عليهم المغيلي بقوله "إختلس اللعين بعض الناس للنظر في أمور خفية، وخيّرهم بشبه واحتمالات عقلية، ثم دعاهم لأصول فلسفية، وأوهمهم أن بذلك تدرك الحقائق العلمية، وتنتفي الشبه الوهميه. فلما أخرجهم من النور إلى الظلمات شتت شملهم لجهات، فظهرت البدع واختلفت الأراء، وتعارضت الأدلة نفيا وإثباتا"[3].

---

1 - المغيلي-المصدر السابق- و3ظ.

2 - المصدر نفسه - و6 ظ.

3 - المغيلي- الرسالة الثانية- ص233.

8) فصل الخطاب في ردّ الفكر إلى الصواب: وهي رسالة كتبها الإمام المغيلي تتعلق بعلم المنطق،وهي مخطوطة موجودة بين إيدينا بخزانة أحفاد الشيخ المغيلي، تتكون من 13 ورقة ظهر فقط بخط واضح ومقروء.

هاته المخطوطة قام بنشرها أدم عبد الله الألوري[1]

فالإمام المغيلي يمثل نظرة علماء المغرب والأندلس الذين يعطون الأولية للنقل ويؤيدونه بالعقل في بعض الأمور أما الإمام السيوطي فنجده يدافع عن نظرة علماء المشرق الذين يلتزمون بالنصوص ويحاولون تقليد الأوائل.

فالمغيلي من أنصار المنطق واستعمله في جميع مؤلفاته فهو يعرض أفكاره بسهولة ودون تعقيد ويحاول تقليد ابن سينا وابن رشد.[2]

فالإمام المغيلي في هذا المخطوط يشرح القضايا المنطقية التي كان الفلاسفة يناقشونها في كتبهم مثل أرسطو وسقراط.

والمغيلي في هذا الأمر نجد انه قد فاق أقرانه وزملائه العلماء وسبق عصره فارتقى وتفتّح وناقش القضايا المنطقية بعقلية الفيلسوف وبذلك أعطى بصمة رائعة في هذا المجال للعالم والإمام والمفكر حتى لا يقال بأن هذا العلم مقتصر على الغرب ومفكريه.

والمغيلي جمع بين المفهومين بأن جعل المنطق علما وألة في الوقت نفسه حيث قال: "والحقيقة أنه علم بالنظر لنفسه، ألة بالنظر إلى غيره ، فعلى الأول قالوا المنطق علم، يتعلم فيه كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذّهن لأمور مستحصلة فيه، وعلى الثاني قالوا المنطق ألة قانونية، تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر"[3].

ثم بيّن الإمام المغيلي في مخطوطه مبادئ التصورات ويقسّمها إلى نظرية وضروية، واهتم المغيلي بالدلالة الوضعية والتي قسّمها إلى ستة أقسام (دلالة لفظية وضعية، دلالة لفظية طبيعية، دلالة لفظية عقلية، دلالة غير لفظية وضعية، دلالة غير لفظية طبيعية، دلالة غير لفظية عقلية)[4].

---

1 – في كتابه: الإمام المغيلي وأثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا ص25-28.

2 – أحمد الحمدي – المرجع السابق- ص141.

3 – المغيلي – فصل الخطاب –و1.

4 – المغيلي – ا لمصدر السابق–و4.

ثم يتحدث عن مقاصد التصورات ويقسّمها إلى أربعة أقسام: حد تام ، حد ناقص، ورسم تام ، ورسم ناقص.

ثم ينتقل إلى مبادئ التصديقات ويقصد به الخبر الذي هو القضية وينقسم الخبر إلى قسمين: خبر حملي، وخبر شرطي ويشرح الخبر الحملي وأقسامه والخبر الشرطي وأقسامه، ثم ينتقل إلى مقاصد التصديقات: وهي القياس بنوعيه: الأقتراني والإستثنائى ويعرف المغيلي القياس بقوله "بأنه قول مركب من قضيتين فأكثر مستلزما بالذات قولا اخر"[1]

ويقسم القياس إلى قسمين :

القياس اللاقتراني : الذي يتكون من ثلاثة أجزاء : حد اصغر ،حد أوسط ،حد أكبر.

القياس الاستثنائى : وهو ضربان : القياس الشر طي المتصل والقياس الشرطي المنفصل[2].

1 - المغيلي - فصل الخطاب–و10.

2 - أحمد الحمدي – المرجع السابق – ص148.

عند دراستنا لرسائل التي ألفها الإمام المغيلى نجد أن هاته الرسائل تتنوع حسب الحاجة والطلب فاغلب هاته الرسائل لم يؤلفها من عنده وإنما بطلب من أحد العلماء أو الأمراء أو الشعب العادي وتتنوع هاته الرسائل حسب الموضوع الذي ألفت فيه فنجده ألف رسالة في اليهود ،تدخل تحت الجهاد والتغيير وعدم السكوت عن المنكر والباطل، فكانت هاته الرسالة المسماة: (رسالة إلى كل مسلم ومسلمة). وجهر برأيه عاليا ودلّل عليه و لم يخرج عن رأى الجماعة، ونجده في هاته القضية أتبع الفعل بالقول، وعمل على طرد اليهود من منطقة توات وكان له الفضل في ذلك.

كما ألف رسالة في أمور الإمارة والسلطنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطلب من أمير كانو محمد بن يعقوب ، وهنا تتجلى شخصية الشيخ المفكّر السياسي له خبرة بأمور الدولة والإدارة وتقسيمها، وهو أهل لذلك.

كما ألف رسالة في تغيير أحوال بلاد الأسكيا محمد حيث أجاب له عن الأسئلة السبعة التي طرحها عليه وهو بذلك مصلحا إجتماعياً خبيرًا وملتصقا بأحوال المجتمع ويعرف ما يدور في الخفا.

كما ألف رسالة في أمور العقيدة والتوحيد وبعثها للإمام السنوسي يعرب فيها عن رأيه في القضايا العقدية ويأتي رد العلماء الذين قرأوا الرسالة بالإيجاب والإعجاب وإنصاف الرجل وعلمه مما يدل على أنه للإمام باع كبير في هاته القضايا العقدية.

كما أنه لم يكتف بالأمور السياسية والعقدية وإنما ذهب إلى أهل الفكر والعقل فألف رسالة في الرد على المعتزلة وإبطال الشبهات التي كانوا ينشرونها في المجتمع.

وألف رسالة أخرى وهي التي امتاز بها في عصره، وهي رسالة المنطق: وأظهر بأن له باع كبير في هذا العلم وانه يفهم ما يقوم به الفلاسفة أنذاك، وأعطانا صورة واضحة عن المنطق من يقرأها يقول أن الشيخ كان فيلسوفا و لم يكن صوفيا.

القارئ لهاته الرسائل يتبادر إلى ذهنه أن الإمام المغيلي لم يكن قد عاش في القرن 9هـ وإنما عاش في القرن 14هـ 19م لأن كلامه وتفكيره تفكير معاصر سبق زمانه بمئات السنين، حيث يشبه فكر الشيخ محمد الغزالي في الكثير من الأفكار.

ويأتي عبد الله الألوري ويصف أسلوب المغيلي في رسائله فيقول: "ولكن المغيلي يمتاز في مجموعته هذه بإيجاز من غير خلل، وتفصيل من غير ملل بأسلوب أدبي جذاب يغلب عليه السجع المطاوع المنسجم، وطابع النثر الفني من غير تكلف ولا تعسف. وذلك مما يترجم عن شخصية المغيلي

الأدبية ورسوخ قدمه ونضوح علمه وبلورة فهمه لأصول الشريعة الإسلامية، وتمكنه من أصول المذهب المالكي الذي امتاز على سائر المذاهب بالمصالح المرسلة وسد الذرائع، بالإضافة إلى نصوص الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس. وتلك الوصية وهذه المجموعة ترفعان منـــزلة المغيلي الأدبية. وتنـــزلانه الذروة الفقهية بين الفقهاء النابـــهين ذوي الثقافات الواسعة. وسيرى العلماء الواقفون عليها قدرته الفائقة، وبراعته البالغة، وثروته العلمية، وفيضته الغزيرة."[1]

والملاحظة الأبرز في أسلوب المغيلي وهي الدقة في الطرح والأسلوب السهل الممتنع، بالإضافة إلى الإختصار فكلاماته كلّها مختصرة لا نجده يكثر الكلام ولا يشرح كلامه ولا يعطي التفاصيل، وقد أعطاه الله جوامع الكلم فكلاماته القصيرة تتركك تتمعن فيها وتستخرج منها الأفكار والمعاني التي تعمّر المجلدات.

وهذا الكلام لم يصدر عن إعجاب أو افتخار أو مدح زائد للإمام ومن يشك في هذا الكلام عليه أن يقرأ ويمعن النظر في أي من هاته الرسائل، فيرى أنه لم يكن يعرف إلا الشئ القليل عن هذا العلم المغمور.

1 – أدم عبد الله الألوري– الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا– مطبعة مصطفى البابي– القاهرة 1974– ص40.

تعددت وسائل الدعوة عند الإمام المغيلي طول حياته الدعوية المليئة بالإنجازات المؤثرة على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وعلى الصعيد المحلي والعالمي.

والمغيلي في دعوته استعمل جميع الوسائل التي أتقنها، فاستعمل المراسلات والرسائل وكان معروفا بـــها، حتى أن أغلب مؤلفاته عبارة عن رسائل، أشهرها رسالته في اليهود التي لاقت ذيوعا عالميا حتى أصبحت قضية الساعة.

واستعمل الخطابة عندما كان يدعوا الجماهير، ويحث على الجهاد، واضطهاد اليهود وطردهم من أراضي المسلمين.

و لم يكتف بذلك حيث أنه استعمل التأليف والتنظير للمسائل الفقهية والعقدية ومؤلفاته دليل على ذلك.

كما أن المغيلي لم يعتكف على نفسه ينتظر من يأتي إليه، بل إنه ضرب في الأرض طلبا للحق وبحثا عنه في رحلته لفاس، وطلبا للتغيير والإصلاح في السودان الغربي، وجولانه في الكثير من الأماكن والممالك والأمراء، و لم يبق عند واحد منهم فقط ، وكانت مدة مكوثه هناك قرابة ربع قرن، وهو يصلح ويؤلف ويعلم وينظر، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وينصح أولي الأمر.

و لم يكتف المغيلي بهاته الأشياء كلها في دعوته، بل إنه استعمل المناظرات مع أقرانه من العلماء والفقهاء، ومن أشهر مناظراته: مناظرته في المنطق مع الإمام السيوطي.

كما استعمل الإمام المغيلي أسلوبا حكيما في دعوته قلّما يستعمله الدعاة والعلماء، وهو التقرب إلى الحكام والأمراء والسلاطين، وبفضل هذا الأسلوب استطاع أن يقرب الحاكم من شعبه، ويحبب الشعب في حاكمه، وتمكن من إصلاح الكثير من الأمراض السائدة في المجتمع، بحكمة العالم وعصا السلطان.

1) الرسائل والمراسلات:

نقصد في هذا الباب الرسائل والمراسلات: هي تلك الرسائل التي كتبها الإمام المغيلي، وأرسلها إلى العلماء والفقهاء الذين يجاورنه في المغرب العربي، وهو بذلك يريد أن يعرف ردّة فعل هؤلاء العلماء على ما يكتبه، وما يعتقده من أفكار. ويريد أيضا مشاورتهم فيما يقوله وإعطاء رأيهم ومناقشتهم، وهو بذلك يعطي لأفكاره وكتبه وأحكامه مصداقية دينية عالمية، حتى لا يكون وحيدا بعيدا عن العالم، ولا يعرف ما يدور حوله، فكتب هاته الرسائل وبعثها إلى الأمصار يريد معرفة ما يدور هناك من بعيد.

رسالته في أهل الذمة: (رسالة إلى كل مسلم ومسلمة) :

ولعل أهم رسالة ألفها المغيلي وألقت رواجاً كبيراً، وأحدثت مناقشة حارة بين العلماء بين مؤيد ومعارض، ولازالت نتائجها وتأثيراتـــها تدور حتى الآن، بين العلماء والمفكرين والكتاب. وهاته الرسالة هي رسالته في يهود توات، وموضوعها يتحدث عن أحكام أهل الذّمة عموما واليهود خصوصاً، ولعل أهم عنوان لهاته الرسالة القيمة هو "فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، وما يلزم أهل الذّمة من الجزية والصغار، وما هو عليه يهود هذا الزمان من الجرأة والطغيان".

وقسم هاته الرسالة إلى ثلاث فصول. الفصل الأول: (فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار) وقد شرح فيه بدلائل عقلية، وشرعية، وقطعية: أن مسألة القرب من الكافر لا يقبلها سوى من لا دين ولا عقل له ولا مروءة.

أما الفصل الثاني: فقد خصّصه الإمام المغيلي للجزية، وعنونه:(فيما يلزم أهل الذّمة من الجزية والصغار)، حيث تعرض فيه لإحكام أهل الذّمة بالأيات القرأنية والأحاديث النبوية، وشرح معنى الصغار والإذلال، واعتمد على ما ورد في "العهد العمري" المتعلق بأهل الذّمة و لم يزد و لم ينقص.

أما الفصل الثالث فقد عنونه ب"فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان"، وتعرض فيه ليهود توات وتيجرارين وتافلالت ودرعة وغيرها من الأوطان، وانتهى إلى أن طغيانـــهم وتـــمردهم على الأحكام الشرعية يحل دماءهم وأموالهم ونساءهم وأنه لا ذّمة لهم.[1]

---

1 -المغيلي –رسالة في اليهود: ت :عبد الرحيم بنجادة-عمر بنميرة.ط1 2005 – دار قرفي للطباعة والنشر ص(14-17) بتصرف.

وبعث برسالته إلى جميع الأمصار من فاس وتونس وتلمسان، ولقي رأيه في اليهود معارضة كبيرة وحادة خاصة من طرف قاضي توات أنذاك: الشيخ عبد الله العصنوني. وبوصول رسالته إلى العلماء وقراءتـــها وتحليها، انقسم رأي العلماء بين مؤيد ومعارض وهذا ما أحدث شغباً كبيراً في الأوساط الشعبية أنذاك باختلاف العلماء، فلم يجد العامة بدّ من الإنقسام كل فئة تساند رأي قسم معين.

القسم المساند:

أهم العلماء الذين ساندوا المغيلي في رأيه الإمام أحمد الونشريسي وإبراهيم بن عبد الرحمان الفيجيجي، وأبو مهدي الماواسي، وعبد الرحمان بن سبع التلمساني ، وكذا السنوسي والتنسي، وكذلك فقيه تونس ومفتيها الرصاع، والعلامة أبو القاسم العبدوسي.[1]

وهؤلاء العلماء لم يكونوا من الفقهاء الصغار، وإنما كان لهم شأن كبير وتأثير شديد على المجتمع، فبرأيهم يسير العديد من الشعوب والمجتمعات. وكل واحد من هؤلاء العلماء لّما وصلته الرسالة وعرف فتوى المغيلي ردّ عن هاته الرسالة برسالة أخرى يوضح فيها رأيه ومساندته للإمام المغيلي وهذا أعطى حرارة كبيرة للمجتمعات، بـــهاته الفتوى التي لاقت ذيوعاً في العالم أنذاك حيث كانت صفعةً شديدةً لأنصار اليهود والذين كانوا يساندونهم، وهذا يدخل تحت علماء السلطان، الذين ينقادون تحت طاعة السلطان والتزلف له وحب الدنيا والجاه، ونحن هنا لا ننكر فضل العلماء الذين عارضوا المغيلي في رأيه، فلكلّ نظرته للموضوع. فرأيه قد يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب. لكننا ندرج هنا أن العلماء صنفان: صنف يقول الحق ولو على قطع رقبته، قال تعالى: "يأيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين...". وعلماء لا همّ لهم إلاّ رضا السلطان والحاكم، فهم يتزلفون له ويتوددون، حتى أن فتاواهم تكون حسب حاجة السلطان، وإن كانت مناقضة للشرع.

وحتى لا أترك القلم ينساب في مدح المغيلي ورأيه والإعجاب بفتواه انتقل مباشرة إلى القسم الأخر وهو:

1- محمد سالم –المرجع السابق –ص42.

القسم المعارض: لفتوى المغيلي ويتزعمه القاضي عبد الله العصنوني قاضي توات الذي أفـــتى بأن اليهود في توات في غاية الذّل والصغار، كما أن بيعهم هي بين ديّارهم ولا تلاصق ديّار أي مسلم[1].

ومن بين العلماء الذين وافقوا الإمام العصنوني في فتواه: الشيخ ابن زكري التلمساني الذي رأى بأن المحققين في المذهب المالكي لا يقولون بهدم هذه الكنائس.

ووقف إلى جانبهم الشيخ أبي زكريا بن أبي البركات: الذى رأى بان الكنائس لا تهدم وقال: "لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ولا سيّما إذا بدت لذلك أمارات وقامت عليه دلالات تقتضي تحريم الخوض في ذلك، كما هو المقرر في تغيير المنكر إذا كان مؤديا إلى منكر أعظم منه، ولو كان المنكر الذي أريد تغييره مجمعاً عليه"[2].

وقد عزز فتواه الشيخ عبد الرحمان بن سعيد الذي رأى بأن البيع والكنائس تقر من غير نكير وقال: "وبهذا أخذ الناس، ومضت عليه الأمصار والأعصار وعمل بذلك الخلف بعد السلف"[3].

وإذا كان الإمام المغيلي وأفكاره لاقت معارضة في ذلك الزمان من طرف أغلب العلماء والفقهاء أنذاك، لا نستطيع أن نقول أن الإمام المغيلي كان خاطئاً أو منحرفاً عن الصواب في فتواه، فهو لم يخترع أو ينفرد بهاته الفتوى، وإنما كان ناقلاً لها من التأريخ الإسلامي، وما حكم به الصحابي الجليل سعد بن معاذ في يهود بني قريظة في سنة 5هـــ وأشار إليهم بإشارة الذبح، وما حكم به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في نصارى الشام.

ويأتي اليوم من بني جلدتنا من يصف المغيلي بالتطرف وأنه كان متطرفاً في فتواه ضدّ اليهود، فهو إرهابي بالمعنى الحقيقي، يستعمل كلمات تنتمي إلى قاموس التطرف فيقول بالحرف الواحد: (إن هذا النص وبقراءته بشكل متأن يجعلنا نرى ومن خلال الإستعمالات المتكررة لكلمات كلها تنتمي إلى حقل دلالي يحيل على العنف، إنه تطرف إلى أبعد الحدود في تأويل النص القرآني فقد ترددت في هذا المقتطف كلمات:

-العداء: العدو أربع مرات.

-الصغار: ثلاث مرات.

1- ياسين شبايبي- المرجع السابق- ص113.

2 - الونشريسي- المعيار- المصدر السابق-ج2- ص231.

3 -المصدر نفسه- ص216.

-القتل: مرتان.

-الحرق بالنار: مرة واحدة.

فهي كلها كلمات تنتمي إلى قاموس التطرف، غير إحالة هذا النص على المرحلة الزمنية التي كان نتاجها لا ينبغي أن تذهب بنا إلى أبعد من هذا الحد)[1].

فإذا كان المغيلي متطرفاً في فتواه التي أدت إلى طرد اليهود من توات ومن أغلب البلدان المجاورة لها. فنعم التطرف هذا وكلنا متطرفون، وامتطرفاه وامتطرفاه وامتطرفاه لطرد اليهود من أولى القبلتين وثالث الحرمين الأقصى العزيز. هل من ماغيلاه لطرد اليهود وإنقاذ المسلمين من الذّلة والصغار.

وإذا كان المغيلي متطرفاً في فتواه وخارجاً عن الحكم الشرعي فإن من وافقه في فتواه كالسنوسي والونشريسي والتنسي كلهم متطرفون، وهذا ما لا يخطر على البال.

ولقد استطال محقق هاته الرسالة (رسالة في اليهود) على الإمام المغيلي ووصفه بقوله: (والظاهر أن المغيلي لم يكن موفقاً في اختيار النمادج التاريخية لتعزيز الفتوى، وهذا يدل على ضعف الثقافة التاريخية للرجل، إضافة إلى محدودية ثقافته الفقهية، التي برزت في تعامله مع النصوص القرءانية والأحاديث النبوية)[2].

والمدقق في كلام المحقق يصل إلى أنه لا يعرف الإمام المغيلي حق المعرفة ولا يعرف حياته ودراسته ورحلته، أو أنه متطاول على هاته الشخصية وله خلفية تاريخية أو سياسية ضد الرجل أو أنه مدسوس من طرف اليهود لإعطاء النظرة السلبية للمسلمين على حياة الإمام المغيلي.

الرسالة الثانية: مصباح الأرواح في أصول الفلاح

وهناك رسالة أخرى في علم الكلام بعثها المغيلي إلى علماء فاس ليطالعوها وليعطوا ردودهم على ما فيها.وهاته الرسالة معنونة ب:(مصباح الأرواح في أصول الفلاح)[3] وهو كتاب في التوحيد يتصل موضوعه بعلم العقيدة وربما عناه الشيخ محمد بن عسكر حين قال: "ووصل كتابه إلى حضرة علماء فاس فطالعه الفقهاء، فمنهم من أنف ومنهم من أنصف وكان شيخ الجماعة أبو عبد

---

1 -عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة- المرجع السابق- ص16.

2 - المرجع نفسه- ص23. وهذا الكلام يعد تطاولاً على شخصية هذا العالم ولا يمكن السكوت عليه. فلا بدّ من الرد ولكن في فرصة أخرى ومجال آخر.

3 - توجد نسخة منها في خزانة الشيخ باي بلعالم أولف ولاية أدرار.

الله بن غازي ممن أنصف، وكتب على ظهر كتابه:"هذا كتاب جليل صدر عن نص نبيل، وعلم بالصواب كفيل وصاحبه غريب في هذا الجيل...." وذلك أن رأى الشيخ ابن غازي يساند رأي صاحب (الدوحة) والذي يخالف رأي المغيلي في تأويل آية التولية، الذي له أصوله في هذا المؤلف ولا تعارض، إذ أن هذا الكتاب حقيقة يحوي فصلاً يتناول موجبات التكفير، ناقش فيه المغيلي قضية الرضا ببناء كنيسة لليهود في توات وتوليتهم"[1].

مما يعضد هذا الاتجاه ما وجدناه بخط ناسخ المخطوطة السيد: أحمد بن الحاج عبد الله بن أحمد بن محمد الرقادي الكنتي على ظهر هذه المخطوطة، تعليقه حول هذا التأليف فيقول:"وجد بخط الإمام العالم سيدي محمد بن يوسف السنوسي عفا الله ورحمنا بجاهه ورضي عنه في النسخة المنقول منها ما نصه: "الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى أله، طالعت هذا التأليف المسمى بمصباح الأرواح في أصول الفلاح، فوجدته تاليفاً مشتملاً على تحقيق علوم الشريعة وأصول الدين وإبرازها لبصائر القلوب بطريق بديع لطيف، ورأيته كلاماً عالياً لا يصدر إلاّ من قلب مستنير بأنوار الولاية والمعارف الدينية والمواهب القدسية والحكم الربانية، مع مشاركة صاحبه لعلماء الظاهر في التبحر في علم المعقول والمنقول والضرب معهم بسهم واحد في مبنى الفروع والأصول""[2].

هاته الرسالة "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وصفها أحمد بابا بقوله:(كتاب عجيب في كراسين)[3].أرسله الإمام المغيلي إلى ابن غازي المكناسي والسنوسي، وهي محققة من طرف الدكتور احمد علمي حمدان: في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس[4]. غير أن هذه المراسلة ضاعت منها الرسالة الأولى، وهي الرسالة التي بعثها الإمام السنوسي للمغيلي. ومن خلال المقارنة يلاحظ أن أفكار المغيلي في تلك المراسلة لا تختلف عن أفكاره في مصباح الأرواح في أصول الفلاح[5].

1 -المغيلي – مصباح الأرواح في أصول الفلاح- ص21.

2-منيرة بوغرارة- المرجع السابق –ص60.

3- احمد بابا –المرجع السابق –ص577.

4 - عدد 03 –سنة 1988م.

5 - أحمد الحمدي – المرجع السابق- ص79.

الخطابة:

عندما ننظر إلى الإمام المغيلي ورحلاته ودعوته وقيامه بأمر التدريس في أول مرحلة له بتوات في أولاد سعيد، حيث مكث فيها مع زوجته زينب وابنائه الثلاثة، فكانت أولاد سعيد التربة الخصبة لاحتضان أفكار المغيلي ودعوته، وتأييد مذهبه ونصرته ومساندته. بل لا نشك بتاتاً في طول مكثه ومقامه هناك خصوصاً إذا علمنا إنه ترك لنا معالم يستحيل أن تقام في وقت زمني قصير.....والشئ الذي أجدني مضطراً إلى توضيحيه هو أن أولاد سعيد في القرن التاسع والعاشر عاشت أبـــهر إيّام حضارتها العلمية وبلغت أشهر قمة في العدالة الاجتماعية والنضج الفكري وإلا لما كانت محل نظر الإمام المغيلي الذي كان يسعى جاهداً في أصقاع الأرض شرقاً وغرباً بحثاً عن بلاد العزة والكرامة امتثالاً لأمر شيخه وصهره العلامة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر العاصمة، كما ذكر ذلك المؤرخون: من بينهم صاحب النواة الذي يقول عن ذلك ما يلي:{ولما تمت الصحبة بينه وبين الإمام المغيلي زوّجه ابنته زينب، وأوصاه الإمام الثعالبي ألا يعاشر أهل سفاهة وألا يستوطن مكان إهانة، وكان يريد الإقامة بين أقاربه وإخوانه بتلمسان فلم يستقم له الحال لما رأى من جور الحكام وسكوت العلماء في مقام الكلام، فغادر تلمسان وخرج برسم الدعوة إلى الله والنصر والدفاع عن إقامة الحدود إرضاء لله ورسوله... ، فقصد توات واستقر بأولاد سعيد ومكث بها وأنجب بها أبناءه الثلاث}.[1]

للشيخ مكانة كبيرة في أولاد سعيد. فقد بلغ الشيخ من الجلالة والتعظيم لم يبلغها أحد غيره من قبل ولا من بعد من أعلام المنطقة على الإطلاق حتى أن المشيخة العامة المجردة من الإضافة بغرض التحديد إذا أطلقت في أولاد سعيد إلى يومنا هذا لا تصرف إلا له، فمتى قيل الشيخ فمعناه: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وظلت هذه المكانة محافظ عليها من قبل الأبناء والأحفاد، يعكس سرّها اليوم قيام سكان أولاد سعيد بوعدة سنوية يختم فيها القرءان بأكمله ترحماً على روح الشيخ، وبقي اسمه عندهم شعار مفخرة واعتزاز يسمون به المؤسسات التربوية والفرق الرياضية من أجل أن تكون قصته مع اليهود وشماً في ذاكرة الجميع طال الزمن أو قصر.[2]

1 –غيتاوي مولاي التهامي –سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي توات– ج1– ص40 .

2 – عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي– ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي –معد للطبع.

أثناء مكوث الإمام المغيلي في أولاد سعيد وفي قصر اولاد هارون حوّل الشيخ المغيلي معبد اليهود(البيعة أو الكنيسة) إلى مسجد تقام فيه صلاة الجمعة بل أدركناه على الحال الذي شيّده الشيخ عليه.

وفي قصر أولاد موسى من أولاد سعيد أسس فيه الشيخ المصلى الخاصة بالعيدين(الأضحى والفطر) وهي لا تزال إلى اليوم مستعملة من طرف سكان المنطقة، وقيل إنه يوماً ضرب بها عصاه على الأرض مخاطباً الناس قائلاً:{هنا الخير والبركة إلى يوم القيامة} وفيها دعى للبلاد بسعة الرزق وبركة الكيل في تمور النخيل.

أعطينا هاته النبذة المفصلة عن أولاد سعيد وما فعله المغيلي فيها لأن هذا الجزء من البحث كان مغموراً فلم يؤرخ أي أحد أعمال المغيلي في أولاد سعيد وهناك من يتناسى أو يغض الطرف على هاته البلاد ولا يعطي لها بال في بحثه، و لم نكن نعرف ما فعل المغيلي في أولاد سعيد رغم أنه مكث بها مدّة طويلة والوقائع التاريخية تشير إلى ذلك، فإن لم يمكث بها إلا مدة إنجاب أولاده الثلاث وتربيتهم فهذه مدّة طويلة.[1]

وإذا كانت هاته الفترة الطويلة التي مكثها المغيلي في أولاد سعيد تبيّن لنا أن المغيلي كانت له مدرسة خاصة به وطلاب خاصين وله مسجد يؤمه، ورواد يعتقدون فكره ومذهبه، فبالضرورة نحكم على أن المغيلي كانت له خطب في المسجد الذي بناه يوضح فيها أفكاره ودعوته ويدعو الناس فيها إلى فكره وما يؤمن به من بغض اليهود وأفعالهم.

استطاع المغيلي في أولاد سعيد أن يكون له أتباعاً يؤمنون بأفكاره ويبذلون النفس والنفيس، وهو بذلك وجد التربة الخصبة في هاته البلاد من علماء ومثقفين وشباب يمكن الاعتماد عليهم في المهمات الصعبة، فقد أعجب الشيخ بسكان المنطقة وعلمائها فأعرب عن هذا بقوله:{دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر، فانتفغنا بهم وانتفعوا بنا}.

فأولاد سعيد وشعبها والمناطق المجاورة لها كانت هي القاعدة التي بنى عليها الشيخ المغيلي دعوته وهي التي ساندته في رأيه في يهود توات وفي حربه ضدّهم. ومن هناك بدأ صيت المغيلي يصل إلى الأفاق ويسمع في أغلب البلدان.

---

[1] – ويرجع الفضل في اخراج الوقائع والأحداث إلى الباحث الإمام عبد الرحمان الجوزي الذي جمعتني به إيام الدراسة في المعهد الإسلامي بعين صالح، وجمعني به العمل كإمام مدرس بالشوؤن الدينية، وها هو البحث يجمعني به اليوم في تاريخ المغيلي، فجزاه الله عنا خيراً، أن أخرج هاته الوثائق والوقائع للإمام المغيلي في أولاد سعيد.

ولّما نتأمل فيما ترك المغيلي من أثار ومؤلفات نلاحظ أنه لا توجد خطب تواترات على الإمام المغيلي سواءً كانت خطب الجمعة أو خطب الحماس للجهاد، فلم نعثر له على أي خطبة مهما كان نوعها، وهذا لا يمنع أن يكون المغيلي خطيبا بارعاً وإلا لما استطاع أن يؤسس جيشاً ومعارضة بأتم معنى الكلمة للسلطة التي كانت في المنطقة أنذاك المتمثلة في قاضي الجماعة التواتية الذي بيده الحل والربط القاضي عبد الله العصنوني بتمنطيط.

والناظر في الأحداث التي وقعت في تمنطيط أثناء مناقشته لمسألة يهود توات وتحريضه للمجتمع التواتي ضدّ اليهود وأفعالهم يمكن أن نختار بعض النصوص والجمل والحكم والأشعار التي كان يرددها المغيلي في حربه ضدّ اليهود.

وكانت أول كلمات يرددها بعدما جاءته إجابة الشيخ السنوسي إلى توات، فتوجه إلى أديرة اليهود وأمر جماعته وأتباعه بحمل السلاح لقتال ومحاربة اليهود الذين كانوا يريدون إعادة بناء الأديرة وتجديدها فكان يردد دائماً قوله: (من يقتل يهودي فله الحق في أخذ صافي ما يقدر بسبعة مثاقيل من مالي الخاص)[1].

وكان يردد كلمات حماسية يستنهض بها حماس الجمهور ضدّ اليهود فالمغيلي في بعض الأوقات وعلى روؤس الإشهاد كان يدّعي الإجماع في وجوب هدم كنائس وأديرة اليهود حيث يقول: (تـــهدم وأن أدى إلى قطع الروؤس، ومن مات ممن يريد هدمها فهو من أهل الجنة. ومن الأخرين فهو من أهل النار). وكان يقول كذلك: هذه الجنة وهذه النار يشير إلى مكانين من الأرض، ومن هدمها فله الجنة ومن حماها فله النار. وقال في موطن آخر: هذه محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها شئتم، يشير إلى أن تقريرها محبة لهم)[2]. وهو رأي مأخوذ عن أبي القاسم العبدوسي الذي أقر بأن أهل الذّمة ليس لأحد منهم الحق في إحداث متعبد لهم، وإذا نهوا عنه و لم ينتهوا صارــ كما قال العبدوسيــ"ذلك منهم نقضاً للعهد فتكون أموالهم للمسلمين وتكون ذراريهم مستباحة على حكم الحربيين في بلاد الحرب، وتكون أموالهم ونساءهم للمسلمين"[3].

1- مبروك مقدم – الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي- المرجع السابق-ص90.

2- المرجع نفسه- ص112.

3 - أحمد الحمدي –المرجع السابق-ص111.

ولّما قتل المغيلي ذلك اليهودي الذي كان يصلي بالمسلمين في تمنطيط رجع يتلوا قوله تعالى ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ التوبة 29.

وكان المغيلي يردد في جلساته وخطبه يهجوا فيها اليهود الذين بتوات وانصارهم من سكان البلاد المسلمين. فقال من البسيط:[1]

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود
قوماً أهانوا دينهم وأكرموا دين اليهود
يكفي الفتى من شينهم وخبث أصل صنعهم
أن قطعوا عن دينهم ورفعوا دين اليهود
وستروا ما أظهروا من نصرهم رهط اليهود
ياليتهم لو أدبروا واسترجعوا واستغفروا
الم تروا كيف قضى رب الورى فيما مضى
أنى يفوز بالرضى من رضيت عنه اليهود
لا شك أن الحق نور في كل سوق لا يجور
ينصره الرب الشكور على النصارى واليهود
فيما إلهي بالنبئ المصطفى الهادي التقي
وكل قطب وولي شمت بأنصار اليهود
صبّ البلا من فوقهم والحق بقايا رزقهم
وافتح لهم من محقهم بابا إلى نار الوقود
إلا الذين استغفروا وجبروا ما كسروا
وبينوا ما ستروا حتى استقامت الحدود
واغفر لهم ما قد مضى واكتب لهم منك الرضى

1 -عبد الرحيم بنحادة-عمر بنميرة-المرجع السابق-ص87-88.

وعجلن بمن قضى منهم لجنات الخلود.

ومن توات وجهاده ضدّ اليهود ننتقل إلى السودان الغربي.

لقد استطاع الإمام المغيلي وخلال رحلته الشبه الطويلة في إفريقيا الغربية والتي دامت قرابة ربع قرن(20سنة على الأرجح) أن ينتقل بين مدن وقرى إفريقيا المنتشرة في كامل ربوع الغرب الإفريقي نذكر من ذلك تمثيلاً لا حصراً (أهر، تكدة، أقاديس التي أسس بها مسجد الكرامة المشهور، كشنا، كانو، سنغاي وغيرها)[1].

والإمام المغيلي في السودان كان ينتقل بين البلدان والأمراء يدعوا ويتصل بالملوك وينصح. وفي كانو عيّنه أميرها محمد بن يعقوب رمفا مستشاراً للأمير ثم رئيساً للقضاء والإفتاء بكانو وبهذا نستطيع قول أن المغيلي كان هو المفتي الأعلى والمصدر الشرعي الرئيسي في كانو آنذاك، فحتماً كان يلقي الدروس والخطب والمواعظ ويحكم بين المتخاصمين، وإليه يرجع الحل والربط والمشورة في كل ما يخص شوؤن الإمارة، فكتب لمحمد بن يعقوب وصية في الإمارة المسماة بـــ:"تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين" وأخرى حملت عنوان: "في ما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام".

فقد كان المغيلي في خطبه ودروسه في السودان الغربي يوضح للحكام الطريقة الإسلامية الصحيحة في الحكم ويضع لهم القواعد التي يجب السير عليها في نظام الحكم وقرر لهم الكثير من الأحكام....، وأعطى لهم الدواء في محاربة الفساد والطغيان، والحل للأمراض الإجتماعية المنتشرة وطرق التغلب عليها، من خلال رسالته للأسقيا محمد :"أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، وهو بذلك يعد مصلحا سياسياً واجتماعياً في هاته المنطقة.

وأعطى المغيلي في رسائله إلى أمراء السودان بياناً شافيا وتصوراً واضحاً للمفاهيم الإسلامية التي يجب أن يلتزم بها الحكام والمحكومون[2] من وجوب استشعار خطر الإمارة في أنها تكليف وليست تشريف وبيّن لهم كيف تسير الإمارة شرعاً. وهذا يدل على أن موقف المغيلي من سلاطين عصره هو موقف الناقد والناصح المرشد المصلح، وليس موقف الطامع في مال، أو الباحث عن لقمة عيش أو جاه، لكي يظهر لنا جليّاً مدي تأثير تلك الرسائل على حكام بلاد الهوسا وعلى المجتمع

1 -أحمد جعفري- حوار الإمام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة المد الإسلامي في إفريقيا-مقال- مجلة العلوم الإنسانية- جامعة غرب كردفان- جمهورية السودان 2010- ص5.

2 - إسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص120.

السوداني كله، ومدي غيرة المغيلي مصلحاً على الإسلام والمسلمين، ومدي علمه فقيهاً وإماماً وداعية ظهر أثره في توجيه المجتمع السوداني، وامتد أثره بعده في إصلاح المجتمعات السودانية بالإسلام[1].

التأليف والتنظير:

من جهة التأليف نجد أن الإمام المغيلي خلّف وراءه إنتاجاً فكرياً غزيراً ومتنوعاً غلب عليه طابع الاختصار في معالجة المواضيع، وقد أورد له أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج أزيد من عشرين مؤلفاً في التفسير، والعقيدة، والتوحيد، وفي الفقه المالكي، والحديث وعلومه، والمنطق والبلاغة والأدب وفن السياسة والأدب السلطاني، والوعظ...[2]

وبهذا نستطيع أن نقول أن المغيلي كان يعتبر التأليف وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام ولهذا أعطاه قيمة كبيرة، ووقت أكبر ليكون هو النواة لدعوته من بعده وليرجع إليه التلاميذ والطلاب ليستخرجوا ويستنبطوا أفكاره وطريقته في التدريس والاستنباط والاستدلال. ومن خلال مؤلفاته البارزة والعديدة والتي ضاع منها الكثير بفعل الزمن والإهمال، ولولا وجود طلبة مجتهدون للإمام المغيلي لم يصل إلينا شئ من هاته المؤلفات، ولما عرفنا هذا العلم الذي تعقد من أجله المؤتمرات والمسابقات الدولية، وهذا ما يدل على أهمية هذا الرجل وطول باعه في الدعوة ونشر الإسلام، وهكذا يجب أن نعتني باعلامنا في الجزائر ونخرجهم إلى الواقع والمجتمع، لكي يعرف الشعب الجزائري بأنه له أصول علماء وأن أجداده كانوا دعاة بمعني الكلمة، وهذا يعطي للجيل القادم نفساً طويلاً وحبا كبيراً لهؤلاء العلماء ومحاولة التشبه بهم كما قال الشاعر:

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

والمغيلي في مؤلفاته ينظر ويعلم ويفقه ويعطينا القواعد والأصول التي يجب أن نسير عليها والتي توصلنا إلى بر الأمان. والتنظير للكثير من المسائل والأفكار والأحكام يعطي للعالم مكانة كبيرة بين العلماء وتبقى أفكاره وأقواله تنشر بين العلماء والباحثين والأدباء، فيقال قال الإمام المغيلي:"كذا وكذا وكذا....".

1 - إسماعيل ميقا - المرجع السابق –ص121.

2- ياسين شبايبي – المرجع السابق- ص24.

الإمام المغيلي ابتدأ بالمؤلفات الفقهية وأعطى لها مساحة كبيرة، حتى يعطي لطلابه دليلاً يرجعون إليه. ومن أهم المؤلفات الفقهية نجد "مغني اللبيب" وهو شرح لمختصر خليل نجده مختصراً جداً وصل فيه للقسم بين الزوجات إذ لم ينهه. وزاد على هذا الكتاب حاشية سماها "أكليل مغني اللبيب" وهي حاشية على شرحه السابق لمختصر خليل، ولقد عرف هذا الكتاب باسم: (التاج الوجيز الكافي للرجل الذكي). وهو بدوره يتألف من جزأين: الأول تختتم فقرته بالتيمم، والآخر يعالج موضوع المبيعات، له عنوان خاص هو "مفتاح الكنوز الأخيرة" وله شرح وتعليق على "بيوع الآجال" من كتاب "مختصر خليل". وله كتاب "شرح بيوع الآجال" إيضاً عند ابن الحاجب.

وله مؤلفات في المواريث أهمها "مختصر في علم الفرائض" ويتكون من بابين: الأول في بيان من يرث ومن لا يرث وما لكلّ الورثة. أما الثاني في كيفية تصحيح المسائل المتعلقة بالموضوع مع خاتمة. وهو مؤلف بسيط الحجم مخطوط[1] لم ينشر بعد.

وهناك كتاب آخر "المفروض من علم الفرائض"[2] يعالج موضوع التركات والمواريث وهو مؤلف قليل الحجم لا يزال مخطوطاً لم ينشر بعد.[3]

وقد قام الباحث احمد الحمدي بشرح هاته المؤلفات الخاصة بالموراريث وعرفنا كيف كان المغيلي يقسّم الفروض والتركات والمواريث. وعرّفنا على جميع الأحكام التي ذكرها المغيلي في مؤلفاته والمسائل التي ذكرها. لمن يهمه الأمر أن يرجع إلى رسالته في الماجستير بعنوان: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات: عصره وأثاره.[4]

كما له مؤلفات في التفسير والحديث ومن أهم مؤلفاته في التفسير "البدر المنير في علم التفسير". ويعد من المؤلفات المفقودة للشيخ المغيلي: ويبدو من خلال عنوانه أنه يتناول أنواع التفسير ومناهجه، أو أنه يتعرض للقرءان بالتفسير.

وله مؤلف آخر في التفسير وهو"تفسير سورة الفاتحة" وهو موجود.

---

1 – نسخة المخطوط توجد بمكتبة الشيخ باي بلعالم رحمه الله بأولف أدرار.

2 – موجود بمكتبة محمد باي بلعالم أولف أدرار.

3 – منيرة بوغرارة– المرجع السابق– ص57-58.

أما في علم الحديث فله كتابان: "مفتاح النظر في علم الحديث" وفيه أبحاث تناقش أراء النووي التي وردت في كتابه "التقريب"، وكتاب "الفتح المبين".[1]

وهاته المؤلفات التي ألفها المغيلي في الفقه والتفسير والحديث، كانت موّجهة للطلبة والتلاميذ، وهي في الحقيقة تعتبر وثيقة رسمية للطلبة ليعودوا إليها في دروسهم وتعليمهم، وليكون لديهم أثر ومرجع يستدلون به، بالإضافة إلى أنها تظهر لنا منهج الإمام المغيلي في التدريس والاستدلال وتوضح لنا العلوم التي كان يعتني بـــها الإمام المغيلي مع طلابه وفي مدرسته. وهذا دليل آخر على أن الإمام المغيلي كان فقيهاً ومفتياً ومدرّساً لا كما يدّعي البعض بأنه لا علاقة له بالفقه وإنه ضعيف في طريقة الاستدلال.

كما نجد للشيخ مؤلفات في العقيدة والمنطق وفي التصوف. من خلال هاته المؤلفات المعقدة والصعبة التي لا يفهمها إلا ذو الألباب يعطينا الشيخ نظرةً أخرى على فكره، إذ اقتحم ما كان مـــمنوعاً في ذلك الوقت، فالعلم ليس له حدود، فالعالم المتفتح يقرأ كل شيء ويتعلم كل شيء، ولا يتقيد بعلوم معينة يؤلف فيها ويتبحر.

ومن أهم هاته المؤلفات: كتابه في علم الكلام المسمى ب"مصباح الأرواح في أصول الفلاح"[2] وهو كتاب في التوحيد يتعلق موضوعه بمباحث العقيدة.

وفي هذا الكتاب تعرض المغيلي إلى مسائل كثيرة أهمها: رؤية الله سبحانه وتعالى، إثبات الكمال لله تعالى، الإعراض عن التأويل(تأويل الصفات كما عند الإمام الاشعري)، لا يكفر أحد من أهل القبلة، تصديق الكاهن بما يخبر كفر، لا يبلغ الولي درجة الانبياء. زيادة شرح.

وله رسالة ردّ فيها على المعتزلة وهي ما تعرف باسم "الرد على المعتزلة"[3].

وفي هاته الرسالة عمل المغيلي على نصرة رأى أهل السنة والجماعة ضدّ المعتزلة، ويوضح رأي أهل السنة ويردّ على شبه المعتزلة التي يروّجون لها في المجتمع.

وله كتاب في التصوف سماه: "تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"[4]. وهو كما يبدو من عنوانه يتعرض المغيلي فيه بالنقد لظاهرة خطيرة انتشرت على عهده، وتتمثل في

---

1 -منيرة بوغرارة- المرجع السابق - ص57.

2 -توجد نسخة منه بمكتبة محمد باي بلعالم رحمه الله أولف أدرار.

3 - توجد نسخة منه بمتحف زاوية الشيخ المغيلي بتوات.

4 - احمد بابا التنبكتي- المصدر السابق- ص311. وهو من الكتب المفقودة.

ادعاء التصوف كذباً وتدجيلاً، طمعاً في المكانة التي كان يتمتع بها العلماء الزهاد المتصوفين في المجتمع آنذاك، كما إنه تعرض لإحوال المتصوف ومقاماته بالتفصيل.[1]

وله في المنطق مؤلفات عديدة منها المفقودة ككتاب"شرح الجمل للخونجي" وكتاب"المقدمة في شرح الجمل". وله مقدّمة في المنطق يتناول فيها مبادئ علم المنطق. وله منظومة في علم المنطق سماها:"منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب". وقام بنشرها أدم عبد الله الألوري. وهناك ثلاث شروح على هاته المنظومة والتي نالت شهرةً كبيرةً في الأوساط الثقافية، إذ أصبحت من الكتب المنهجية التي لا بدّ للدارس من الإلمام بها في كل مدارس شمال وغرب إفريقيا تقريباً[2] . وقد قام الشيخ احمد بن عمر أقيت أحد العلماء في غرب إفريقيا وهو جدّ المؤرخ احمد بابا التنكتي، والذي كان معاصراً للشيخ المغيلي، بوضع شرح لهذا النظم وسماه "إمناح الأحباب في منح الوهاب"[3].

وما ذلك إلا تعبيراً على النجاح والشهرة التي حققتها المنظومة في علم المنطق أنذاك. وللشيخ مناظرة جرت بينه وبين السيوطي حول فضل علم المنطق[4].

وللإمام المغيلي مؤلفات في السياسة الشرعية ذاع صيتها ولقيت إقبالاً كبيراً من طرف الباحثين والنقاد لما لها من مكانة كبيرة، فقد برع الشيخ في هاته المؤلفات وأعطى صورة للإمام الذي يعرف ما يدور عند الساسة والسياسين، وللعالم الذي لا يتزلف ولا يتملق للحكام، وإنما يترفع عن حاجته للحكام ويكون بمثابة المستشار والناصح للأمير، ولذلك نجد أن الحكّام والأمراء كانوا يتسابقون من أيهم يفوز بالإمام ويكون في صفه وإلى جانبه، لإنه كان يعطي قوةً وشهرةً لمن يكون معه.

وهاته المؤلفات تتمثل في ثلاثة رسائل: رسالتان كتبهما لأمير كانو محمد بن يعقوب رنفا. الأولى تتعلق بالحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وتعرف بالوصية وعنونها صاحبها ب:"فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام".

والثانية تتعلق بأمور الإمارة والسلطنة وهي "فيما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة" وهي معروفة ب:تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين. وفيها أعطى نصائح ثمانية بالشرح

1 -منيرة بوغرارة- المرجع السابق- ص61.

2 -عبد الرحمن السعدي- تاريخ السودان- ص46.

3 - كلمة الوفد المالي عن الشيخ المغيلي- أعمال المهرجان الأول للتعريف بمنطقة أدرار ماي 1985- ص13.

4 - منيرة بوغرارة- المرجع السابق- ص62.

والتفصييل لأمير كانو يعلمه فيها كيف ينظم إمارته ومملكته، والقواعد التي يجب إتباعها والالتزام بها في تسير الإمارة.

وتأتي رسالته الثالثة للأسقيا محمد الكبير وهاته الرسالة عبارة عن مسائل وأسئلة طرحها الأسقيا على الشيخ المغيلي طالباً منه النصح والإرشاد، والحلول للكثير من المسائل المستعصية في مملكته، وتعرف هاته الرسالة ب"أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" ويتألف هذا المخطوط من سبعة مسائل أجاب عنها المغيلي بالتفصيل، وأعطى صورة واضحة للمجتمع في السودان الغربي وما كان يعانيه من مشاكل إجتماعية وعقدية وسياسية، وأعطى الحلول الشرعية التي تحكم بها الدولة.

وما كان يصبوا إليه هو صبغ المجتمع السوداني والمملكة وفق الشريعة الإسلامية، والتقى طموح الأسقيا محمد الكبير مع طموح المغيلي، ووصلوا إلى نتائج إيجابية على المملكة لا تزال حتى اليوم عند ذكر دولة الأسقين.

الرحلات

نحاول أن نتتبع رحلات الإمام المغيلي التي قام بها أثناء حياته الدعوية، وكما هو معروف إن اغلب الدعاة والعلماء لم يمكثوا في أماكن ازديادهم، بل قاموا برحلات لطلب العلم الشرعي والتزود من العلماء في أغلب البلدان والأمصار، والبحث عن الحق والمعلومة في رحاب الأرض.كما يقول الشاعر:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

وإذا نظرنا إلى الرحلات التي قام بها المغيلي نجدها تنقسم إلى ثلاث رحلات أساسية وهي: رحلته في طلب العلم، رحلته الجهادية في توات، رحلته الإصلاحية في السودان الغربي.

هاته هي الخطوط العريضة والرحلات الأساسية في نظري، نحاول أن نشرح كل رحلة ودوافعها، وما وقع فيها، وأهم النتائج.

رحلته في طلب العلم: المعروف عن العلماء والدعاة في أول حياتهم العلمية كانوا يدرسون على الشيوخ القريبين منهم في قريتهم أو بلدتهم، وعندما يتفوقون ويتفرسون ويكسبون ثقة شيوخهم، يبعثونهم إلى الأماكن المشهورة بالعلم والتي توجد فيها جوامع وجامعات، ويقصدها الطلاب في مرحلتهم الدراسية.

فقد كان دأب الإمام المغيلي يشبه دأب العلماء والدعاة حيث درس في أول مراحله على شيوخ تلمسان، حيث انتقل بينهم واكتسب قاعدة علمية وشرعية.

وكان يرى الإمام المغيلي أن الرحلة في طلب العلم ضرورية جداً وأن الذي يمكث في بلاده ويستغني بفقهائها، يعد ذلك قدحاً في قيمته العلمية. فيقول ابن خلدون:"فالرحلة لا بدّ منها لطالب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشائخ ومباشرة الرجال"[1]. والمغيلي يرى أن الملكة ضرورية لفهم الكتب، وتحصيل العلم، لن يتأتى إلا بالأخذ عن شيوخ العلم وشدّ الرحال إليهم فيقول: "ولو كانت الكتب وشرّاحها كافية في التفقه لما كان الناس يقرؤون على الأشياخ ويرتحلون إليهم قديماً وحديثاً في مشارق الأرض ومغاربها"[2].

فكان لا بدّ من الرحلة فرحل إلى عاصمة العلم والثقافة آنذاك بجاية التي كانت تزخر بالشيوخ، والعلماء، والفقهاء، وكان الطلاب يقصدونها من كلّ الجهات، فدرس على علمائها التفسير والحديث والفقه المالكي وأصوله وعلوم اللغة.[3]

فخرج من بجاية قاصداً الجزائر، مدركاً من بعض زملائه الطلاب شهرة مدرسة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، فلازمه لفترة لا بأس بها حيث لم يكن يومئذ من الشيوخ المغاربة من يفوقه في علم الحديث، كما أخذ عنه التفسير والحديث والقراءات، وبصورة أخص علم التصوف.

وبفضل احتكاك الثعالبي مع تلميذه المغيلي نجد أنه وجد فيه ضالته التي كان يصبوا إليها، وهي الحصافة والشكيمة وعدم السكوت على الحق، ولذلك توطدت العلاقة بينهما وصاحبه وصاهره وزوجه ابنته زينب، بالإضافة إلى الحمل الثقيل الذي حمّله إياه بإعطاءه ورد الطريقة القادرية، وأمره بنشرها في البلدان التي قد يذهب إليها.

وعند خروجه من الجزائر متجها إلى موطنه الأصلي بتلمسان أوصاه بوصية لو كتبت بماء الذهب لما وسعها، وهي:"بألا يعاشر أهل سفاهة ألا يستوطن مكانة إهانة" وهاته الوصية التي جعلت

---

1 -ابن خلدون- المقدمة- ص1045.

2 -المغيلي- أحكام أهل الذّمة- ص34.

3- ولا بد من وقفة في هاته المرحلة حيث تبقى غامضة في حياة الشيخ، حيث لا نعرف مدة مكوثه هناك، ولا نعرف أهم المشائخ الذين درس عليهم، ولا نعرف السبب الذي دعاه إلى الخروج من بجاية قاصداً جزائر بني مزغنة. وهذا المجال يبقى مفتوحاً للبحث للطلاب والباحثين في المستقبل.

الإمام المغيلي لا يسكت على الظلم ولا يمكث في مكان لا يستطيع تغير المنكر فيه، وهذا من أسباب خروجه من تلمسان. وفي ذلك يقول:

تلمسان أرض لا تليـــق بحـــالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرء أرض يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى

ويأتي محقق رسالة في اليهود، ويصف الشيخ المغيلي بأنه لم يكن مدرّساً ولا مفتياً ولم يقم برحلة علمية وهذا كلامه بالحرف الواحد: "لاتعطى الترجمتان (ترجمة احمد بابا التبكتي وترجمة ابن عسكر) معا أية تفاصيل أخرى حول حياة الرجل العلمية قبل أن يصدر فتواه في أهل الذّمة، فهي تلوذ بالصمت عن الوظيفة التي كان يشغلها الرجل، لم يكن مدرساً ولا مفتياً ولا قاضياً، لم يقم برحلة علمية لا إلى فاس ولا إلى المشرق على غرار ما كان يقوم به العلماء. لقد ذكر عبد القادر في مقدمة تحقيق: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، إنه ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن بنواحي تلمسان ...وانتقل بعد إتمام دراسته بالشمال إلى الصحراء فسكن توات وبها توفي".[1]

وحتى أفند دعواه أحاول أن آخذ من المصدر الذي اعتمده في أن المغيلي لم يقم برحلة علمية، وأتي بترجمة محقق "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" عبد القادر زبادية كاملة غير ناقصة، حيث يقول تحت عنوان: المغيلي صاحب الأجوبة:

محمد بن عبد الكريم المغيلي، ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان، ولا نعلم تاريخ ولادته بالضبط، غير أن وفاته كانت في سنة 909هـــ، وقد كان من المثقفين وأولي الفكر في عصره، وقد انتقل بعد إتمام دراسته بالشمال إلى الصحراء، غير أن حملته على اليهود القاطنين بها في زمانه ورسائله العديدة في موضوعهم تحمل على الطن بأنه وجد ضيقاً في العيش بالشمال، حيث يسيطر اليهود في أهم المدن على مصادر التجارة والمال، وتوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين فأصبحوا صنائع لهم، ولما انتقل إلى الجنوب الجزائري، وجد اليهود يشاركون بنشاط في حركة القوافل التجارية مع السودان ويتصرفون تصرفات أكثر مـــما في الشمال، فدعا لمحاربتهم واجتمع حوله أنصار، فطاردوا اليهود وهدموا عدد من بيعهم بتوات ونواحيها. ثم انتقل المغيلي بعد ذلك إلى كانو حيث اتصل بأميرها وكتب له رسالة أرشده فيها إلى التزام الجادة الإسلامية في حكمه، وبعد أن درس بمساجد كانو مدّة انتقل إلى (غاو) حيث اتصل بالسلطان أسقيا محمد

1 - عبد الرحيم بنحادة-عمر بنميرة-المرجع السابق - ص24.

الكبير فأكرمه هذا الأخير وكتب له اسئلة ترّجاه الإجابة عنها وفق الوجهة الشرعية في الإسلام....

ولقد كان المغيلي من مثقفي عصره النشيطين وله شخصية قوية استطاع بواسطتها التأثير على الناس في السودان فأصبح اسمه مقروناً لديهم بكلمة الإمام، أما بالنسبة للوضع في المغرب العربي فقد كان المغيلي من أولئك القلائل الذين شهروا صراحة بانحراف المسؤولين في المغرب وتوانيهم عن القيام بواجباتهم، فنبه مسبقاً إلى الخطر الذي ربما ستؤول إليه أوضاع بلدان المغرب، في حالة استمرار الحكام فيها على سيرتهم، وفعلاً فقد هاجم الاسبان والبرتغاليون بلدان المغرب بعد ذلك بقليل كما معروف.[1]

واعذروني إن كنت أطلت في ترجمة المغيلي عند عبد القادر زبادية ولكنني أردت أن أطلعكم على الحقيقة، فقد انصف الرجل(زبادية) المغيلي، ووصفه بما يستحقه وكلامه يوزن بالذهب.

بعد هذه الرحلة التي توسعت فيها مداركه، ومعارفه، وتزوّد بما يكفيه ليكون مدرساً وشيخاً، تتلمذ على عدد لا بأس به من الطلاب[2]. كما أنه مواصلاً لتحصيليه العلمي بتلمسان، غير أن الحال لم يستقم له بها نظراً لتوتر الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية بسبب ما أحدثه اليهود من أمور ليس من الدين في شيء، فقرر مغادرة تلمسان متجهاً إلى القصور التواتية، خاصةً بعد محاولة الانقلاب الفاشلة على سلطانها سنة 1465م وتعرض العديد من الشيوخ والعلماء للمضايقات، وعمليات القمع والنهب[3]، واكتملت رحلته العلمية بتوات عندما مكث عند شيخه يحي بن يدير في تمنطيط تلميذاً وتفقه على يديه، ولم يتكبر حيث كان في هاته الفترة شيخاً وإماماً، ولكنه جلس لحلقة العلم طالباً للعلم من ذوي العلم.

وبهذا اكملت رحلته في طلب العلم التي انتقل فيها من تلمسان إلى بجاية إلى الجزائر رجوعاً إلى تلمسان ثم انتقالاً إلى توات.

واستطاع من خلالها أن يكوّن ثروة علمية ذهبية من العلماء والفقهاء والكتب التي عكف على دراستها، وبهذا استطاع أن يعطي لنفسه مكانة علمية وسط أقرانه يحسب له ألف حساب.

---

1 - عبد القادر زبادية- الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء- دراسات ونصوص- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989- ص153 154.

2 يحي بوعزيز- أعلام الفكر والثقافة- ج1-ص144.

3 - ياسين شيايبي- المرجع السابق- ص14.

2) رحلته الجهادية بتوات: بعد أن ضاق عليه الحال في تلمسان والعيش ورأى من جور الحكام والسلاطين ما لا يمكن السكوت عليه، ورأى تصرفات اليهود في تلمسان فلم يستطع التغيير لأنه كان محاصراً وعملاً بوصية شيخه عبد الرحمن الثعالبي سابقاً، طلب شاسع الأمصار فتوطن في قرية أولاد سعيد بنواحي تيميمون وهذا حوالي سنة 856هـ، 1452م[1].

فأعجب الرجل باولاد سعيد وسكانها وبتوات فقال: "دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا" وعكر صفو ذلكم الإعجاب بتوات، اليهود الذين رأى منهم تجاوزاً لحدود الشريعة الإسلامية واستعلاءً على المسلمين حتى أنهم أكثروا من التمرد والطغيان على الحكام فقرر محاربتهم[2]

نلاحظ أن الإمام المغيلي، ابتلاه الله باليهود فهو لم يصبر عليهم في تلمسان و لم يستطع السكوت، فسافر إلى توات، ولكنه وجدهم يعملون نفس الأعمال وأكثر، فعرف أنه مبتلى من طرف الله سبحانه وتعالى ولا بدّ من محاربتهم وطردهم من ديار الإسلام، ولذلك ابتدأ بجمع العدة لهذا العمل الخطير والعظيم المبتلى به.

ولهذا نصف رحلته إلى توات بأنها رحلة جهاد لطرد اليهود من توات وما جاورها، لكن هاته المهمة الصعبة لم تمنعه من إعطاء خدمات هامة للمجتمع من تدريس وقتيا وقضاء واقتصاد.

ففي مدة مكوثه بأولاد سعيد استطاع المغيلي أن يكوّن تلاميذ وشباب يساعدونه في هاته المهمة وذلك بالتدريس والتفقه والتعلم.

وكانت أول ثورة قام بها ضدّ اليهود في أولاد سعيد: حيث قام بتحويل معبد اليهود(البيعة أو الكنيسة) إلى مسجد ما زالت تقام فيه صلاة الجمعة.

وقام بعدة إصلاحات في هاته المنطقة من بينها بنى سوق كبيرة حيث كانت تعتبر قطباً اقتصادياً كبيراً يربط توات بكثير من الأقاليم والبلدان المجاورة، وهذا دليل على أفق الرجل البعيد، فالبسوق يستطيع أن يوطد العلاقات بين البلدان المجاورة، وأن يكسب لصفه أناس جديدين يعينونه في مهمته، وجانب اقتصادي محض بتوفير السلع لأهل المنطقة والاكتفاء الذاتي والاستغناء عن منطقة تمنطيط وسوقها الكبير. فبذلك أراد أن يصنع لنفسه مكاناً يرجع إليه وقت النكبات والصعوبات،

1 – مبروك مقدم– الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي– المرجع السابق– ص42.

2 – عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي– المرجع السابق– د.ص.

وحتى يكون قوياً بدينه وبتلاميذته وبماله، أي يحقق قوى كل أركان الدولة(الشعب، الأرض، السلطة).

وبانتقاله إلى تمنطيط وجد اليهود مسيطرين على الوضع ويتحكمون في السياسة والاقتصاد، ولكنه لم يثر عليهم لوجود شيخه يحي بن يدير احتراماً وتقديراً له، وحتى لا يخالفه. وبوفاة شيخه وتولي القضاء الشيخ عبد الله العصنوني في توات حيث كان تلميذاً ليحي بن يدير مع المغيلي فكانوا في حلقة علم واحدة.

في هاته الفترة لم يصبر الإمام المغيلي فأعلن رأيه وجهر به ودعا إلى هدم أديرة اليهود وطردهم من توات واستباحة دماءهم وسبي نساءهم، وقام بتسجيل فتواه والتدليل عليها، بالأيات القرءانية، والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء، والشعر. وبيّن الحكم الفقهي لأهل الذّمة وكيفية التعامل معهم، وما هي الشروط التي يجب أن تتوفر فيهم حتى يستطيعوا العيش بجانب المسلمين. وبعثها للعلماء في الأمصار فجاء ردّهم بين المعارضة والتأييد، ولكنه لّما وصله جواب السنوسي في القضية مسانداً له، لم يعبأ بالأراء المناقضة والمعارضة، فقام في رجاله ودعا إلى محاربة اليهود وطردهم من توات وما جاورها، وكان له ذلك.

ويرجع الفضل والسبق في طرد اليهود للمغيلي، فلولا شكيمته وحرقته وكرهه لليهود ومن يساندوهم، ما زال اليهود منتشرين في منطقة توات وفي الجزائر جميعاً، ولا زلنا نعاني من تصرفاتهم وتحكمهم في السلطة السياسية للبلاد.[1]

بهذا العمل نحكم أن الإمام المغيلي كانت رحلته في توات مليئة بالجهاد والإصلاح، وتغيير المنكر، وطرد اليهود من المنطقة.

وبعد طردهم مباشرة واستتباب الوضع الأمني له ولإمارته لم يمكث كثيراً بل سافر إلى بلاد السودان مصلحاً سياسيا واجتماعياً لما سمعه من أمراء تلك البلدان وقبولهم للنصح والإرشاد.

2- وبهذا نقول إن الجزائر كلية، شعباً، وسلطةً، عليها أن تكـــافئ المغيلي، وترجع له المعروف الذي دفعه لـــها، وهو إخراج اليـــهود من المنطقة، ولا يكون ذلك إلا برد الاعتـــبار للمغيلي وتراثـــه ومؤلفاتـــه ومحاولة طبعها وإخراجها للجيل القادم الجديد الذي لا يعرف علماءه، وعظماءه، وإعطاء فسحة للمغيلي في المناهج التعليمية من الأساسي إلى الجامعي إلى التعليم العالي.

رحلته الإصلاحية بالسودان الغربي:

لّما دبّ اليأس في نفس المغيلي من إصلاح الأوضاع في بلاده فضّل أن يهاجر إلى بلاد السودان، بعد أن سبر غور طبائع أمراء وسلاطين السودان. فوجد أن فطرهم أسلم من فطر أمراء المغرب، وإن استعدادهم لتقبل الدعوة ونصائحه في الإصلاح أقوى من استعداد أمراء بلاده، فتوجه إليهم ينشر مبادئه وأفكاره الإصلاحية ويفتي الأمراء هناك بما يتماشى مع منهج الإسلام الصحيح وتصوره لنظم الدولة الإسلامية.[1]

وعلينا أن نظهر الحق ونعترف بأن الإمام المغيلي وجد الترحيب والتبجيل والتعظيم في السودان الغربي أكثر مما وجده في توات، وبهذا استطاع أن يعطي كل ما يجود به من نصائح وأفكار وأحكام، ونجد إن أغلب مؤلفاته ألفها في تلك الفترة الذهبية التي قضاها هناك، بعيداً عن المشاكل والمنازعات والاختلافات التي كانت في توات وتلمسان.

ونثبت أيضاً للإمام المغيلي بأنه كان لا يشرأب نظره للسلطنة والإمارة، وإلا لكان باستطاعته أن يكون أميراً وسلطاناً لما يتميز به من شجاعة وكبرياء وقوة رأي.

ومن الأدلة التي نرد بها على الذين اتّهموا الإمام المغيلي بأنه يريد السلطة والحكم والقيادة سواءً بتوات أو بفاس ما يلي:

1) لّما عمل على طرد اليهود من توات واستتب له الأمر هناك، أنشأ إمارة له ببوعلي موازية لتمنطيط. لكننا نجد أن الإمام المغيلي لم يمكث في هاته الإمارة، بل أعطى قيادتها لابنه عبد الجبار. وسبب إنشائه لهاته الإمارة ببوعلي حتى يستطيع أن تكون له سلطة يرجع إليها أتباعه ويدخلون تحت لوائها، وحتى لا يترك المجال مفتوحاً أمام المعارضين له والمساندين لقاضي توات عبد الله العصنوني، لأنه كان يستطيع أن يحوز على المنطقة ويدخلها تحت سلطته. وبهذا نرجع إلى الفكرة التي أقررتها سابقا وهي: إن الإمام المغيلي استطاع أن يجعل من المعارضة سلطة هي القائدة وهي الغالبة.

2) مكوثه عند أمراء السودان وحضوته لديهم ومكانته عند المجتمع السوداني كان باستطاعته أن يطلب الإمارة أو الولاية، وأن يقتطع له أرض يحكمها باسمه تحت لواء السلطان، ولكنه لم

1 - أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص118.

يطلب ذلك، وإنما بقي ملاصقاً لأمراء وحكام المنطقة ناصحاً، ومدرّساً، ومفتياً، وقاضياً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ووهب حياته لطريق الدعوة والإصلاح في هاته المنطقة.

فغادر توات بعد ايقاعه باليهود فيها قاصداً بلاد السودان معلماً مرشداً مصلحاً داعياً إلى الله. فدخل بلاد أهر أو أير، ثم دخل بلدة تكدة واجتمع بحاكمها ومكث بين ظهراني أهلها مدّة من الزمن ونشر العلم بين أهلها، وأقرأ أهلها وانتفعوا به. وكان يمارس فيها التدريس والوعظ وأفاد أهل تلك البلاد كثيراً. ويذكر انه امتحن على يد حاكم تكدة فأثبت جدارة فائقة، وبنى مسجداً في قرية اياتول شمال شرق اجاديس، حيث أخذ يدرس أهالي المنطقة ومن الذين حضروا دروسه في تكدة الفقيه: محمد بن احمد ابن محمد التازختي المعروف بايد احمد والعاقب الأنصمني[1].

وصل المغيلي إلى كانو والتقى بحاكم كانو الذي لم يذكر بابا اسمه واكتفى بقوله

واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه وكتب له رسالة في أمور السلطنة يحضه فيها على اتباع الشرع، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وقرر لهم أحكام الشرع وقواعده[2]. ولكن الراجح إنه التقى بسلطانها حينذاك: محمد بن يعقوب رمفا.

لقد استفاد حاكم كانو من المغيلي حيث اتخذه مستشاراً له وولاه القضاء والإفتاء بكانو في الفترة التي قضاها ببلاده، وكتب له رسائل: رسالة في الإمارة وشروطها ويحضه فيها على اتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ورسالة أخرى: فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام.[3]

بعد أن أنهى المغيلي دوره العظيم في بلاد كانو واطمأن باستقرار وتوطيد إمارة كانو على أسس الشريعة الإسلامية الصحيحة وتصحيح المفاهيم المغلوطة. وبعد أن أرسى قواعد الدعوة الإسلامية وتوجيه الحكام إلى العمل بها، وطبع المجتمع الإسلامي عليها، وبعد أن ترك تلاميذه من أهل كانو الذين يؤمنون بمنهجه في الدعوة، ومنهج الإسلام الصحيح في الحياة العملية. بعد ذلك كله غادر كانو إلى كشنا، وقام بالدور نفسه الذي قام به في البلاد التي مرّ بها، وجرى سلاطين تلك البلاد على استشارته، وبعد ذلك كله رحل إلى امبراطورية سنغاي الإسلامية فوصل عاصمتها غاو سنة 1497م والتقى بحاكمها أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد.....ورحب به وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف، واتخذه أسكيا مستشاراً له. ووجه أسكيا بأسئلة عديدة هامة إلى الإمام المغيلي

1 – ابو بكر اسماعيل ميقا– المرجع السابق– ص118 119.

2 – احمد بابا– المصدر السابق– ص331.

3 –ابو بكر اسماعيل ميقا– المرجع السابق– ص120.

إمام المسلمين في عهده في السودان كلها وأثار الأمير محمد بن أبي بكر الملقب بأسكيا المشاكل الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت كانت تواجهه في بلاد السودان.

فأجابه المغيلي بأجوبة هامة في رسالة أوضح له فيها الفتاوى الإسلامية وحكم الله ورسوله في الموضوعات التي أثارها الأمير في أسئلته، وكان المغيلي على علم تام بأحوال السودان الغربي ومطّلع عليها في ذلك الوقت، لذلك كانت أجوبته شاملة تناول فيها الجوانب العقائدية والدينية والأحوال الاجتماعية والسياسية في بلاد السودان. و لم يترك شيئاً يعرفه إلا تطرق له بالتوضيح والتفصيل.[1]

وأثناء قيامه في مملكة السنغاي عند السلطان الحاج محمد أسكيا سمع بمقتل ابنه من طرف اليهود. لقد تأثر المغيلي بحادثة اغتيال ابنه مما حفزه على العودة واتجه لقصور توات، فلمّا وصلها وجد اليهود قد أعيدوا إلى مكانتهم وأعاد الكرة بطردهم وتشتيتهم في البلاد إلا أن في هاته المرة قام ضده سيدي عبد الرحمن بن عمر وأعادهم إلى بيوتهم وحوانيتهم، وتجارتهم وصنائعهم، فلم يحصل التوافق بينهما، فنشبت الحرب بين أنصارهما، فمات الكثير من الطرفين، وفقد المغيلي قاعدته الخلفية وسنده الكبير، فهزم في المعركة قرب تمنطيط، وتراجع أنصاره إلى الخلف في حركة الكرّ والفرّ، فأوت قبيلة البرامكة الإمام المغيلي ومناصريه، وبقي بقرية بوعلي يدرّس ويعلم ويؤلف إلى أن وافته المنية.[2]

المناظرات

تعتبر مناظرات ومحاورات الإمام المغيلي عبارة عن حلول واقتراحات لمعالجة المشاكل المطروحة، وأجوبة عن الأسئلة التي كانت تطرح عليه، وعلى العلماء المعاصرين له، لذلك نجدها تهتم بالجوانب الدينية، والمعاملاتية، والاقتصادية، وتنظيم الإمارات، وتهذيب مسارات الدواوين.

اعتمد الإمام المغيلي على الجانب العقلي في ردوده على الأسئلة التي تطرح عليه، فدعا إلى استعمال المنطق لصقل وتهذيب الذهن، فاعتبر المنطق علم التعبير عن الحق وتحقيقه، والاستدلال على الأفكار، وليس هناك كتاب للبرهان من الكتب السماوية مثل ما دعا لذلك القرءان الكريم.[3]

تعتبر المحاورة أو المناظرة أو المقابلة قمة فكرية استدلالية، تدل على الغزارة العلمية واقتراع الحجة بالحجة مع البداهة والفطنة العلمية الواسعة في شتى الفنون.

---

1 - -ابو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص132.

2 - مقدم مبروك- الإمام المغيلي من خلال الوثائق التاريخية- المرجع السابق- ص300 301.

3 - مبروك مقدم- الإمام المغيلي وأثره الإصلاحي- المرجع السابق- ص276.

لقد كان علماء توات يتعاملون بالمناظرات والمحاورات في شتى أنواع الفنون ويمكن اعتبارها السوق العكاظية بين علماء توات خلال تلك الفترة، فكثرة المراكز الثقافية والإشعاعية العلمية، سمح بتواجد وانتشار العلماء حولها في جميع الفنون، فأقيمت المناظرات بمراكز الإشعاع العلمي، فتناقلها العلماء والطلاب، والعامة، وتطرح التساؤلات التي تحتاج إلى الردود والإيضاحات، مما يؤدي إلى حلاوة المنطوق والمنظور، وإثراء المقصد المراد.[1]

مناظرته مع الإمام السيوطي:

لقد تعرف الإمام السيوطي على الإمام المغيلي عند السلطان محمد الأسقيا الكبير حيث كان يعمل كل منهما مستشاراً، وواعظاً، ومفتياً، ومدرّساً، فتحاور معه في عدة قضايا علمية ودينية وفكرية، واختلف معه حول استعمال وعدم استعمال المنطق اليوناني. وذلك لأن الإمام السيوطي كان يحرم المنطق كونه علماً من علوم الكفار، بحيث لا يجوز الاستعانة بعلوم الكفار لفهم أمور الشريعة. والمغيلي كان يرى أن المنطق من العلوم التي تساعد على فهم العديد من المسائل العقدية.

وقام بينهما سجال شعري طريف. انتصر كل واحد منهما لمذهبه. فالمغيلي يمثل نظرة علماء المغرب والأندلس الذين يعطون الأولية للعقل في بعض الأمور، وفي المقابل فإن السيوطي يدافع على نظرة علماء المشرق الذين يلتزمون بالنصوص ويحاولون تقليد الأوائل. والمغيلي في مؤلفاته المنطقية بسيط الأفكار، فهو يعرض أفكاره بسهولة دون تقييد ويحاول تقليد ابن سينا وابن رشد.[2]

لذلك دافع المغيلي عن المنطق في السجال الشعري الذي دار بينه وبين الإمام جلال الدين السيوطي، حيث قال المغيلي لما بلغه أن السيوطي ينهى عن علم المنطق:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء في العلم حجة وينهى عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعنى إلا عبارة عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معانيه في كل الكلام وهل ترى دليلاً صحيحاً لا يرد لشكله

أرني هداك الله منه قضية على غير هذا تنفها عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وذّمة رجال وأن اثبت صحة نقلها

---

1 - مبروك مقدم- الإمام المغيلي من خلال الوثائق التاريخية- المرجع السابق- ص114.

2 - احمد الحمدي- المرجع السابق- ص141.

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم دليلاً على الشخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن به لا يهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عالم بالشرع باح بفضله[1]

ويتضح من هذه الأبيات تحرر فكر المغيلي، فهو يرى أن المنطق يعتبر من الوسائل المؤدية إلى الحق، فمعرفة الناس بالحق هي الأساس والمبدأ المعتمد، وليس معرفة الحق بالناس.[2]

ولما بلغت الإمام السيوطي القصيدة التي نظمها المغيلي قال مدافعاً عن رأيه في إنكار علم المنطق ومعارضاً رأي المغيلي:

حمدت إله العرش شكراً لفضله وأهدي صلاةً للنبئ وأهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بنبله
تعجب مني حين ألفت مبدعاً كتاباً جموعاً فيه جم بنقله
أقرر فيه النهي عن علم منطق لما قاله الإعلام من ذمّ شكله
وسمّاه بالفرقان ياليت لم يقل فذا وصف قرآن كريم لفضله
وقال فيه فيما يقرر رأيه مقالاً عجيباً نائياً عن محله
ودع عنك ما أبدى كفور وبعد ذا خذ الحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الأثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصارى لأجله
يعزز به علماً لديه وأنه يعذب تعذيباً يليق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه وقد خط لوحاً بعد توراة أهله
وقد جاء من نهي اتباع لكافر وان كان ذاك الأمر حقاً بأصله
أقمت دليلاً بالحديث و لم أقم دليلاً على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله[3]

وبعد السجال الشعري الذي تناولته، يتبين أن المغيلي يمثل نظرة علماء المغرب والأندلس المتأخرين عن ابن رشد. والذين تأثروا بأرائه خاصة وأنه مالكي المذهب. أما السيوطي فيمثل رأي علماء المشرق الذين عاشوا بعد ابن الصلاح، وتأثروا بأفكاره وقبولها دون تمحيص أو نقد. فالمغيلي اهتم

1 - احمد بابا- المصدر السابق- ص578.
2 -أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- ج1- ص113.
3 - احمد بابا- المصدر السابق- ص579.

بالمنطق لأن الشرع اوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها. والإحاطة بالمنطق تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ. قال المغيلي:

وبعد لما كان علم المنطق رعية للذهن من غيّ يقي

وترك المغيلي العديد من التلاميذ بمنطقة التكرور والسودان الغربي والذين استمروا على نهجه في تعلم المنطق وتعليمه، منهم محمد بن عمر بن محمد أقيت الذي شرح منهج الوهاب، هذا الرجز الذي أصبح من جملة المتون المقررة على الطلاب بتوات، وغيرها من مناطق الصحراء وكذلك السودان الغربي والتكرور.[1]

ومما سبق نلاحظ أن الشيخ المغيلي كانت له نظرة احترام وتقدير للسيوطي إذا ذكر انه أمرء جحة في العلم وفي المقابل نجد أن السيوطي أثنى على الإمام المغيلي واعترف له بالعلم والفضل فقال:

سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله

وهناك مناظرات قام بها الإمام المغيلي مع علماء عصره في توات يتمحور جلها في المسائل الفقهية المتنازع عليها.

1 - احمد الحمدي- المرجع السابق- ص152.

الناظر إلى الرسائل التي ألفها المغيلي يجده فيها يؤصّل المسائل والأحكام، ويدلل عليها وعلى كلامه ولا يتركه هباءاً منثوراً دون دليل، لأن الكلام إذا لم يدلل و لم يؤصّل لا معنى له ولا قيمة، وقديماً قالوا: (إذا كنت ناقلاً فالدليل أو مجادلاً فالحجة).

ومن الأدلة التي استعملها المغيلي في رسائله: القرءان الكريم الذي يعدّ أقوى الأدلة وأصحها، فلا شيء يعلو فوق كلام الله.

ثم السنة التي تتمثل في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريرية إضافة إلى سيرته وسيرة أصحابه عليهم الرضوان. فقد استعمل المغيلي الأحاديث الصحيحة ولكنه لم يكثر منها لأنه لم يكن محدّثاً.

وزاد بالإيضاح والتفصيل بأقوال العلماء وأرائهم،ولأنهم يأتون في المرتبة الثالثة بعد السنة ورأيهم يستأنس به لأنهم بشر غير معصومين من الخطأ فكل ما هو صحيح يؤخذ وما هو خطأ يردّ.

كما نلاحظ إنه أكثر من استعمال الشعر في الكثير من الرسائل، ودلّل به في الكثير من المواضيع، وهذا من أساليب القوة التي يتمتع بها المغيلي عند إقناعه للجمهور ولمن يخالفه الرأى .

كما كان يستعمل الحكم والمواعظ البسيطة المختصرة وكان يرددها دائماً في كتابته ويكررها حتى تقع في الأذهان وتصل إلى القلوب.

كما يتصف الإمام المغيلي بالأمانة في نقل المعلومة وكان يرجع المعلومة إلى أصحابها ويحيل إلى الكتب التي أخذ منها، وهذه هي صفة العالم الأمين الذي لا يدّعي لنفسه الكمال، بل هو ناقص يكمّل بإخوانه من العلماء والفقهاء.

القرءان الكريم

المتمعن في رسائل الإمام المغيلي يلاحظ إنه يدلّل بالقرءان الكريم ويكثر منه، خاصة في رسالته: "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة" فقد أورد ما يعادل ثلاثين آية قرءانية احتلت مساحة واسعة من نص الفتوى في حدود 15 بالمائة من المساحة الإجمالية للنص، واجتهد المغيلي في اختيارها وهي كالأتي:

في الفصل الأول: قوله تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴿٢٦﴾ النور 26 ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴿٥١﴾ ﴾المائدة51. ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ الرعد17. ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت43.

﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ النحل 43.

﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴿٢٩﴾ ﴾ الفتح 29

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة22.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾الرعد05.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴿٥١﴾ ﴾ المائدة51.

﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ النساء: 138، 139.

﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ المائدة80-81.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ آل عمران28.

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴿١٠٥﴾ ﴾ البقرة 105.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ ﴿٨٢﴾ ﴾ المائدة82.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴿١٠٩﴾ ﴾ البقرة109 .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ آل عمران100.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ آل عمران118.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴿١﴾ ﴾ الممتحنة 01.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ المائدة 57.

2) الفصل الثاني: قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ التوبة29.

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ٢٨٦ ﴾ البقرة286 .

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ ﴾ الفتح28.

﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ ﴾ المنافقون7.

﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩ ﴾ النساء138-139

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾ المائدة50 .

﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣ ﴾ آل عمران83 .

3) الفصل الثالث: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ٨٥ ﴾ آل عمران85.﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ٥١ ﴾ المائدة51.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ ﴾ المجادلة20.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾ البقرة168، 169.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾ الرعد05.

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾ النور:.31

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦ ﴾ النور: 56.

﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ آل عمران104-107.

عند استخراج الأيات القرءانية التي وظّفها الإمام المغيلي في هاته الرسالة القييمة، يلاحظ إنه استقرأ الأيات القرءانية جميعاً، وجاء بالأيات الصريحة والأيات الدلالية التي تفهم بالمعنى. وهاته الأيات جميعاً تدخل في صلب الموضوع.

وهنا نرد على من يقول إن الإمام المغيلي كان ضعيف في التدليل والثقافة التاريخية، وزاد على ذلك بأنه اختار الأيات التي تتخذ موقفاً سلبيّاً من أهل الذمة.

فيقول بالحرف الواحد: (والظاهر إن المغيلي في اختياره هذه الأيات التي تتخذ موقفاً سلبيّاً من أهل الذمة، واليهود بشكل خاص، لا يراعي فيها مسألة غاية في الأهمية عند الفقهاء المسلمين وهي مسألة المنسوخ من هاته الآيات، بل لم يراع الشروط التي نزلت فيها هذه الأيات أو ما يسميه الفقهاء بأسباب النزول....) [1]. وهذا تجني خطير على الإمام المغيلي وكذب وبهتان. فالناظر إلى

[1] – عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة– المرجع السابق– ص19.

هاته الأيات يلاحظ إنها تدخل في صلب الموضوع، وهو اجتناب الكفار وأهل الذمة وعدم توليتهم وتقريبهم من المسلمين، فإن خرجوا عن الجادة والصواب فلهم القتال والطرد. قال تعالى: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة29. والقتل هنا بمعنى القتل الحقيقي، وليس كما يدّعى محقق رسالة في اليهود بأن معناه المعاداة فيقول: (والأية الوحيدة التي ترد بها الحروف الثلاثة ق ت ل هي الأية 29 من سورة التوبة، لا تدعوا إلى القتل بمعنى 'إماتة بضرب أو حجر أو سم أو علة' كما جاء في لسان العرب، بل بمعنى المعاداة. قال ابن منظور: "قال أبو عبيدة: معنى قاتل الله فلاناً. أي عاداه، وفي الحديث قاتل الله اليهود أي قتلهم أي لعنهم الله وقيل عاداهم. قال ابن الأثير: وقد تكرر في الحديث ولا يخرج عن هذه المعاني....وليس كل قتال بمعنى القتل".[1]

2) رسالته لأمير كانو في الإمارة:

نحاول استخراج الأيات القرءانية التي كان يدلل بها المغيلي في هذا الموضوع.

قال تعالى: كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران185.

إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَـٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴿١٥﴾ التغابن 14

فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ ﴿٣٥﴾ محمد 35

﴿ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ النمل35.

وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ ﴿١﴾ ﴾ الطلاق01.

وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة45.

﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ الشعراء227.

[1] – عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة- المرجع السابق – ص19.

أما رسالته الثانية لسلطان كانو الموسومة: (فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام).

بالنظر إلى قصرها وأهميتها فلم يستعمل فيها الأيات القرءانية ولا الأحاديث النبوية.

3) أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:

استعمل فيها العديد من الأيات القرءانية وهي كالأتي: قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة44.

﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة47.

﴿ ۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة45.

﴿ ۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنبياء07.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴿٣٤﴾ التوبة34.

﴿ ۖ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴿٢﴾ ﴾ المائدة02.

﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ المنافقون07.

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران103.

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴿٤٦﴾ ﴾ الانفال46.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة111.

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق2، 3.

الأحاديث النبوية

في هذا المطلب سنثبت إن الإمام المغيلي لم يكن يدلّل بالأيات القرءانية فقط، بل نجده يستعمل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويدلل بها في موضعها ويقلل ويكثر منها حسب الطلب والحاجة. وهذا ردّاً على من يتهمه بأنه يكثر الاستدلال بالقرءان ولا يدلل بالحديث.

1) رسالة إلى كل مسلم ومسلمة: قوله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالديه والناس أجمعين". "المرء مع من أحب". "إذا أمرتكم بأمر فآتوا منه ما استطعتم". "لا ترفع فيكم يهودية ولا نصرانية". "لا تكون قبلتان في بلدة واحدة". "اهدموا الصوامع واهدموا البيع".

أما الرسالتان اللتان بعثهما إلى أمير كانو محمد بن يعقوب رنفا. الأولى الخاصة بالإمارة والسلطنة، والثانية الخاصة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشتهر بالوصية. في هاتان الرسالتان ورغم أهميتهما ومكانتهما على المستوى السياسي نلاحظ أنه لم يستعمل ولا حديث نبوي، ولا نستطيع أن نعرف السبب أو الحكمة من ذلك، ويبقى ذلك للباحثين اللاحقين لمعرفة السبب. هل يعطي ذلك قوّة وأهمية للرسالة، أم هو خلل وضعف عند المغيلي في طريقة الاستدلال بالحديث.

2) أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:

في هاته الرسالة التاريخية نجد إن الإمام المغيلي استعمل الأحاديث بكثرة ويبرز لنا بأنه كان معتدلاً في التدليل بين القرءان والسنة، فلم يكن يكتف بالقرءان دليلاً ولم يكن يركز على الأحاديث بكثرة بل كان وسطياً بينهما. وندرج هنا أهم الأحاديث التي استعملها في هاته الرسالة:

قوله صلى الله عليه وسلم: "ما من أمير عشرة إلا يوتى به مغلولاً يوم القيامة حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور"[1]. "اللهم من وليّ شيئاً من أمر أمتي فشق عليهم فاشفق عليه ومن وليّ أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به"[2]. قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه"إن شيئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي، فقام عوف بن مالك، فنادى بأعلى صوته ثلاثاً: وما هي يارسول الله ؟ قال أولها ملامة. وثانيها

1 -أخرجه احمد في مسنده والطبراني من حديث أبي هريرة- مجمع الزوائد للهيثمي ج5 ص207.

2 - رواه مسلم في صحيحه والنووى في رياض الصالحين- ص351.

ندامة. وثالثها عذاب يوم القيامة. إلا من عدل وكيف يفعل مع أقاربه"[1]. "ما من وال إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه إلا خبالاً. فمن وقيّ شرهما فقد وقى وهو من التي تغلب عليه منهما"[2]. "إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسى ذكّره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء. إن نسى لم يذكّره وإن ذكر لم يعنه"[3]. "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم" قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال"فمن فتن بذلك"[4]. "إنه من غير الدّجال أخوف عليكم من الدجّال، فقيل من يا رسول؟ قال: من علماء السوء"[5]. "إن في رأس كل قرن يرسل الله للناس عالماً يجدّد لهم دينهم"[6]. "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوباء للغرباء"قيل: ومن الغرباء يارسول الله؟ قال:"الذين يصلحون عند فساد الزمن"[7]. "المسلمون شركاء في ثلاثة في الكلأ والماء والنار"[8].

أقوال العلماء

نحاول أن نستعرض أقوال المغيلي التي دلّل بها في رسائله الدعوية، وذلك للتأكيد والتعضيد، وليكون رأيه مسنوداً من خلال أراء العلماء والفقهاء. وتعتبر أقوال العلماء وأرائهم من الأدلة التي يجب على الباحث والكاتب أن يعضّد بها رأيه وتأتي بعد القرءان والسنة مباشرة.

1) رسالة إلى كل مسلم ومسلمة:

في هاته الرسالة الخاصة بأهل الذمة عموماً وباليهود خصوصاً. عضدّ فيها المغيلي رأيه بأراء بعض العلماء وهم كالأتي:

حكى القرافي: أن الخليفة غضب على الشيخ أبي الوليد الطرطوسي، فأمر بإحضاره عازماً على عقوبته، فلمّا دخل الشيخ رحمه الله ورضيّ عنه قال:

---

1 – ذكره الهيثمي في الزوائد والبزار والطبراني في الكبير والأوسط– ج5 ص203.

2 – اخرجه البخاري في صحيحه والنووي في رياض الصالحين– ص361.

3 – رواه أبو داوود بإسناد جيّد على شرط مسلم في رياض الصالحين– ص361.

4 –اخرجه البخاري في الاعتصام ومسلم في العلم وفي جامع الأصول– ج10– ص35.

5 – ذكره الهيثمي في الزوائد– ج5– ص242.

6 – إشارة إلى حديث "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" رواه الحاكم في مستدركه والبيهقي في السنن.

7 – اخرجه مسلم في صحيحه وابن الأثير في جامع الأصول– ص275–273.

8 – اخرجه أبو داوود وابن الأثير في جامع الأصول– ج1ص484– ج10ص584.

يأيها الملك الذي جوده يطلبه القاصد والراغب

إن الذي شرفت من أجله يزعم هذا إنه كاذب.

فاشتد غضب الخليفة حين سمع الأبيات، وأمر بالراهب، فسحب وضرب وقتل، واقبل الخليفة على الشيخ أبي الوليد يحدثه ويكرمه، بعد أن عزم على إيذائه.

وهذا الرأي للإمام القرافي يعدّ من الأخبار التي جعلها الإمام المغيلي في رسالته لأهل الذمة يعضّد بها رأيه ويؤكده[1].

قال سحنون: ولا يؤكل في آنيتهم حتى تغسل، وطعام الكفر ما صنعوه لكنائسهم وأعيادهم ونحو ذلك من ضلالهم، وهذا ليس من طعامهم إنما هو من طعام كفرهم فلا يحلّ للمسلم لأنه ممّا أهل به لغير الله وقصد به تعظيم الكفر برسول الله[2].

عمر: قال رضيّ الله عنه: "لا كنيسة في دار الإسلام. وأمر أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة" وقد انعقد على ذلك الإجماع بلا خوف بين علماء ائمة المسلمين.

الشيخ أبا المحاسن الاشعري: إمام أهل السنة. وقد أفتى بأن بناء المسلم للكنيسة كفر وقال:"وتكون ردّة في حقه لاستلزامه إرادة الكفر."

وفي رسالته لأمير كانو (فيما يجب على الأمير) نجده لم يأت بقول عالم من العلماء ولم يستدّل به، وإنما هي كلها من أرائه وأفكاره معتمداً على ثقافته ومعلوماته.

أما رسالته الثانية (الوصية): فقد استدل فيها برأي عمر بن عبد العزيز: قال رحمه الله: "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور".

أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: استدل فيها بأراء العلماء والحكماء.

مالك بن أنس: قال: لا تمكن زائغ القلب من أذنك.

أبي حذيفة اليماني رضيّ الله عنه: إنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال: "إن الدّين قد استضاء إضاءة هذه الحصاة، ثمّ أخذ كفاً من تراب فجعل يدور على الحصاة حتى وراها. ثم قال:

1 - رابح بونار- مصباح الأرواح في أصول الفلاح- ص41.

2 - المرجع نفسه- ص42.

والذي نفسي بيده ليجيئن أقوام يدفنون الدّين هكذا كما دفنت هذه الحصاة، ولتسلكن سبيل الذين كانوا من قبلكم حذو القذة بالقذة والنعال بالنعال....."

قول **أبن المبارك** رضيّ الله عنه وعنا به: (وهل أفسد الدّين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها).

وقال بعض الأدباء:

قضاة زماننا أضحوا لصوصاً عموما في البرية لا خصوصاً

فلو عند التحية صافحـــونا لسلوا من خواتمنا الفصوصا.

قول ابن القاسم: في أهل حصن من المسلمين ارتدوا عن دين الإسلام إلى الكفر: "لا تسبى ذراريهم ونساءهم وأما أموالهم فهي فيء للمسلمين"

ابن رشد: وهذا هو الصحيح من جهة النظر لأن المرتدين أحرار من أصلهم.

قال: وإلى مذهب ابن القاسم في المرتدين. ذهب عامة العلماء وائمة السلف.

أبو القاسم البرزلي: ذكر في كتبه ما نصه: وقد ظفر السلطان بفرقة من بوادي افريقية وجعلهم مستغرقو الذمة فأفتى شيخنا ابن عرفة، بإباحة أموالهم بالأغلب حتى يتحقق أصل الحلال منهم. قال: لأنهم عصاة بمكاثرة المحاربين وتكثير سوادهم، ولم يجعل لهم حرمة من بان بنفسه، ولم يخالطوهم، وهذا إذا وجد مندوحة عنهم وإلا فهو كالمكره في بلاد الحرب إذا لم يستطع الخروج من بلاده وخاف على أهله ونفسه وماله وولده.

الشعر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحر"

من خلال هذا الحديث الشريف نجد أن الإمام المغيلي استعمل الشعر ودلّل به في رسائلة ويعتبر الإمام المغيلي من الشعراء الكبار لأنه يقول الشعر ويكثر منه. والله سبحانه تعالى يقول في محكم التنـــزيل:وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ الشعراء 224-227 والاشعار التي نذكرها في هذا المطلب هي أشعار المغيلي.

1) رسالة إلى كل مسلم ومسلمة: استعمل فيها الشعر بشكل لافت، حيث كان يستعمله في هجاءه لليهود وأنصارهم وتحميساً لأنصاره لطرد اليهود من المنطقة.

فيقول: إذا قرّب الإنسان أخيار قومه وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وإن قرّب الإنسان أشرار قومه وأعرض عن خيارهم فهو طالح
وكل امرئ ينبئك عنه قرينه وذلك أمر في البرية واضح.

ويقول: حبيبي من يعادي من نعادي ويشفي ما بقلبي من الأعادي
ويعلي رايتي بين البرايا ويفنى عن هواه في مرادي.

ويقول في حبّ النبيء وبغض اليهود:

في حب النبيء يقتضي بغض اليهود فاندم على ما قد مضى لا تعود
كيف يا من قرب أعداء النبيء في القبر والحشر إلى نار الوقود
من ذا الذي يشفع فيه إذا دنت من وجهه الذي أرضى به اليهود.

وفي الأخير يختم بقصيدة:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود.

وقد سبق لنا ذكرها في المبحث الثاني: تحت عنوان(الخطابة).

2) رسالته في الإمارة: وهي كذلك استعمل فيها الشعر.

فيقول: إذا كنت في أمر فقم ناصحاً وإن تستتب فاختر خياراً لأهله
ومن يأت بالكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من سوء فعله.

وأما رسالته (فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام): فلم يستعمل فيها الشعر.

3) أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي: فيها قليل من الشعر.

فيقول: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي.

وهذا البيت ذكره في رسالة إلى كل مسلم ومسلمة.

ويقول: إذا قرّب السلطان أشرار قومه وأعرض عن أخيارهم فهو طالح
وإن قرّب السلطان أخيار قومه وأعرض عن أشرارهم فهو صالح
وكل امرء ينبئك عنه قرينه وذلك أمر في البرية واضح.

وحتى تعم الفائدة نحاول تحت هذا المطلب أن نجمع كل ما ألفه المغيلي من أشعار.

قال عندما خرج من تلمسان متجهاً نحو قصور توات

تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرء أرض يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى.

ويقول في تحذيره من الدنيا وملذاتها:

هي الدنيا غرور في غرور واحلام ترفع الدهور

هي الدنيا تكنى أم نتن ومرجع من عليها القبور.

وقال في فضل العلم:

العلم نور كل الناس يطلبه وهل يرى النور منهم غير ذي بصر

الرأس رأسان ذو عين وذو حكمة والقلب قلبان ذو صفو وذو كدر

لكن للعلم شأن شان جاهله بين البرية في بدوّ وفي حضر

حتى تقرّب للأوهام وانبعثت له النفوس انبعاثاً غير مضطرب

ويكمل في ذمّ الدنيا:

لها كيد عظيم من نعيم وبيض قاطرات الطرف حور

وأبناء وأموال حسان وجنات مشيدة وقصور

ترى الناس بعض شيء وتدلي نحوهم حبل الغرور

فمن يرقى لها يلقى صريعاً ويرقى صدره بعض النسور

فطوبى لامرئ ولى سريعاً وأولى نفسه خير الأمور.[1]

ويقول معلماً تلاميذه أداب طلب العلم:

ولا تقهقه أبداً فإنما يقهقه الاعمى ويزداد عمى

وكن على الصمت حريصاً دائماً فقلما يسلم من تكلما

وان يكن لا بدّ فاختر محكماً واخفض من الصوت ليلا تندما[2]

ويقول في شأن السلطان وأخلاقه:

إذا أهمل السلطان شأن مقالة فقد بان منه الضعف في كل حاله

---

1 – المغيلي– أحكام أهل الذمة– ص13.

2 – المغيلي – أحكام أهل الذمة – المصدر السابق – ص02.

وأمسى كليل الأمر والنهي في الورى وأرمى بثوبي عزة وجماله.[1]

ويقول ناصحاً للأمير ومحذراً من الجبن والضعف:

ألا قبح الله الجبان من الورى وأكساه ثوب الخزي في طبق الثرى

أبا لجبن كان الملك يملك قبلنا وما الملك إلا بالشجاعة يشترى

مقام السلطان في الحضر رأس كل فتنة وضرر

وشبه الأمير الذي يذود عن ملكه بالعقاب، والذي لا ينهض لذلك بالديك وعقد بينهما مقارنة طريقة فقال:

مجال عقاب الطير الجو والفلا وانشط ديك في البيوت تجول

وما الملك إلا لعقاب بعزمه وللديك صوت في الدجاج يصول.[2]

ومما جاء في مقدمة رجزه 'منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب' يقول ما يلي:

وبعد لما كان لعلم المنطق رعية الذهن من غي يقي

نظمت نظماً شاملاً قواعد راج من الله الكريم المددا

وحفظ حافظ له وناظر قد أخذ الايضاف ثوباً ساتراً[3].

إضافةً إلى القصيدة الميمية التي نظمها عند قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتشبه قصيدة البردة للبوصيري. وافتتحها بقوله:

بشراك يا قلب هذا سيّد الأمم وهذه حضرة المختار في الحرم.

وسنكتبها كاملة في الملاحق.

وهناك نظم رجزه المغيلي في المنطق المسمى بـــ'منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب'ويفتتح بـــ:

الحمد لله الذي هدانا لدينه القويم واحتبانا.

وسندرجها كاملة في الملاحق.

وفي الختام نستطيع القول أن الإمام المغيلي كان يستعمل الشعر ويدلّل به في أغلب مواضيعه وأفكاره، لأن الشعر يبقى ويتداول بين الناس ويحفظ من طرف الطلاب والعلماء، وبذلك يصل صيته إلى جميع الأصقاع بفضل هاته الأبيات.

---

1 - لمغيلي- مصباح الأرواح - ص03.

2 - منيرة بوغرارة- المرجع السابق-ص183.

3 - المغيلي- منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب- ص2 3.

الحكم

إذا نظرنا إلى كلام الإمام المغيلي في رسائله الدعوية نلاحظ إنه يستعمل الحكم، فأغلب كلامه عبارة عن حكم، وقواعد دعوية، وسياسية، يجب على المرء أن يتصف ويلتزم بها. فنجده يوظف هاته الحكم وتخرج من فيه صلقة لا تكليفاً. من هنا نحاول استخراج هاته الحكم والقواعد الموجودة في رسائله.

1) **رسالة إلى كل مسلم ومسلمة:** نجده لا يستعمل الحكم والقواعد لأنه بصدد تبيان رأيه وإعطاء الأدلة الشرعية والتاريخية لتقوية رأيه. فاستعمل حكمة واحدة وهي (الأمر اليوم وما قبله بكثير بيد أرباب الهوى لا بيد أرباب التقوى).[1]

2) **رسالته في الإمارة والسلطنة:** أكثر فيها من الحكم والقواعد وهي كالأتي:

"إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى"[2].

"الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى فعلى كل ذي عقل وأمانة أن يبعد عنها إلا إذا لم يكن له بدّ منها".[3]

وكان يردد في نهاية كل باب عبارة:"ورأس كل بلية احتجابه عن الرعية".

"وليخف من الحبل لئلا تلسعه الحية".[4]

"عامل عاملك بعملك إن أحسن فالثواب لكما، وإن أساء فالعقاب عليكما".[5]

"إذا دخلت الهدية على ذي السلطان خرج عنه العدل والأمان وصار صاحبه بالخيانة ".[6]

3) رسالته فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام

"لكل داء دواء. ولكل مقام مقال".[7]

"ولا تفعل بالمفسد ما هو أشد في ردعه إلا إذا رأيت أنه لا يرجع بغيره".

"وليس الخبر كالعيان والله المستعان وعليه التكلان".

---

1 - رابح بونار- المرجع السابق- ص51.

2 -أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص121.

3 -المرجع نفسه- ص122.

4- المرجع نفسه- ص125.

1-أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص125.

6 - المرجع نفسه- ص128.

7 - المرجع نفسه ص130.

"القضاء من صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم. لا يوصف به إلا عالم تقيّ لا يأخذ الرشا ولا يحكم بالهوى".[1]

4) أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:

"فكن لله عبداً بطاعته، يكن لك رباً بحفظه وإعانته".

"فانظر لنفسك قبل الفوت ، فإنه لا بدّ من الموت".[2]

"فاقطع الشك باليقين، واحتط لدينك أكثر مما تحتاط لدنياك".[3]

"والتقوى مخالفة الهوى، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله".[4]

"فإن لكل قول حقيقة ولكل حقيقة برهاناً ولسان الحال انطق أي أصدق من لسان المقال".[5]

الإحالة على الكتب

إن المتصفح لكتب العلماء والمفكرين القدماء لا يجد التهميش والإحالة على المصادر والمراجع التي اعتمدوها في أبحاثهم ومؤلفاتهم، ولكن الباحث يحاول أن يرجع إلى أمهات الكتب ويميّز بين الكلام المنقول من المصادر والمراجع، وكلام المؤلف ذاته.

والإمام المغيلي كغيره من العلماء كان يأخذ من المصادر والمراجع والكتب المتوفرة أنذاك في زمانه ويعتمد عليها في مؤلفاته، والعالم يتأثر ويؤثر، ولذلك نجده يتأثر بأفكار عالم ما أو كتاب ما فنجده يعتمد عليه في التدليل والاستنباط.

نحاول كمبادرة أن نستخرج أهم الكتب والمراجع التي اعتمد عليها المغيلي في رسائله الدعوية.

1) رسالة إلى كل مسلم ومسلمة:

الإمام المغيلي في هاته الرسالة القيّمة والمهمة والتي كانت إيضاحاً لرأيه وإبراز أهم الأدلة والأحكام التي اعتمد عليها.

من أهم هاته المصادر: كتاب الشفا للقاضي عياض.[6] وهو كتاب في الحديث، اعتمد عليه المغيلي لتوجهه الصوفي في استخراج الأحاديث المتعلقة بحب النبيء صلى الله عليه وسلم. ويعتبر هذا

1 - أبو بكر أسماعيل ميقا- المرجع السابق-ص132.

2 -المرجع نفسه-ص140.

3 -المرجع نفسه- ص146.

4 - المرجع نفسه - ص155.

5 - المرجع نفسه- ص157.

6 -عبد الرحيم بنحاده، عمر بنميرة- المرجع السابق- ص21.

المصدر من أهم كتب الأحاديث التي تعنى بأوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه. والإمام المغيلي وفق في اختيار المصدر لأنه كان يتكلم في حب النبيء وما يتعلق بذلك.

واعتمد على كتاب الفروق لشهاب الدين القرافي[1] في الأحاديث المختصة ببناء الكنائس وهدمها. والقرافي ذكر الأحاديث كلها التي توجد في الموضوع. والمغيلي ذكر أهمها فقط، ولم يأتي بحديثين فقط.

ومحقق رسالة في اليهود يأتي بالأحاديث التي أوردها بدر الدين القرافي في كتابه "الدرر النفائس" وهي نفسها الأحاديث التي دلّل بها الإمام المغيلي في رسالته.

ويقول بالحرف الواحد:"لنقارن بين نصين فقهيين عالجا نفس القضية، ولبيّن ضعف حضور النص الحديثي عند المغيلي، ثم لإظهار ضعف السند المرجعي، وهو ما يعكس مستوى الثقافة الفقهية للمغيلي."[2]

وهذا نقد غير بناء ولا أساس له ولا مرجعية إلا الإنقاص والإسقاط من قدرة المغيلي فقط. ونواياه تظهره للعيان.

ويزيد في تطاوله ويتهم المغيلي بمحدودية السند المرجعي فيقول: "السند المرجعي: فعندما نمعن جيداً في النص سرعان ما نقف عند محدودية السند المرجعي، فمراجعه تكاد تعدّ على روؤس الأصابع".[3]

كما اعتمد على كتاب: مراجع الإجماع لأبن حزم الأندلسي. ويلاحظ أن الإحالة على ابن حزم، بالرغم من تداوله الواسع في أوساط الفقهاء والعلماء المسلمين، كانت بالواسطة حيث يحيل على كتاب الذخيرة للقرافي.[4]

نقول إن الإمام المغيلي لو كان عنده كتاب ابن حزم لاعتمد عليه، ولما انتقل لغيره، فربما لم يتوفر هذا الكتاب في تلك الفترة لديه، وكان بيده كتاب الذخيرة للقرافي فنقل منه واعتمد عليه، فهل هذا يعدّ نقصاً من طرف المغيلي يحاسب عليه.

كما اعتمد المغيلي في فتواه على العهد العمري وجعله سنداً يرجع إليه في أحكامه على أهل الذمة. وهذا يعتبر نقطة القوّة والمرجعية الأساسية لهاته الفتوى التي لاقت معارضة شديدة قديماً وحديثاً.

---

1 - عبد الرحيم بنحادة وعمر بنميرة- المرجع السابق - ص21.

2 - المرجع نفسه - ص21.

3- المرجع نفسه- ص21.

4 - المرجع نفسه - ص21.

2) رسالته في الإمارة:

من أهم المراجع التي اعتمد عليها في هاته الرسالة ما يلي:

كتاب: "آداب الملوك" لأبو منصور الثعالبي. ت(429هـ 1038م) تحقيق: جليل العطية.

كتاب: "التاج في أخلاق الملوك" للجاحظ.ت(255هـ 869م) تحقيق: عمر الطباع.

كتاب: "أدب الدنيا والدين". "الأحكام السلطانية والولايات الدينية". "تسهيل النظر وتعجيل الظفر". لأبو الحسن الماوردي.

كتاب: "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية". لتقي الدين احمد ابن تيمية.ت(736هـ 1327م).

كتاب: "الفرائد والقلائد" لأبو الحسين الأهوازي. ت(436هـ 1044م).

تحقيق: إحسان الثامري.

كتاب: "نظام الملك" للطوسي.ت(485هـ 1092م). ترجمة وتعليق: محمد العزاوي.

كتاب: "الأدب الصغير"."الأدب الكبيـــر" لابن المقفع. تحقيق: احمد زكي باشا.

كتاب: "السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة". لمحمد الحضرمي المرادي.

تحقيق: سامي النشار.

كتاب: "الشهب اللامعة في السياسة النافعة". لعبد الله المالقي(ابن رضوان).تحقيق: سليمان الرفاعي.}[1]

من خلال هاته المصادر التي اعتمد عليها الإمام المغيلي في رسالتيه فيما يجب على الأمير) و(فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام). نجده يؤسس للدولة والمجتمع، ويعتمد على أصح وأهم المصادر في الموضوع.

وهذا يجعلنا نؤكد أن الإمام المغيلي لم يكن مؤسساً لهذا الفكر السياسي وإنما كان مقلداً له ويأتي بأفكاره من المصادر القديمة التي سبقته في الموضوع، وكان يعطي هاته الأحكام والقواعد في شكل نصائح مختصرة للحاكم، حتى يستفيد منها ويطبقها في أرض الواقع.

1 - هاته المصار كلها مأخوذة من رسالة ياسين شبايبي – المرجع السابق.

3) أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:

في هاته الرسالة التي تعطي الحلول الفقهية والسياسية للحاكم في مواجهة المشاكل الاجتماعية المستعصية عليه، فأعطاه الحل الإسلامي والشرعي لهاته المشاكل. واعتمد في هذا على بعض الكتب التاريخية لعل أهمها ما يلي:

كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس".

كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في إيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"ج1.

كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي.

كتاب"الأحكام السلطانية والولايات الدينية". لأبن الحسن علي بن محمد ابن الحبيب الماوردي.

واعتمد على كتب الرحالات العرب مثل ابن بطوطة والحسن الوزاني(المعروف بليون الإفريقي).

واعتمد على التاريخ الإسلامي وما وقع فيه من أحداث. كما فعل الصحابي الجليل خالد بن الوليد ببعض أهل الرّدة في خلافة أبو بكر الصديق رضيّ الله عنه.

من خلال معرفة المصادر التي كان يستنبط منها الإمام المغيلي الأدلة الشرعية، وكان يوظفها في رسائله الدعوية ويدلّل بها على الأحكام والأفكار التي يدعوا لها.

من هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن الإمام المغيلي اجتهد قدر الإمكان في إيصال فكرته إلى المجتمع بطريقة علمية وعقلية مدللة. وساعده في ذلك ملكته الشعرية التي أعطت قوّة لأفكاره وما يدعوا إليه، وألفاظه المختصرة التي تخرج من فيه على شكل حكم وقواعد شرعية عبارة عن مواعظ يستطيع القارئ والمستفيد منها جعلها على شكل قواعد سنية يعيش في إطارها ويطبقها في حياته الاجتماعية، إن أراد النجاح والفوز في الحياتين الدنيوية والأخروية.

الفصل الثالث

المنهج الدعوي للإمام المغيلي
من خلال رسالتيه:
رسالة إلى كل مسلم ومسلمة– أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي.

في هذا الفصل التطبيقي الذي نحاول فيه معرفة المنهج الدعوي المتبع من طرف الإمام المغيلي من خلال الرسالتين. ولا يكون ذلك إلا بالقراءة المتأنية للنص، ومعرفة الأسباب والأحداث التي رافقت كتابة النص، والأهم من ذلك استنباط طريقة الإمام المغيلي في معالجة هاته الأحداث، والأفكار والمشاكل الاجتماعية والسياسية؟ وما هي نظرة المغيلي للمجتمع التواتي، الذي سيطر عليه اليهود على مختلف الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية؟ وهل وفق المغيلي في طرد اليهود من المنطقة بشكل تام؟ أم لا؟ وهل هناك من قام بهذا العمل بعد الإمام المغيلي؟ وهل هاته الفتوى في يهود توات تعدّ فتوى عامة في جميع أهل الذمة؟ أم هي خاصة بيهود المنطقة في تلك الفترة؟.

أما رسالته للأسقيا محمد الكبير، والتي أصبحت وثيقة تاريخية رسمية، لا يستطيع الباحث في تلك الفترة الاستغناء عنها.

نحاول من خلال هاته الرسالة أن نعرف علاقة المغيلي بحكام السودان الغربي، وكيف كان ملاصقاً لهم وناصحاً ومستشاراً ومعلماً ومفتياً وقاضياً في نفس الوقت. ونعرف كيف استطاع المغيلي معرفة أحوال المجتمع السوداني بطريقة دقيقة مفصّلة، فنجده يعرض علينا الواقع بأدق التفاصيل مما يلم على إطلاعه ومعرفته بعقلية هذا المجتمع.

وكيف استطاع أن يعطي الحلول الشرعية اللازمة لهذا المجتمع، ويصف الدواء الشافي والكافي الذي لا يحتاج مستعمله إلى دواء آخر. ونجده مرات يقسو في أحكامه وفتواه، لأنه يرى القسوة في هذا الحكم هي الحل الأنجع، فقد وضع الرفق في مكانه والقسوة في مكانها، وأن كانت أغلب أفكاره وفتواه تصبغ بطابع القوّة والقسوة، فهو أدرى بالحال الذي كانت عليه العقول أنذاك.

هاته الوثيقة التاريخية التي أحدثت زوبعة كبيرة في إصلاح المجتمع السوداني وسارت عليها البلاد مئات السنين مستقرة مطمئنة، جديرة بالدراسة والتحليل ووضعها في أغلب المكاتب، وندعوا الدعاة الجدد أن يستعينوا بها في معالجة المشاكل الحديثة التي يعاني منها المجتمع.

1) رسالة إلى كل مسلم ومسلمة:

هاته الرسالة تتعلق بعلاقة المسلمين بأهل الذمة عموماً وباليهود خصوصاً، تتألف من ثلاثة فصول: الفصل الأول "فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار". وأما الثاني "فيما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار". والثالث "فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر الأوطان من الجرأة والطغيان".[1]

دواعي إنجاز الكتاب:

لا تفصح كتب التراجم عن الأسباب الحقيقية لإنجاز هذه الفتوى وقد ترتبط بواعث التأليف بموقع توات في التجارة العابرة للصحراء والدور الذي لعبه اليهود في هذه التجارة، فقد لاحظ المغيلي بعد حلوله بتوات أن اليهود كانوا يشاركون بنشاط في حركة القوافل التجارية مع المسلمين. وقد سجلّ معظم الباحثين الريادة اليهودية في هذه التجارة. وأرجع المغيلي هذا الدور إلى تساهل المسلمين معهم حيث "كانوا يقربونهم من النفس والعقال ويستعملونهم في الأعمال" كما رأى أن اليهود بذلك "تجاوزوا الأحكام الشرعية بشراء ذمم الحكام".

هذه الوضعية هي التي غاظت المغيلي الحريص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فحرّض أهل تمنطيط على استباحة دماء اليهود وأموالهم ونساءهم وكنائسهم على اعتبار سقوط ذمتهم نتيجة لتعلقهم بأرباب الشوكة من المسلمين الذي يتنافى والذل والصغار المشروط في أهل الذمة. ونتيجة لما لقيته هذه الفتوى من معارضة الفقهاء بالمنطقة. فقد ألف المغيلي في ذلك هاته الرسالة التي وجّهها إلى علماء فاس وتلمسان فطالعها الفقهاء "فمنهم من أنصف ومنهم من أنف".[2]

تحليل مختصر للرسالة:

افتتح رسالته بالمقدمة المعتادة من الحمدلة والصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الكرام وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان. ثم سلام الله على الجميع بقوله "....إلى كل مسلم ومسلمة سلام الله عليكم ورحمته وبركاته." وهذا دلالة على أن رسالته لم تكن موّجهة لليهود، وإنما كانت موّجهة لجميع المسلمين. وهذا ما يجعلنا نختار لهاته الرسالة عنوان: رسالة إلى كل مسلم ومسلمة.

---

1 - منيرة بوغرارة- المرجع السابق- ص59.

2 - عبد الرحيم بنحادة، وعمر بنميرة- المرجع السابق- ص13 14.

وحتى نردّ على من عنونها ب"رسالة في اليهود" وحتى لا يتداول هذا العنوان بين الباحثين فيعرفونها به.

أقول: إن اليهود أجبن من أن يكتب فيهم الإمام المغيلي رسالة. فهم أحقر من ذلك. فإذا افترضنا أن المغيلي وجه وكتب في شأنهم رسالة، فهو يصّغر أو يسقط من قيمته لأنه رفع من شأنهم، وهو في الحقيقة كان يريد إذلالهم. ولذلك ندعوا الباحثين الكرام أن يصححوا من أخطائهم ويعطوا للرسالة عنوانها الحقيقي وهو "رسالة إلى كل مسلم ومسلمة".

الفصل الأول: عنونه"فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار".

وافتتحه بقاعدة: إن الطيب لا تجده ولا يألف إلا الطيب. وأما الخبيث فلا يرتاح إلا مع الخبث والنجاسة. وكل جنس إلى جنسه ألف. وقرّر أنه لا يقرّب الكافر من نفسه وعياله إلا من لا دين له ولا عقل ولا مروءة. ودلل على ذلك عقلاً، ونقلاً من القرءان الكريم. وجاء بالأشعار التي تدل على هذا المعنى.

ثم دعا المؤمن الحقيقي أن يكون شديداً على الكفار رحيماً بالمؤمنين، وجاء بالأحاديث التي تدل على حبّ النبيء صلى الله عليه وسلم. وقرّر أن المحبة توصل إلى معادة من عادهم أي النبيء وصحابته الكرام، وبغض من أبغض الله ورسوله ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه.

ثم ذكر أن من أحب الله يعادي من حاد الله ولو كان الأب والأبناء والعشيرة كما فعل الصحابة الكرام في صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم. وجاء بخبر سيدي ابراهيم المصمودي قطب تلمسان. وخبر الأستاذ سيدي هبة الله وكان عالماً تقياً، ثمّ حذّر من موالاة اليهود والنصارى وقرّر كذب من يدّعى الإيمان ويقرب أعداء الله إلى أنفسهم ويوالونهم ووصفهم بالكفر. "أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون". وجاء بالأيات القرءانية التي تساند رأيه وحكمه. وجاء بالأبيات الشعرية التي توضح رأيه وتظهره للعيان.

ودعا العاقل أن يقرّب أحباب الله ويبعد أعدائه بقدر طاقته ما استطاع إلى ذلك سبيل، وجاء بالأيات القرءانية التي تدل على ذلك، وجاء بأخبار القاضي الذي استعمل يهودياً في أعماله واليهودية التي تعجن خبز مسلم ودلل على ذلك بالقرءان.

فأثبت بالأدلة العقلية والنقلية القطعية بأن الذي يقرب اليهود من نفسه وعياله لا عقل له ولا مروءة، وبيّن أن لا مروءة له بأنه يعادي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه يعتقد فيه

النقص. وجاء بالمثل المشهور "كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدّين". فهم عادونا في الدين وعادوا حبيبنا. ووصف من يوليهم بأنه لا همّة وبأنه أخس وأخزى الناس. ودلل على ذلك بالأيات والأخبار.

وحذر من أكل أكلهم والتعامل معهم في البيع والشراء لأنهم أصحاب مكر وخديعة فلا أمان لهم وفيهم. وجاء بأمر عمر بن الخطاب رضيّ الله عنه، حيث نهاهم أن يكونوا جزارين ولا صيارفة. وقال رضيّ الله عنه "إن الله تعالى قد أغنى المسلمين بالمسلمين فلا تستعملوا الكفار في شيء من أعمالكم".

الفصل الثاني: وعنونه فيما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار.

وافتتحه بالأية 29 من سورة التوبة التي تدّل صراحة على قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. فالأمر هنا يفيد الوجوب كما رأى الإمام المغيلي، وقرّر أنه لا ينبغي ترك أعداء الله في أرض المؤمنين حتى يذعنوا للحق ويعطوا الجزية وهم أذلة.

فالقصد من إعطاء الجزية ليس هو طمع المسلمين وحاجتهم لهاته الصدقة التي يعطيها أهل الكتاب، وإنما هو الإذلال والصغار حتى يستحيوا ويعلنوا إسلامهم ويعيشوا بين المسلمين معززين مكرمين.

فالشرع يقصد هنا من وجوب أخذ الجزية هو اتساع مساحة الإسلام والمسلمين، ودخول الناس اليه عن طريق العزة والكرامة. وبالطرف الآخر: لا يكرهه في الدخول في الإسلام لقوله تعالى: لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴿٢٥٦﴾ البقرة 256 . فمن أراد أن يبقى على دينه يعيش مذلولاً صغيراً وإلا فليعلي شأنه بإعلاء كلمة الله.

ثم أعطى شرحاً مفصّلاً للجزية وما يعقبها من أرزاق ونحوها. ووصف صفة أخذها من الكفار، وذلك بجمعهم في الساحات وإذلالهم وإشهاد الناس عليهم. وعيّن من يأخذ الجزية منهم وهم أولوا الأمر، ثم عيّن مصارف الجزية وتصرف في الثغور والسلاح وغيرها من مصالح المسلمين. ثم شرح معنى الصغار الذي يدخل في أقوالهم وأفعالهم وسكناهم وعبادتهم ومشيتهم، ويعيشون بيننا في الذلة والصغار حتى لو ملكوا القناطير المقنطرة من الذهب والفضة. وحذر من بيع الأرض لهم وأي شيء من أملاك المسلمين.

ثم تحدث على بناء الكنائس وجاء بالأحاديث التي تحرّم بناءها في أراضي المسلمين، والأحاديث التي تأمر بهدمها وردمها، حتى ولو كانت الأرض التي أرادوا أن يقيموا فيها ملكاً لهم. وبيّن أنه لا يستدل بما هو واقع في بعض البلدان من سكوت العلماء والساسة على اليهود وكنائسهم وبيعهم -فالرجوع إلى الأصل هو الأصل- وجاء برأي أبو الحسن الأشعري الذي أفتى بكفر من يأمر ببناء كنيسة.

الفصل الثالث: وعنونه فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلدان والأوطان من الجرأة والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان.

في هذا الفصل خصّص الموضوع وحكم على يهود توات وتيجرارين وتافيلالت وغيرهم بحل دماءهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم وإنه لا ذمة لهم إلا بأخذ الجزية عن يد وهم صاغرون. وجاء كدليل بالعهد العمري الذي أرسله نصارى الشام إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فلما وصله الكتاب وافق عليه وزاد عليه. ويقول في آخره "فعلى هذا الكتاب اعتمد علماء الأمة واتفق عليه أئمة كل مذهب في الأحكام المتعلقة بأهل الذمة. إلا أنهم اختلفوا فيما ينتقض به العهد من ذلك بين الائمة".

ثمّ فصّل الأشياء التي ينتقض بها العهد بيننا وبين الكفار والشروط التي يجب أن يلتزموا بها مع إعطاء الجزية.ثم حكم "بأن اختلاف العلماء إذا أخلوا بواحدة من هاته الشروط. فكيف بيهود لم يأتوا ولا بواحدة. بل تمردوا على الأحكام الشرعية". وجاء بالأخبار التي تدل على طغيانهم وخبثهم حتى وصلوا إلى تحريف القرءان للصبيان. ثم أمر السلطان بقطع رأس ذلك اليهودي.

ثم قرّر الفتوى العلنية القوية "فوالدي نفسي بيده لقتل يهودي واحد منهم أعظم من غزوة في أراضي المشركين. فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واهبوا أموالهم واسبوا نساءهم في كل مكان حتى يذعنوا للأحكام الشرعية أتم إذعان". وجاء بالأيات القرءانية التي تدل على ذلك وختمها بالشعر الذي يقول فيه:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود.

وختمها بنصيحة الأخذ والعمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجاء بالخاتمة المشهورة والدعاء لجميع المسلمين.

إذا نظرنا إلى الرسالة والشواهد التي استعملها الإمام المغيلي حتى يدّعم بها فتواه ويظهر للعيان ويعطيها البصمة الواقعية والأدلة الشرعية التي لا تدع مجالاً للشك في تحقيق الحكم الذي حكم به على أهل الذمة عموماً ويهود توات خصوصاً.

هاته الأدلة التي اعتمد عليها المغيلي في رسالته، نجدها تتنوع وتتضمن مساحة معتبرة من النص، فلم يعتمد على الأيات القرءانية والأحاديث النبوية فقط، بل نجده دعّم ذاك بالأخبار الواقعية التي حدثت للأمراء والسلاطين والذين استعملوا أعداء الله وقرّبوهم إلى أنفسهم، إضافة إلى تدعيم رأيه بأقوال العلماء وأرائهم وأراء الصحابة والشعر الذي نجده يستعمله بشكل واضح.

في هذا المبحث نحاول أن نعرف إن كان المغيلي قد وفق في استعمال الأدلة التي جاء بها في فتواه؟ وهل يحسن الاستدلال والتدليل كما ادعى البعض؟

غيرته على الإسلام: تسلل اليهود إلى قرية من قرى المسلمين في "توات"-تمنطيط- واستطاعوا أن يبنوا فيها كنيسة، فغار المغيلي لذلك وجعل يحرض المسلمين بالناحية على هدم الكنيسة وقتال أولئك اليهود. لأن البلد بلد إسلامي، والناس كلهم مسلمون فخالفه في ذلك قاضي مدينة "توات" عبد الله العصنوني بحجة التسامح الديني بين المسلمين وأهل الكتاب(وهو ما يعرف في التاريخ الجزائري بقانون الإدماج- أي إدماج الجزائريين في الفرنسين- إدماج الأصل في الدخيل). وهنا إدماج الدخيل والعدو في الأصل. فاضطر المغيلي إلى جمع آثار الفقهاء المشهود لهم بالفضل في زمانه وفي محيطه ليتقوى بها على طريقة الإجماع، فكتب إلى العلماء الأعلام فأجابوا بيأييد رأيه.[1]

هذا المخطوط هو عبارة عن رسالة وليس كتاب، ولهذا لا نحمّل المغيلي فيها ما لا يستطيع، ونطالبه أن يأتي بجميع الأدلة الموجودة في الكتاب، والسنة، والتاريخ الإسلامي، لكي يدلل على فتواه. فهو أراد أن يوصل فكرته ورأيه إلى العلماء في جميع الأصقاع حتى يعرف هل هو على حق أو على خطأ، و لم يكن بصدد التأليف والتدقيق والتمعن في المسألة.

نظراً لكل هاته الظروف المحيطة بالفتوى إلا إن المغيلي كان بارعاً في التدليل على فتواه فهي لنتعرف على ذلك.

1 - أدم عبد الله الألوري- المرجع السابق- ص39.

الإمام المغيلي استدل بالقرءان الكريم وجاء بالأيات القرءانية التي تدل صراحة على المعاداة وعدم الموالاة والقتل، وجاء بالأيات التي تدل بالمعنى على ذلك. ونجده قد تدرج في الأحكام من التحذير إلى نفي صفة الإيمان إلى المعاداة إلى القتل. و لم يحكم بقتالهم مباشرة.

1) الأيات التي تدل على تجنب رفقاء السوء:

افتتح بهم المغيلي أدلته وحذر من الجلوس مع رفقاء السوء ومع الخبيث قال تعالى:ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴿٢٦﴾ النور 26 ۞ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴿٥١﴾ المائدة 51. تماشياً مع المثل المشهور(مع من شفتك مع من شبهتك) وقوله تعالى: كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ الرعد 17. وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ العنكبوت 43.كل هاته الآيات تحذر من رفقاء السوء الذين لا يحبون الخير للصديق. وجاء الحديث الشريف واضح في هذا الأمر، قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك أما أن تشتري منه أو يحذيك أو تجد منه رائحة طيبة ونافخ الكير أما أن يحرقك أو تجد منه رائحة كريهة".

2) الأيات التي تنفي صفة الإيمان على من يوالي الكفار:

دلل المغيلي بهاته الأيات حتى يظهر خطر الأمر وفي أن موالاة الكفار مسألة خطيرة وليس كما يدّعي البعض بأنه تسامح وتعايش، وأتى بالأيات التالية: لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ ﴿٢٢﴾ "المجادلة22. ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ الرعد05.بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ النساء:138،139.

تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ المائدة80-81

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ آل عمران: 28

3) أهل الكتاب يحبون أن نكفر بالله ونواليهم ونتبعهم:

قال تعالى: مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ البقرة105. وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ ﴿٨٩﴾ النساء89. وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴿١٠٩﴾ البقرة109. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ آل عمران.100

4) الدعوة إلى معاداة الكفار وعدم موالاتهم:

قوله تعالى: ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴿٥١﴾ المائدة51 ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ ﴿٨٢﴾ المائدة82. لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ آل عمران28. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ

قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران118. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴿١﴾ الممتحنة: 01. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ المائدة57.

5) رفع راية الإسلام وإظهاره على جميع الأديان:

قوله تعالى: هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ ﴿٢٨﴾ الفتح28. وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ المنافقون07. أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ المائدة50.أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ "آل عمران83.وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿٨٥﴾ آل عمران85.

6) قتال أهل الكتاب المتمردين على أحكام الشرع:

قوله تعالى: قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ التوبة.29

7) الدعوة إلى تغيير المنكر وعدم السكوت عليه:

قوله تعالى: وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ النور: ٣١.

وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ النور: ٥٦.

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ آل عمران104-105

-هذا بالنسبة للأيات القرءانية التي استدل بها المغيلي في رسالته القيّمة، والملاحظ لها يجدها تدخل تحت الموضوع وتشير إليه وتفصّل خباياه، وتعطي الصورة الواضحة والواصفة لأعداء الله وكيف يتلونون ويتغيرون، ونجد أغلبها لا يدعوا إلى قتال أهل الكتاب أو تهديهم، وإنما يحذر المسلمين من موالاتهم والتقرب منهم والتودد إليهم. وهذا هو الخطر الذي يهدد الدولة الإسلامية الآن.

الأحاديث النبوية: إذا انتقلنا إلى الأحاديث النبوية التي دلل بها المغيلي في فتواه، نراه قد ذكر ست أحاديث فقط. ثلاثة منها في حبّ النبيء صلى الله عليه وسلم، وثلاثة في أهل الكتاب وبيّعهم وصوامعهم.

الأخبار: الملاحظة البارزة للمغيلي في هاته الرسالة، أنه أكثر من الأخبار والقصص التي تفضح خبث اليهود وأفعالهم، ويعتبرها كأدلة واقعية توضّح الفكرة للعامة.

ندرج هنا أهم الأخبار التي ذكرها المغيلي في رسالته:

1) خبر سيدي إبراهيم المصمودي: قطب تلمسان في ذلك الزمان، إنه كان يجلس عند رجل من العطارين في حانوته فقصده يوماً على عادته، وإذا به قد رأى يهودياً واقفاً عليه، فولى الشيخ إلى بيته، فبلغ الرجل ذلك، فجاء إليه وطلب أن يدخل عليه، فغلق في وجهه الباب و لم يفتح له وقال له: "وجه أقبلت به على عدوّ الله ورسوله لا تقبل به على حبيب الله ورسوله"[1].

2) خبر الأستاذ سيدي هبة الله: وكان عالماً تقياً. إنه لما يمر بوادي درعة وأقام به مدة، لم يقرب قط قصر بن سبيع لأجل أولياء اليهود، وكان إذا مرّ لبعض شأنه يسير حتى إذا حاذى قصرهم شمّر على ساقيه وقال لأصحابه "أجروا ليلا ينـــزل على أولياء اليهود غضب فيصيبكم معهم". فلا يزال يجري مع أصحابه حتى يبعد عن قصرهم.[2]

1 -عبد الرحيم بنحادة- عمر بنميرة- المرجع السابق- ص59.

2- المرجع نفسه- ص60.

3) أخبرني بعض الإخوان، وكان قاضياً في هذه الأوطان إنه لما وليها ووليّ القضاء بها، استعمل يهودياً في أشغاله. قال: "وكانت فيها ذلة في استعماله حين ظننت أن تخدمه من إذلاله". قال: فكان يتصرف في أشغالي ويظهر النصيحة لي.

فأعطيته يوماً ثيابي يغسلها و لم أمنه أن يغيب عليها، فكان بين يديه يغسل وأنا أنظر حتى عرضت لي حاجة، فدخلت إليها ورجعت بسرعة، فوجدته فوق ثيابي يبول عليها، فربطته وضربته ما شاء، وتبت من قرب أعداء الله ورسوله.[1]

4) أخبرني بعض الناس إنه رأى يهودية تعجن خبز مسلم وهي تمخط بيدها وتعجن قبل أن تغسلها. وأخبرني بعض الناس إنه رأى يهودية تعجن خبز مسلم وتأخذ القمل من رأسها وتقتله بين أظافرها وتعجن من غير أن تغسل يدها.[2]

5) أخبرني بعض الإخوان عن الإمام القيسي(إمام البيان) إن يهودياً كان يخدم السلطان أبا عنان فبلغ ذلك من الطغيان حتى غيّر لبعض الصبيان شيئاً من القرءان، وذلك أنه مرّ بصبيّ يستفتي في قوله تعالى "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه". فقال له اليهودي (قل من يبتغ الإسلام ديناً فلن يقبل منه). فأسقط الصبي لفظة "غير" واستفسر فأنكر عليه المعلم ذلك وقال له: "من قال لك هذا"فقال الصبي "رجل مر الآن بنا" فقال له أرني أياه. فلم يزل الصبي معه حتى لقيّه، فذهب المعلم من حينه لأستاذ كان السلطان يجود عليه بالخير إليه، وأخبرني بالخبر، وكان السلطان يرسل للأستاذ فرساً يأتيه عليه. فلما جاءه ركبه وحاده، و لم يحك له شيئاً حتى أخذ في تجديد لوحه، فاتفق أنه كان فيه "يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين". فلما قرأها السلطان: قال له الأستاذ أعد، فأعادها، وقال له أعد، فأعدها. فلم يزل يعيدها- ويقول له- أعد- حتى وضع السلطان اللوح من يديه وخرج لصاحب السيف وقال له: إن خرجت و لم أجد رأس ذلك اليهودي على يمين الطريق وجسده على شماله جعلتك في مكانه.[3]

---

1 - عبد الرحيم بنحادة و...- المرجع السابق- ص64.

2 -المرجع نفسه- ص64.

3 - المرجع نفسه - ص86.

بالنظر إلى الأدلة التي اعتمد عليها المغيلي في فتواه الخاصة بأهل الذمة، وحكمه على يهود توات الذي جهر به وأعلنه، وما صاحب ذلك من إرهاصات سابقة جعلته يصرخ وينفعل ويغير المنكر.

1) تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم السكوت عن الحق

لقد تأثر الإمام المغيلي بأفعال اليهود وسيطرتهم على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلمسان وما قابلها من سكوت العلماء والأمراء والساسة وإعانتهم لهم. ولوصية شيخيه عبد الرحمان الثعالبي الذي أوصاه" بأن لا يعاشر أهل سفاهة، وأن لا يستوطن مكان إهانة". هاته النصيحة الذهبية التي أعطاها الشيخ لتلميذه طبقها الإمام المغيلي في حياته وجعلها معيار يوزن بها الأمور والناس، ولذلك خرج من تلمسان لعدم قدرته على تغيير المنكر وأنه لا يستطيع السكوت عن الوضع، وهذا يدل دلالة واضحة على الوضع الاجتماعي المتردي الذي تعيشه مدينة تلمسان، بسبب ما أحدثه اليهود من أمور ليست من الدين في شيء. فتسلطوا على رقاب المسلمين من الناحية التجارية، والمالية، والاقتصادية، علاوة على وضعها السياسي المتردي[1].

وبانتقاله إلى توات واستقراره بها تبيّن له أن اليهود قد عثوا فساداً فيها، وسيطروا على الحياة الاقتصادية والسياسية أكثر مما كانوا في تلمسان. لذلك صمّم على طردهم منها رغم معارضة قاضيها الشيخ عبد الله العصنوني.

والمغيلي عند دخوله لتوات اعترف بذلك، ودفع لطرد اليهود دفعاً، وإلا لما كان إماماً عاملاً آخذاً بمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.فقال:"دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا، لولا ما ابتلينا به من محنة أخباث اليهود لعنهم الله وقد حمدنا الله جل جلاله على أن أهلكهم على أيدينا".[2] فعندما وجد اليهود وافعالهم يشكلون عقبة في طريقه لنشر الدعوة الإسلامية والإصلاح عمل على طردهم وتشتيتهم من توات حتى يتفرغ للدعوة والإصلاح.

هذا المنهج الذي اعتمد عليه المغيلي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،لم يقتصر على توات فقط، وإنما في جميع رحالاته وأسفاره، فالمغيلي يعتبر من العلماء الذين يوظفون العلم في الواقع ويطبقون الأحكام الشرعية التي تستمد من الوحي في شكل نظام سياسي وقوانين اجتماعية

1 - مبروك مقدم- الإمام المغيلي من خلال الوثائق التاريخية- المرجع السابق- ص58.

2 - المرجع نفسه- ص43.

وسياسية، وذلك لصبغ المجتمع والحياة بصبغة إسلامية محضة، وهذا هو الهدف الأسمى الذي كان يصبوا اليه.

2) الحكم على يهود توات بأنهم ليسوا أهل ذمة ولا تنطبق عليهم الأحكام الشرعية

وإذا انتقلنا إلى صلب الموضوع وإلى وسط الرسالة نجد إن المغيلي أخرج يهود توات من أهل الذمة لعدم إنطباق أحكام الذمة عليهم، والتي دلت عليها الأحكام الشرعية المبسوطة في الكتب الفقهية. بالعكس كان ينظر إلى اليهود في تلك الفترة بأنهم أصحاب الحل والربط في توات، وصاروا هم أهل الدار، واستعملوا المسلمين في أعمالهم وأراضيهم وتجارتهم فكأن اليهود هم الأسياد والأمراء، والمسلمين هم العبيد. هذا الوضع الوضيع الذي يعيش فيه المسلم وهو ذليل مكسور الجانب، لم يسكت عليه الإمام المغيلي، وإنما وقف له بالمرصاد وغيره بالقول والفعل.

لاحظ المغيلي في حياة شيخه يحي بن يدير، نفوذ اليهود التجاري واشتغالهم بأغلب الحرف المربحة كصياغة الذهب والفضة، ولم يعجبه الاستعلاء الذي كانت عليه الجالية اليهودية بتوات. وكان اليهود يدخلون القتال الذي يكون بين القبائل التواتية، كما أنهم ملكوا الرقيق الذين ثبت إسلامهم، ولم تكن لهم علامة تميزهم عن بقية السكان المسلمين، بالإضافة إلى أنهم لم يلتزموا بأحكام أهل الذمة، فقد كانوا يركبون بين المسلمين، ويزاحمون ويضيقون على المسلمين في تجارتهم.[1]

ويوضح المغيلي بأن اليهود لا يعذرون بجهلهم لمقدار الجزية ووجوبها وهم مطالبون بدفعها. والمغيلي لا يشك أبداً أن يهود توات وتيكوارين قد حلت دماءهم وأموالهم ونساءهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم، هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية، مع إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون. ويجب أن يلتزموا بأحكام أهل الذمة، لأن الخلاف بين الفقهاء في نقض عهدهم كان في الذمي الذي أخل ببعض الأحكام من غير تصميم واستمرار.[2]

وقال المغيلي: "وأما من ترك شيئاً من ذلك واستمر على تركه وصمم عليه فلا خلاف في نقض عهده ووجوب قتله وسبيه، لأنه التمرد على الأحكام الشرعية".[3]

---

1 – احمد الحمدي– المرجع السابق– ص107.

2 – المغيلي– رسالة إلى كل مسلم ومسلمة– و7و.

3- المصدر نفسه– و8و.

وسانده في رأيه ورأى بمثل ما رأى الشيخ العبدوسي. لما سئل عن أهل الذمة إذا برزت من بعضهم إذاية للمسلمين مما يكون نقضاً لذمته، هل يكون ذلك نقضاً لذمة جميعهم أو لا.؟ فكان جوابه رحمه الله، بأنه نقض لذمة جميعهم.[1]

وأيد فقيه فجيج الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمان الفجيجي رأي المغيلي، وصب نقمته على سكان توات، الذين عارضوا المغيلي وخاصة القاضي الشرعي بها الشيخ عبد الله العصنوني. ورأى أن موضع تلك الكنائس إما أن يكون ببيع أو غيره وكلاهما ممنوع. وذكر بأن الغير يخالف فيما اختطه المسلمون وانشد الفجيجي من الطويل:

أيا قاطني توات أصغوا إلى قولي فقد آن أن أبوح بالبعض و الكـــل
أأنتم على ديـــن النبيء محمد أم القوم اليهود شكل على شكـــل
فما بالكم شرفتموهم عليكم والإسلام أولى أن يشرف في الأصل
فإن كان هذا الرأي فقيهكم فما الظن بالسفيه والناقص العقـــل.[2]

المنهج الثالث: معاداة ونفي صفة الإيمان على من يوالي اليهود ويتعامل معهم

وذلك بموادتهم وحبهم والتقرب منهم، بل أكثر من ذلك فهو يذهب إلى تكفيرهم لأنهم عادوا الله ورسوله بـــموالاتهم لليهود ويحكم عليهم بالقتل. وبالتالي نقول إن الإمام المغيلي حكم على اليهود الذين لا يحترمون أحكام أهل الذمة، ويتمردون على الأحكام الشرعية، وحكم على من والاهم، فمن أحب قوماً حشر معهم. والمرء مع من أحب. فلذلك حكم بكفرهم وقتلهم، ونفى عنهم الدين والعقل والمروءة، وشبههم بالبهائم والحمير بأنه لا عقل لهم، وبإخوان القردة والخنازير.

وركز الإمام المغيلي على هذا الأمر في بداية رسالته وأعطى له مساحة كبيرة من النص، ودلل عليه بالأيات القرءانية والأحاديث النبوية والأشعار. وحكم عليهم بحكم القرءان قال تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ المائدة51.

هذا الذل والهوان والموالاة التي كان يعيشها أهل توات، لا نعرف هل كانت مفروضة عليهم من طرف الأمراء، والعلماء الساكتين المتقبلين للوضع؟ أم أن عقلية التواتي البسيطة الساذجة، جعلا منه

1 - احمد الحمدي- المرجع السابق- ص109.
2 -المرجع نفسه- ص110.

أداة طيعة في يد اليهود؟ يدخلونهم على عيالهم ويتعاملون معهم وكأنهم مسلمين، وإخوان، وأصبحوا عبيداً وخداماً لليهود، ويرون أن ذلك أمر طبيعي وعادي.

وهذه دعوة مني لدراسة عقلية التواتين وإظهار مزاياها ومساوءها للتواتين حتى نتعاون في إصلاح الوضع السائد، ونتطلع إلى مستقبل زاهر مليئ بالإنجازات والمبادرات والمواقف التي تشرف المنطقة وعلماءها، فاعذروني إن كنت قد قسوت عليكم. فالواقع لا بد أن يقال وأن يكشف ولا نسكت عليه ونبقى في أخطاءنا وهفواتنا.

هذا الضعف في تلك الفترة يفسر كيف أن الحاجة إلى المغيلي وإلى فتواه كانت ماسة من أجل إضفاء الحملة الشرعية التي استهدفت أهل الذمة. ومن ثمة فلا غرابة أن يورد ناسخ النسخة الأولى والنسخة السادسة نصاً لأحد الفقهاء المعاصرين، ويتعلق الأمر هنا بالرسالة التي وجهها الورزازي إلى قضاة مراكش، بعد أن أنكر عليه الفتوى التي أفتى فيها بنقض عهد اليهود، وهي دعوة صريحة لقتل اليهود، والتي يقول فيها ما نصه: "الحمد لله الذي لم يجعل دوام المنكر واستمراره والسكوت عليه مغيراً لحكمه، ولا جعل النهي عنه متوقفاً عن إذن حاكم أو حكمه . قال الإمام الونشريسي في النازلة: لا حجة في وجود حالتهم الشنيعة كثيراً في البلاد الكثيرة واستمرارها، لأن دوام المنكر لا يغير حكمه. قال الإمام التادلي: لا يتوقف النهي عن المنكر على الإذن . وقال الإمام مالك رضيّ الله عنه: ينبغي للناس أن يأمروا بالمعروف، فإن عصوا كانوا شهداء على من عصى، وفقه نازلتنا، قال الإمام أبو القاسم العبدوسي مفتي تونس. فلا يجوز أن تمكن اليهود أن يجدوا في بلاد المسلمين متعبداً لهم، ولا أن يصلحوا ما تخرّب لهم منه، وإذا نهوا عنه فلم ينتهوا فإن ذلك نقضاً لذمتهم، فتحول أموالهم ونساءهم وذراريهم فيئاً للمسلمين على حكم الحربيين في بلاد الحرب. وقد أفتى شيوخ المغرب من قبل هذا بأن اليهود لا ذمة لهم فيما دون هذا فما ظنك بهذا. ومن أعانهم ونصرهم فهو كافر إن استحل ذلك، وإلا فهو فاسق تلحقه لعنة الله تعالى ولعنة رسوله صلى الله عليه وسلم".[1]

1 - عبد الرحيم بنحادة و....- المرجع السابق- ص39، 40.

والإمام المغيلي قبل أن يعادي ويكفر أهل توات الموالين لليهود، نجده كان ينصح ويجد في النصح لأهل توات باستعمال الألفاظ القاسية الشديدة التي توبخه وتسقط من قيمته حتى يستحي من نفسه وموقفه ورأيه ويعود إلى جادة الصواب.[1]

وصف المغيلي لسكان توات المعادين له: المغيلي في وصفه لسكان توات المخالفين له يبدو حاد اللسان، شديد التأثر بأوضاع البلاد الفاسدة، فهو ينصح لهم في الوقت الذي يصفهم بأوصاف قاسية، وعاطفته في ذلك تتميز بالصدق، لأنه من خلال كلامه يريد إيقاظ همم الناس لتغيير أوضاعهم المتردية، فهو يطالبهم باتباع الجماعة، ونبذ الفرقة، وتربية الأولاد تربية صالحة. قال المغيلي: "رعية سائبة في آخر القرن التاسع في أطراف الأرض، بلد لا يخرج نباته إلا نكداً، فعموا وصموا بالجهل والهوى وتقاطعوا وتدابروا كبراً وحسداً. وحتى لا يكاد أن تجد منهم والداً ينصح ولداً ولا أحداً يوافق في مصلحة أحد، وكيف لا ولا أمير لهم يردعهم، ولا شيخ يجمعهم، ولا حاكم يفصل بينهم، إلا محكماً عاجزاً وسيفاً عاجزاً".[2]

فهذه العبارة للمغيلي تدل على حالة توات قبل عهد الإمارة، فقد كانت البلاد تعاني من مشاكل اجتماعية كالجهل الذي تفشى في أوساط الناس، فلا تكاد تجد من يقبل على العلم، إلا من كان منسوباً للزوايا. ويجب أن أشير هنا أن المغيلي يصف أعداءه من سكان توات، ولذلك فهو يصفهم بأوصاف قد يكون مبالغ فيها، لأن غرضه جمع الناس حوله ضد عدوّ واحد، ولأجل بثّ فكرة جديدة وهي إقامة دين الله في أرضه.

والمغيلي عندما يبالغ في وصف أعدائه بصفات ذميمة يريد أن يشعرهم بدرجة أفعالهم، وبأن المخالف للجماعة معرض لكل المحن بالرغم أن توات في تلك الفترة انقسمت لجماعتين تدّعي كل واحدة منهما أن الحق معها، جماعة المغيلي ونفوذها في الجانب الشرقي من توات، وجماعة عبد الله العصنوني ونفوذها في الجهة المقابلة.[3]

---

[1] - ياسين شبايبي- المرجع السابق- ص116.

2 - المغيلي- مصباح الأرواح- و15.و.

3 - ياسين شبايبي- المرجع السابق- ص117.

المنهج الرابع: إتباع القول بالفعل وتغيير المنكر باليد

وعدم الخضوع والسكوت وعدم السقوط في فخ المساومة والإغراء. و من هذا المنطلق استطاع المغيلي أن يطرد يهود توات نهائياً من المنطقة وأن يتتبع أثرهم في البلدان المجاورة في السودان الغربي، وبفضله جعل أمراء السودان حصاراً على أي يهودي يدخل المنطقة فيطردونه منها.

وعندما أكمل رسالته وبعثها للأمصار وجاءت الردود المساندة والمعارضة لرأيه. ولّما وصله جواب السنوسي الذي ساند الإمام المغيلي في رأيه فقال مجيباً "فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشجاعة العلمية من تغيير أحداث اليهود-أذلهم الله- كنيسة في بلاد الإسلام وحرصكم على هدمها، وتوقف أهل تمنطيط فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء، فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه، فلم أر من وفق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة، و لم يلفت لقوة إيمانه ونصوع ايقانه لما يشير إليه الوهم الشيطاني، من مداهمة من يتقي شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ علم الأعلام أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي أمتع الله به".[1]

لما وصل المغيلي جواب السنوسي والتنسي أمر أنصاره بالاستعداد لهدم تلك الكنائس. فبدأ المغيلي ثورته الأولى على يهود توات، ببث الروح القتالية في أنصاره. قال التبكتي: "فنظم في تلك القضية قصائد في مدح النبيء صلى الله عليه وسلم. وذم اليهود ومن ينصر اليهود".[2] وتمكن المغيلي من جمع قوات كبيرة إلى جانبه، خاصة قبيلة أولاد يعقوب أكبر القبائل التواتية في الشطر الشرقي من الأقليم، وكذلك البرامكة وغيرهم من القبائل الأخرى المحاذية لقصر بوعلى.[3]

كانت أول الخطوات التي قام بها المغيلي في طرد اليهود هي هدم بيعهم التي أحدثوها في تمنطيط وغيرها من الواحات والقصور التواتية، حيث أمر المناصرين له من أهالي توات بالاستعداد والتجهز بالأت الحرب فقصدوا بيعهم، كما أمر بقتل من عارضهم دونها أو وقف في طريقهم سواء من اليهود أو من المدافعين عنهم.[4] حيث كان يقول:"ويل لأولياء اليهود، وهم الذين ينصرونهم في

1 - احمد بابا- المصدر السابق- ص576-577.

2 - المصدر نفسه- ص577.

3 - احمد الحمدي- المرجع السابق- ص113،114.

4 - احمد بابا- المصدر السابق- ص265.

تعدي الحدود. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الرعد 05 .[1]

وبعد هاته الأحداث والتطورات وجد يهود توات أنفسهم مضطرين إلى السرعة في اختيار مصيرهم المحتوم، والذي هو بين الموت أو الفرار، ويبدو أنهم كانوا أضعف وأجبن من أن يصدوا إصرار وحماسة المسلمين بقيادة المغيلي الذي كان "شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". حيث كان يخاطب أنصاره قائلاً: "يجب على كل مؤمن أن يستحضر بغض كل كافر لنبينا وسيدنا ومولانا وشفيعنا، ويستحضر عظيم عدواتهم لنا وطعنهم علينا في ديننا وإن كل كافر منهم ولي الشيطان اللعين العدو المبين... بل أن كل يهودي هو إبليس اللعين بعينه".[2]

فما كان من أغلبية اليهود إلا أن هلعوا وفزعوا لريح هذه الحملة المناوئة لتواجدهم بتوات، فجعلوا الليل ستاراً لهروبهم وراء ظلمته للإبتعاد عن المنطقة إلى حين والنجاة بأنفسهم[3].

1 -ياسين شبايبي- المرجع السابق- ص117.

2 - المغيلي- رسالة إلى كل مسلم ومسلمة- و4 ظ.

3 - ياسين شبايبي- المرجع السابق- ص118.

المتبادر إلى الذهن منذ اللحظة الأولى من قراءة العنوان. لماذا اخترنا الآراء المعارضة لرأي المغيلي؟ ولماذا لم نضع قراءة لكل الآراء المساندة والمعارضة؟ فنقول إن الآراء المساندة للمغيلي كانت في المجمل تمدح وتبجل وتكبر في المغيلي هاته الوقفة الشجاعة في رأيه ضد يهود توات. فجعلته عالماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، شجاعاً لا يسكت عن الظلم والظالمين. أما الآراء المعارضة التي سنقوم بقراءتها نجدها قد فصّلت الموضوع وجاءت بالأدلة والبراهين التي تعارض هذا الرأي، فكان لا بدّ من إعطاء فسحة لها حتى لا نلام بأننا أغفلناها. و لم نعطي للموضوع حقه، و لم نأتي بالأراء المعارضة.

أما صلب القضية التي نتحدث عنها في هذا الموضوع. هل يجوز هدم الكنائس والبيع التي أحدثها اليهود في توات؟ أم لا؟ وهل يجوز لأهل الذمة بناء كنائس يتعبدون فيها ويؤدون طقوسهم الخاصة بهم؟ أم لا؟.

مسألة بناء بيع اليهود: كان لبعض رؤساء القبائل في مدينة تمنطيط أثره في تشجيع يهودها على بناء بيعة كبيرة لهم تجاوزت في ضخامتها تلك الحدود التي قد يمكن للمسلمين أن يسمحوا لهم بها، كما بنوا بيعاً أخرى في غيرها من واحات توات التي يتواجدون بها، حتى بدا أقليم توات كأنه مملكة يهودية لهم، وليس أرضاً إسلامية.

وقد اعتبر المغيلي ذلك مساساً بالشعور الإسلامي، وتطاولاً على كرامة المسلمين الدينية، فما كان منه إلا أن حمل على عاتقه مسؤولية مقاومة ووضع حدّ لهذا التطاول والاستعلاء اليهودي. فيعيد اليهود إلى مكانهم الطبيعي كجالية يهودية في بلاد إسلامية.[1] حيث ظهرت عليه في ذلك حماسة وجرأة وإصرار إلى درجة الاعتقاد بأن حركته اتجاه اليهود نابعة ليس فقط من موقف ديني شرعي، بل أيضاً من كراهية شخصية وحقد ذاتي على اليهود.[2]

وهذا الكلام الأخير للكاتب فوزي سعد الله، الذي يصف فيه المغيلي بأن له كراهية شخصية متجذرة لليهود، ولذلك ثار عليهم. يعطي للموضوع نظرة ضيّقة ومحدودة- في أن الإمام المغيلي قام بكل هاته الحملة لإرضاء نفسه ورغباته الشخصية- وحاشا المغيلي أن تكون له نفس انتقامية تنـــزع إلى الطين، وتفكر في سفاسف الأمور، ولا نستطيع القول بأن حربه الأولى والثانية ضدّ

1 - يحي بوعزيز- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة- ج2- ص147.

2 - فوزي سعد الله- يهود الجزائر هؤلاء المجهولون- الجزائر- شركة دار الأمة- د.ع- سنة1996م- ص61.

يهود توات إرضاء لرغباته وشهواته، وإلا لما نجح في طرد اليهود من المنطقة، ولما درست سيرته وأفكاره في طرد اليهود، إذا لم يكن مخلصاً في موقفه. إذ لم ير فيهم أنهم تعدّوا وتمردوا على الحدود والأحكام الشرعية وتسلطوا على رقاب المسلمين- وكما ذكرنا سابقاً- إن المغيلي دفع لحرب اليهود دفعاً، وإنه لم يكن لديه كره لنفس اليهود وإنما كان لا يرضى بالأفعال التي يقومون بها- فالمغيلي ثار من أجل إحقاق الحق، والشريعة الإسلامية. و لم يثر إرضاء لرغباته وتطلعاته النفسية.

وخلاصة رأي المغيلي في يهود توات وسائر الأوطان في الشمال والصحراء والجنوب أن هؤلاء اليهود ليسوا بأهل الذمة ولا تنطبق عليهم أحكام أهل الذمة. لأن الذمة الشرعية إنما تكون بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون. بل هم قد نقضوا عهد الذمة بأعمالهم وتصرفاتهم الفعلية والقولية في ديار الإسلام المنافية لأحكام الشريعة الإسلامية التي تلزم المسلمين بالوفاء لهم بعقد الذمة، فلذلك وجب جهادهم وقتلهم وهدم كنائسهم وبيعهم التي أحدثوها في بلاد المسلمين وإلزامهم الذل والصغار.[1]

1) رأي عبد الله بن أبي بكر العصنوني: يتزعم الآراء التي أقرت بيع اليهود بتوات. وهو الذي وقع الخلاف بينه وبين الإمام المغيلي في نازلة يهود توات. وكتب العصنوني رسالة في هاته النازلة مثل التي كتبها المغيلي، وبعثها للأمصار والعلماء طالباً المساندة والتأييد، وحتى يتقوى بهم على المغيلي ومساندیه، وخلاصة هاته الرسالة:

أنه ساند بيع اليهود في المنطقة وهو لا يرى حاجة في هدمها، وإن القول بهدمها يعد تشغيباً من طرف المغيلي وابنه عبد الجبار. فقال:"فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيباً كاد أن يوقع في فتنة، وذلك أني أفتيت بتقريرها".[2]

ويشير أنه طالع كل من رأي ابن عرفة وابن يونس وأقر أن المسألة مندرجة في البلد الذي اختطه المسلمون. والإختطاط عنده هو البناء والتأسيس.

ثم يفصح عن رأيه في قضية الكنائس ويقول: "والصواب عندي تقريرها إتباعاً لقول الغير لجرى العمل به في كثير من مدن المغرب، وهي مما اختطه المسلمون في صدر الإسلام وبعده، وفيها العلماء متوافرون في كل وقت، وفيهم من لا يسكت على باطل، وكذلك قواعد هذه الصحراء قد

1 - أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص110.

2 - الونشريسي- المصدر السابق- ص214.

حلّ بها علماء فضلاء وقد شاهدوا الكنائس فيها، وهم ممن يمتثل قولهم في الأحيان، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة وعلى غلائفهم، و لم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروا".[1]

ثم يأتي بالأحداث التي تسانده بآراء الفقهاء والوقائع التي وقعت.

ثم يرجع إلى الخلاف الذي وقع بينه وبين المغيلي حيث يقول: "وخالفني المغيلي وقال إن هدمها واجب، وقال: لا يعلم فيها خلافا، وقال: لايفتي بتقريرها إلا دجال. ويقول: إن المغيلي في بعض الأوقات على رؤوس الأشهاد يدّعي الإجماع ويقول لمن يدعوه إلى هدمها، تهدم وإن أدى إلى قطع الرؤوس".[2] ويأتي بكلام المغيلي الذي كان يقوله عند تحميس أهل توات في هدم كنائس اليهود.

ثم بدأ العصنوني يحامي ويصف يهود توات بأنهم أهل الذمة وغير ناقضين للعهد وإنه لا خوف منهم، وكان يرى بأنهم مظلومون. حيث يقول:"واعلم سيدي أن الفجيجي وصف في سؤاله أهل الذمة بأوصاف توجب أن يكونوا ناقضين للعهد، ونحن يا سيدي لا نعرفها، لا سيما يهود توات. وغاية ما وقع منهم عند إهمال الغلائف لهم ما يوجب الزجر أو الأدب. بل هم عند تفطنهم وزجرهم في غاية الذل والصغار. وأما الجزية فلهم عوائد من قديم الزمان مع الأشياخ والأعياد وسائر النوائب من الفتن وغيرها من ضيافات العرب وغيرهم. ومرة لو فض ذلك زاد على القدر الواجب ومرة ينقص ومرة يساوي. ويظلمون كثيرا، ولو وجدوا العدل لهان عليهم القدر الواجب وأكثر منه،... بل ضعفوا في هذا الزمان، وأضر بهم العدم، واعلم يا سيدي أن يهود توات لهم درب اختصوا به، وليس في خارجه إلا قليل منهم، وكنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم"[3].

ونطلب من الباحثين في هذا المجال، أن يعطونا قراءة في رأي الشيخ عبد الله العصنوني. وما هي الدوافع التي جعلته يقف ضد المغيلي ولا يقف معه؟ بل ما هي الظروف والأسباب والدوافع التي جعلت العصنوني يقف هاته الوقفة إلى جانب اليهود؟ واعتبر نفسه محامياً على مصالح اليهود في المنطقة؟ وهل هناك تأثيرات سياسية أو اقتصادية تحكم في هذا الرأي والموقف؟ لنترك الإجابة عن هاته الأسئلة للباحثين في هاته القضية؟.

1 - الونشريسي- المصدر السابق -ص215.

2 - المصدر نفسه- ص216.

3 - المصدر نفسه- ص217.

2) رأي فقيه تلمسان ومفتيها أبو العباس احمد بن محمد بن زكري:

يقول: "إن هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية على رأي المحققين في الفقه المالكي، والتشغيب فيها من عدم التحقيق في أصول المسائل العلمية، وأن المغيلي أخذ بظواهر عموميات هي مخصوصة، وكذلك المطلقات من النصوص وهي مقيدات....وأن منع إحداث أهل الذمة لمعابدهم لا يدل على وجوب هدم المباني المستحدثة".[1]

ويرى أن أهل الذمة لهم الحق في إحداث كنيسة في أراضي المسلمين التي يسكنونها فيقول: "أما أوّلاً. فلأن الذميين المذكورين لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا لساغ لهم ذلك، ولا يسوغ منعهم على أي وجه فرضت من اختطاط أو أحياء".[2] وهو يرى أن هاته الكنائس هي ملك لهم ولا يجوز نزعها منهم، بل يجوز لهم التصرف فيها كيف شاءوا فيقول:"فكيف يستقيم هدم ما وجد مبنياً محوزاً بيد الذميين المذكورين من الكنائس، لها بأيديهم أمد طويل لا يعلم تاريخه، ولا مانع من الإنكار عليهم عادة في تلك المواضع، ولا في غيرها لما قد علم من حال اليهود في غالب أحوالهم، فيجب القضاء بالملك لهم".[3] ويعتبر هدم هاته الكنائس ظلم لأهل الذمة وظلمهم لا يجوز شرعاً فيقول:"هدم الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذمة، وظلم أهل الذمة لا يجوز شرعاً، فمن أول الأول هدم الكنائس الموصوفة لا يجوز شرعاً....واحتمال التعدي فيها مرجوح".[4]

ثم فصّل في القضية وتكلم عليها من الناحية الفقهية وجاء بآراء العلماء في المذهب المالكي، واستنتج رأيه ووصل إليه بأنه لا يجوز هدم الكنائس والبيع التي أحدثها اليهود في أراضي المسلمين. حيث يقول: "هدم الكنائس الموصوفة لا يجوز شرعاً، ثم خروج إن خرجوا عن الحد الواجب عليهم لا يستلزم استباحة أموالهم إلا أن يكون ذلك مما نصّ أيـــمتنا أنه نقض للعهد، كما إذا تمردوا على الأحكام ومنعوا الجزية أو برزوا لقتال المسلمين لا بالحرابة على المشهور، وعليه فحكم المحارب منهم حكم المحارب من المسلمين".[5]

---

1 -- الونشريسي- المصدر السابق - ص218.

2 - المصدر نفسه- ص219.

3 - المصدر نفسه- ص219.

4 - المصدر نفسه- ص219.

5 - المصدر نفسه- ص223.

3) رأي القاضي أبو زكريا أبي البركات: يتصف رأيه بالقوة والشدة عن من يقول بهدم كنائس أهل الذمة حيث يصفه بأنه لا يملك العقل ولا العلم. حيث يقول: "الحمد لله. لا خفاء أن من معه أدنى مسكة من العقل، فضلاً عمن اتصف بالعلم، لا يقول بهدم الكنائس المذكورة ولا يفوه به."[1] ويعتبر هذا العمل من درء المفاسد "لأن عنده: درء المفاسد أولى من جلب المصالح، ولا سيما إذا بدت لذلك أمارات وقامت عليه دلالات تقتضي تحريم الخوض في ذلك. واعتبر هذا العمل مما يثير الهرج ويحدث الفتن المؤدية لقتل النفوس وسلب الأموال وإشعال نار الحرب بين الخلق في سائر الأفاق."[2]

ويطنب في الحديث عن الإفساد والمفسدين والخلاف وينصح بترك الخوض في هاته الأمور لأنها ليست ظاهرة ومصلحتها كذلك. ويعتمد على قاعدة النظر إلى المآل والعاقبة، فربما يكون أمرها في الحال يسيراً وفي المآل خطيراً. ويقول بأن أكبر حجة لعدم هدم الكنائس سكوت العلماء والصالحين عليها. فيقول: "ومن أكبر حجة في ذلك سكوت العلماء والصالحين عليها في سائر أقطار الأرض وتغافلهم وتركهم لها على ما وجدوها عليه، إذ مخالفتهم عين المنكر من حيث نسبهم به إما للقصور والتقصير، أو رميهم بالجهالة والبدعة والموافقة على المنكر أو المداهنة."[3]

وفي الأخير يأتي بالقول الفصل الذي عليه الاعتماد والذي لا محيد عنه فيقول:"والحاصل الذي عليه الاعتماد واليه الاستناد في هذه القضية. أن لا سبيل إلى هدم الكنائس بحال حيث كانت، لأن ذلك على ما في السؤال حرام لا يسوغ شرعاً، ولا يخالف في هذا أحد من المسلمين. والمعترض كذلك عاص وإن كانت المفسدة مأمونة في الموضع الذي منه السؤال، إذ لا يؤمن وقوع الفساد في غيره، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فيجب لأجل ذلك على من قلده الله حكماً من الأحكام الشرعية، وجعل له نظراً على عباده، أن يضرب على يد القائم ولا يمكنه من هذا الغرض، فإن مفسدته أعظم من مصلحته فيما ظهر."[4] انتهى.

---

1 - الونشريسي-المصدر السابق- ص229.

2 - المصدر نفسه- ص230.

3 - المصدر نفسه- ص230.

4 - المصدر نفسه- ص231.

4) رأي فقيه تونس ومفتيها الرصاع:

كان جوابه مختصراً وفي قضية واحدة، وهي أنه يصح للذميين أن يشترطوا بناء الكنائس فيما يشترونه من أرض. ولهذا نأتي بجوابه كاملاً.

قال الرصاع: "الحمد لله وحده. سلام الله الأتم، ورضوانه المبارك الأعم، يخص سادتنا ومواليا الفقهاء والعلماء، ومن يقف عليه من الأجواد حفظهم الله. سألني بعض الفضلاء من الأخوان عما يشتريه أهل الذمة من أراضي المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعانهم الله ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة، وليس للمسلمين أن يبيعوا الأرض المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه، ولا مانع لهم من شراء ما يبنونه لسكناهم إذ هم يؤدون الجزية وهم تحت ذمة المسلمين. وإذايتهم ومناقصة أموالهم وحيوانهم وبهائمهم لا يحل ذلك فإنهم تحت ذمة المسلمين. وجزيتهم بسنة المسلمين، تؤخذ منهم طوعاً وكرهاً، ولا يقصدون بأذية، وإذا صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد فيها غير الله تعالى فلهم أن يتصرّفوا فيها ببناء ما يحبون والسلام."[1]

وهذه هي أغلب ردود العلماء الرافضة لرأي المغيلي، والملاحظة الأعم التي نلاحظها عليهم وهي: أنهم لا يريدون التغيير وإنكار المنكر، فهم يعترفون ضمنياً بأن هؤلاء اليهود تمردوا وخالفوا الأحكام الشرعية وبأنهم لا تنطبق عليهم أحكام أهل الذمة. ولكن التحجر والسكون وعدم التغيير هو طبيعتهم وفكرتهم، ويتخذون من السابقين لهم من العلماء والأمراء أدلة على ذلك، فلو كان هذا المنكر منكراً يجب تغيره لغيره من سبقونا وهم أهل لذلك. مثل ما يشاع اليوم بغلق باب الاجتهاد، وأنه لا يوجد كفء يصلح للإجتهاد، فعلينا بضم اليد، وغلق المخ والرأس، والإتكال على ما تركه السابقون لنا من قضايا وأحكام. ويرسخون فكرة التحجر وهي ما أبقى السابقون للاحقون شيئاً، فهم قد فصّلوا في الأحكام تفصيلاً مملاً، وحتى الأقضية التي لم تحدث قد أفتوا فيها- أي ما يعرف بفقه الافتراضي- فبهذا لم يستطيعوا أن يفتوا في هاته القضية اعتماداً على الأصل والرجوع إلى الكتاب والسنة. وإنما رجعوا إلى التاريخ ومن سبقهم في سكوتهم على تغيير المنكر.

---

1 -- الونشريسي-المصدر السابق - ص229.

دوام المنكر أو كثرته لا يغير حكمه: إن دوام المنكر أو كثرته لا يغير حكمه، إذ لا منكر أعظم من ترك الصلاة الموجب للقتل كفراً أو حداً، وقد استمر كثير من الناس عليه غرباء وشرفاء، ولم يغير ذلك حكمه، إذ لم يزل العلماء قديماً وحديثاً ينصّون على وجوب قتله إما كفراً وإما حداً، ولا عبرة عندهم بكثرة وجوده كما لم يزالوا على المنع في مسألة السؤال وعلى الهدم بعد البناء، ولا عبرة عندهم بكثرة وجود ذلك ولا استمراره، ولا ينكر النصوص المقتضية لذلك ويدفع في نحرها إلا من هو مكذب للشريعة ساع في هدمها. أعاذنا الله من الخذلان، والمروق على دين المبعوث من خير بيت في معد بن عدنان، سيد الأنبياء والرسل، وموضح المناهج والسبل، الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأمر بقتال الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.[1]

1 - الونشريسي- المصدر السابق- ص252.

قبل أن ندخل في صلب الموضوع ونتعرف على منهج الإمام المغيلي في هاته الرسالة. نحاول أن نعطي لمحة عن صاحب الأسئلة وهو الأسقيا الحاج محمد أمير مملكة سنغاي.

الأسقيا محمد صاحب الأسئلة:

الأسقيا محمد الأول سراكولي الأصل، وكان أجداده قد هجروا من الجنوب الموريطاني الحالي، حينما اضطربت الأمور في مملكة غانا عند نهاية القرن الحادي عشر، وقد سكنت عائلته حول النيجر الأوسط وامتزجت في قبيلة سنغاي، وقد بدأ عهد التوسع لتلك الإمارة منذ حوالي سنة 1336م. وأصبح الأسقيا محمد أحد الضباط البارزين في جيش الأمير سني علي، الذي إنما بدأ عهد التوسع الكبير تحت قيادته منذ سنة 1465م. وفي سنة 1493م قام الأسقيا محمد بثورة ضد سني علي واستولى على عرش سنغاي، فبدأ منذ ذلك الوقت عهد الأسقين في سنغاي الذي استمر حتى سنة 1591م.

وجاء الأسقيا محمد الأول إلى الحكم بثورة، فكان عليه أن يقوم بأعمال هامة في جميع الميادين، لكي يوطد وجوده على عرش المملكة، ولذا نراه يسلك سياسة المحاباة تجاه الفقهاء ورجال الدين في البلاد، أما أصله السوداني، فقد كان من العوامل التي ساعدته في قبول الناس لحكمه، ذلك أن عائلة (ضياء) التي أنهى الأسقيا حكمها لتلك البلاد بثورته، كانت أمازيغية تعود في أصولها إلى منطقة طرابلس الغرب، ومنها انتقلت إلى فزان، قبل رحيلها إلى السودان. وقد قام محمد الأول بإصلاحات إدارية واسعة قبل ذهابه إلى الحج سنة 1496م. وكان هدفه من تلك الإصلاحات هو الخروج بالمملكة من الشكل القبلي إلى المرحلة الوطنية التي تتيح لجميع القبائل المنضوية تحت لوائها المشاركة في الشؤون العامة بالبلاد.

ثم أدخل محمد الأول عدة إصلاحات، فجعل الخدمة العسكرية تنفصل على العمل المدني، وأصبح الجيش يتوفر على نظام مستقر وبذلك لم تعد طريقة الاستنفار سارية المفعول، كما كان الشأن في العهد القبلي السابق.

وبعد هذا رحل إلى الحج في موكب حافل، وفي مكة قلّده شريفها في حفل كبير إشارات السلطنة على السودان كله، وكان الهدف الذي يسعى إليه محمد الأول من ذلك، هو اكتساب المكانة السياسية على أساس شرعي في أعين رعاياه، وقد انفق في تلك الرحلة ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية. أما بعد رجوعه من الحج فإنه انهمك في الفتوحات، فوسع نفوذ مملكته على معظم أقاليم السودان

الغربي، وبذلك بلغت سنغاي من التوسع في عهده، ما لم تبلغه مملكة قبلها في تاريخ السودان على الإطلاق. وفي آخر أيامه نزع عن العرش بتأمر شارك فيه بعض ضباط الجيش من أصدقاء أكبر أبنائه المدعو(موسى)، واجلسوا هذا الأخير على كرسي السلطنة سنة 1428م.[1]

ولقد خلد التاريخ للإمام المغيلي أثاراً عظيمة في السودان الغربي اعترف له بذلك أصحاب الدار وجعلوه علماً من الأعلام لم يسبق التاريخ أن دوّن اسمه مثل ما دوّن اسم المغيلي. ولا زالت أثاره ومؤلفاته وحياته ساطعة للعيان في السودان الغربي.

أثار المغيلي في السودان الغربي:

لقد دخل عدد من أعلام الإسلام المغاربة إلى بلاد السودان منذ فجر الإسلام وعملوا على نشر العلم والأدب والثقافة، حتى كثر فيها العلماء وبلغوا الرقم الخيالي الذي ذكره السعدي حيث قال: إن ملك مدينة (جني) قد جمع يوم إسلامه أربعة الآف ومائتين من العلماء والفقهاء ليعلن إسلامه أماهم سنة400ه.

و لم يخلد التاريخ أثراً لعالم عربي، غربي أو شرقي، مثل ما خلده للمغيلي في غرب إفريقيا عموماً، وفي نيجريا خصوصاً.

وحاصله أن الإمام سمع بقوة الإسلام في السودان، وشدة تمسك أهلها بالقرءان، ومحبة سلاطينها للعلم والعلماء، اتجه اليها بعد حادثة ليتمكن من التأثير على تلك الناحية لينشر فيها الدين والعلم (بمطيطة) والثقافة والأدب. فلما وصل إليها استقبله الملوك والعلماء استقبالاً باهراً، ويقول مؤرخو الأفرنج: أن أسكيا محمد "سلطان سنغاي" هو الذي استقدمه إلى بلاده، والصحيح أن المغيلي نفسه هو الذي اتجه إلى السودان باختياره، وإلا لما تيسر له أن ينتقل من بلاده إلى بلاد مثل: "كانو" و"كاشنة" و"أقدس" و"تكدة" لينشر بها أفكاره وعلومه وأثاره، ولما تسنى له أن يمكث في مدينة "كانو" و"كاشنة" أكثر من مكوثه في مدينة "غاو" عاصمة سنغاي.[2]

1 – عبد القادر زبايدية– الحضارة الغربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية– ص156.

2 – أدم عبد الله الألوري– المرجع السابق– ص32.

كان الأمير محمد أسكيا سني المذهب سلفي العقيدة يهتم كل الاهتمام بإصلاح حال رعيته وتقويم السلوك فيها. بما يتلاءم والعقيدة السلفية وسنة النبيء صلى الله عليه وسلم التي اختارتها البلاد ويؤمن هو شخصياً بها. وكان أسكيا فاهماً حقيقة الإسلام ومنهجه السليم في نظام الحكم، وكان قد حج في موكب عظيم واتصل بالعلماء في مصر وفلسطين ومكة والمدينة وسألهم واستفاد منهم وقدموا له نصائح. وقد وصفه القاضي محمود كعت الذي كان من مرافقيه في حجه بقوله: "ومنّ الله علينا بأن أظهر لنا في زماننا هذا الإمام الصالح الخليفة العادل والسلطان الغالب المنصور...."[1].

ثم قال: "فلما ثبتت له السلطنة واستقامت المملكة خرج من ذلك كله وجعل يسأل العلماء العالمين عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمشي على أقوالهم رحمه الله. حتى اتفق جميع علماء عصره على أنه خليفة. وممن صرّح له بذلك الشيخ عبد الرحمان السيوطي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي والشريف العباس أمير مكة رحم الله الجميع."

وكان الأسكيا محمد يدرك الأوضاع الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سيطرت على المجتمع منذ سني علي، الذي كان قبله من مفاهيم دينية مضطربة وخاطئة في أكثرها، وتقاليد تعمقت جذورها في النفوس، لا تمت إلى الإسلام بصلة، لذلك كان يرى أنه لا بدّ من تغيير ذلك كله، ولا بد لهذا التغيير من التصدي لجميع جوانبه بمنهج إسلامي سليم واضح، لهذا كانت اسئلته الموجهة للمغيلي تدور حول دور العلماء في نصح الحكام، وانحراف المجتمع وحكامه، وحكم إسلام الحاكم الذي كان قبله- سني علي- وغير ذلك من الأسئلة السياسية والاجتماعية.[2]

الأهمية التاريخية لمحتوى المخطوط:

تعتبر أسئلة الأسقيا محمد التي كان قد وجهها للمغيلي الوثيقة المباشرة الوحيدة التي انحدرت إلينا من سلاطين سنغاي حتى الآن.

وتتمثل أهميتها في أنها تلقي بعض الأضواء على الوضع الاجتماعي والسياسي بدولة سنغاي أثناء عهد الأسقين، وتكمن تلك الأهمية خاصة في أن الأسقيا محمد الكبير تبدو عليه الصراحة في بسط عدد من المواضيع الاجتماعية، والسياسية، التي كانت تشغل باله، ليعرفها المغيلي ويحاول الإجابة

1 - احمد السعدي- تاريخ السودان- ص72.

2 - أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص

عنها حسب مفاهيم الإسلام. أما المغيلي فقد بدا عليه في الأجوبة أنه كان على إطلاع بأوضاع السودانيين كما هي، ولذا فقد تضمنت إجاباته أشياء جديدة أحياناً لم يتطرق إليها السلطان في أسئلته. ومن هنا فإن كلا الأسئلة وأجوبتها هام، ولكن الأسئلة أكثر أهمية بالنسبة للمؤرخ لأنها انصبت على تبيان الأحوال الاجتماعية والسياسية التي تشغل بال السلطان في تلك البلاد، في حين أن الأجوبة كان قسم كبير منها ينصرف إلى شرح المعاني الدينية أكثر من الأوضاع الاجتماعية. ولا تقتصر المواضيع التي احتوتها الأسئلة على أحوال البلاد الداخلية فقط، وإنما يتعلق قسم منها بعلاقات سنغاي بالإمارات والقبائل المجاورة لها، ونظرة تلك القبائل والإمارات لسنغاي في ذلك الوقت. ثم أن طرح الأسئلة من طرف السلطان على عالم مثل المغيلي بهذا الشكل يعطينا أيضاً صورة عن نظرة الأسقيا الكبير للعلماء في وقته، ومنحاه السياسي بشكل عام، كما يبين لنا وجهاً لجانب من تقاليد البلاد أثناء عهد الأسقين بسنغاي. وغني عن الذكر أن هذا المخطوط ينشر لأول مرة، وهو يجسم صورة لجانب التبادل الفكري والثقافي الوسيعين بين المغاربة وجيرانهم السودانيين، وقد بدأ ذلك مع وصول الإسلام إلى غرب إفريقيا. وظلّ يزداد اتساعاً وتعمقاً بتلك المنطقة، حتى أصبح السودان الغربي جزءاً هاماً من البلاد الإسلامية الفسيحة، ولا شك أنه في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، بلغ ازدهار الثقافة الإسلامية بالسودان الغربي مرحلة الأوج، وفي هذه الفترة نفسها نجد محتوى هذا المخطوط الذي يبدو فيه المغيلي كعالم وفقيه، ذائع الصيت ومطلع على أحوال السودان الغربي في ذلك الوقت، وبين الأسقيا محمد كرئيس لدولة إسلامية كبيرة، يهتم كل الاهتمام بإصلاح رعيته، وتقويم السلوك فيها لما يتلاءم والعقيدة التي اختارتها تلك البلاد ويؤمن هو شخصياً بفائدتها وجدواها، لما يلقي الأضواء أمام الباحثين على الأوضاع الاجتماعية التي لا تكاد تتطرق مصادر تلك الفترة إليها إلا اقتضاباً وصدفةً.[1]

إن الأسلوب الإنشائي الذي كتبت به الأسئلة يدل على قوّة الثقافة الإسلامية في مملكة سنغاي، وكذا الموضوعات التي تناولتها الأسئلة مما يكشف لنا ما وصلت إليه الثقافة الإسلامية في مملكة سنغاي أيام محمد أسكيا.

لقد كان عهد الأسقين عصر انتشار الإسلام واستقراره في السودان الغربي. كما أننا نلمس دور علماء شمال إفريقيا والمغرب الأوسط خاصة في عملية الإصلاح وخدمة الدين في السودان الغربي،

1 - عبد القادر زبايدية- المرجع السابق-ص150. 160.

وما قدّمه العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي صاحب الأجوبة، ومجهوداته الجبارة فبتوجيه الحكام في السودان الغربي على انتهاج وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية. وقد أدى ذلك إلى نهج المجتمع بطابع إسلامي الصحيح.[1]

إن جهود العلماء المغاربة في إقامة قواعد سليمة للتبادل التجاري والإقتصادي والفكري، والثقافي، فيما بينهم وبين جيرانهم السودانيين، بدأ منذ وصول الإسلام إلى إفريقيا الغربية في القرن الأول الهجري. عندما قام التابعي عقبة بن نافع دفين سيدي عقبة بسكرة بإرسال فرقة من جيشه إلى مشارف فزان، وقد وصلت إلى حدود تشاد وأشار إلى ذلك (ابن عبد الحكم). ومنذ ذلك الحين بدأ الإسلام ينتشر بالتدريج بواسطة القوافل التجارية. وبدأ يستقر في تلك المنطقة منذ نهاية القرن التاسع الميلادي.[2]

كما أن للمرابطين دوراً هاماً في إيصال الإسلام لهذه المنطقة خاصةً عند توغل المرابط أبي بكر في النيجر سنة 471ه-475ه. وقد دلت النقوش المكتشفة بمنطقة كانو بالنيجر الفرنسية على الصلات بالأندلس والنيجر عام1061م [3].

ونلمس أهمية الأجوبة في أنها تكشف لنا عما كان عليه المغيلي في دعوته الإصلاحية واهتمامه الشديد بإصلاح أوضاع المسلمين الدينية والسياسية والاجتماعية، ومن العلماء القليلين الذين حاولوا إصلاح أوضاع المسلمين بما أمكنهم، وقاموا بثورة على الفساد شملت جميع جوانب الحياة. وتدل على إطلاعه العميق بأوضاع السكان في ممالك وإمارات إفريقيا الغربية لذلك نجد الأجوبة لا تقتصر على المواضيع التي حوتها الأسئلة من أحوال البلاد فقط. بل تعلق قسم منها بعلاقة سنغاي بالإمارات والقبائل المجاورة لها.[4]

1 - مبروك مقدم - أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر الأسقيا الكبير- دار الغرب-ص73.

2- عبد القادر زبايدية- المرجع السابق- ص18.

3 - أبو بكر إسماعيل ميقا- من أعلام الإسلام في نيجيريا- مجلة الفيصل-ع280-سنة 2000- ص73.

4 - مبروك مقدم - أجوبة الشيخ المغيلي للأمير الحاج محمد- المرجع السابق- ص71.

تدور أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي في مجملها حول سبعة مسائل مطولة تضمنت أحوال البلاد من الداخل وعلاقتها مع بقية الإمارات والقبائل المجاورة، حيث انطلق فيها السائل من وضع سنغاي أنذاك وحال علماء الدين بها من العجم المنتسبين إلى كوكبة العلماء الذين لا يعرفون مقاصد العلماء ولا موضع التصحيف والتحريف كما قال الأمير، ومع ذلك فإن لهؤلاء كتباً وحكايات وأخباراً ومنهم قضاة، ومفكرون، ويزعمون أنهم من علماء الأمة وأنهم ورثة الأنبياء، وأنه وجب على الأمير وغيره الاقتداء بهم وهي مصيبة ومعضلة التي حيرت الأمير-كما قال- وجعلته يطلب من الإمام توضيح وفتوى واضحة في الأمر حيث خاطبه قائلاً:"وأنا أطلب من الله ثم منك أن تفتي لي بما علّمك الله في هؤلاء القراء هل يجوز لي أن أعمل على قولهم في دين الله يخلصني تقليدهم عند الله، أو لا يحل لي ذلك ويجب علي البحث عمن نوليه الحكم ونقلده في أمور الدين، وبيّن لنا صفة من يصلح لذلك شرعاً، ثم أطلب منك إيضاً أن تشفي غليلي بترتيب الأجوبة على هذه الأسئلة بزيادة ما تيسر لكم من النصيحة أيضاً"[1].

ويجيب الإمام المغيلي بكل وعي وروية منبها الأمير إلى أهمية البطانة من حوله أولا والتي لا تخرج في كل الأحوال عن صنفين من الناس، بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر. وبطانة لا تألوه إلا خبالاً-كما قال- فمن وقي شرها فقد وقى. وهو على كل حال من التي تغلب عليه. وقد فتحت هذه الأجوبة الأولى شهية الأمير المعرفية على ما يبدو، حيث نجده في المرة الثانية يسأل ويتحدث عن قضية مفصلية في واقع الإسلام والمسلمين على عهد السلطان سني علي الذي كان قبله،وكيف أنهم كانوا مسلمين في الظاهر فقط، أما في واقع حالهم فإنهم يعبدون الأصنام، ويصدقون الكهان، ويستعينون بالسحرة ونحوهم، وقد بلغ بهم الأمر إلى حد تعظيمهم لبعض أنواع الأشجار والأحجار فلا يذبحون إلا عندها، كما ينذرون ويتصدقون لها ويطلبون قضاء حوائجهم منها. والأكثر من هذا أن الأمير علي ما رؤيا في جامع ولا في مسجد هو ولا أحد من دائرته بل أن ألوفا من حاشيته لا يستطيع ولا أن يصلي خوفا من بطشه. أما هو إضافة إلى كل ما سبق فإنه كان يعاشر النساء دون التقيد بأحكام الشرع، بل كلما أعجبتة امرأة في جميع مملكته أخذها وأدخلها إلى بيته وفراشه غير مبال بأحد ليجامعها ويتلذذ بها في حضرة أمها. بالإضافة إلى هذا فإنه أحل

1 - المغيلي- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي- مخطوط- ص21.

دماء المسلمين فقتل من شاء وأبقى على من شاء. وبعد هذا الوصف خلص الأمير إلى تحديد سؤاله والمتمثل أساساً في حكم الشرع في هذا الأمير وأعوانه الظلمة، واتباعه من العامة.[1]

1) المسألة الأولى: تدور حول القراء الذين كانوا في مملكة سنغاي وكانوا من العجم لا يفقهون من العربية إلا القليل، ومع ذلك فإن منهم المدرّس والقاضي والمفسر، ويزعمون أنهم من العلماء وأنه يجب الاقتداء بهم. فأنا حائر في أمرهم فأرجوا منك أن تعطيني فتوى فيهم؟ هل يجوز الاقتداء بهم والعمل بما يؤمرون- أو البحث عن ثقاة أوليهم الحكم في أمور الدين، وصف لي من يصلح لهذا الأمر شرعاً.

جواب المغيلي: أوصى المغيلي الأمير الأسكيا الحاج محمد بأمرين أولاً: "أن تبعد عنك أهل الشر، وأن تقرب منك أهل الخير، لأن من الغالب على الإنسان التأنس بقرينه والميل إلى طبعه وتزيينه، فمن قربته من نفسك فقد مكنته من أذنك، ومن مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك، لأن الأذن ذمام القلب، ولذلك قال مالك بن أنس: لا تمكن زائغ القلب من أذنك."[2]

الثاني: سؤال أهل الذكر عن كل ما لا تعلم حكمه لتحكم بما أنزل الله لقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.النحل43. ثم حذر الأمير من علماء السوء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، وينشرون الفساد في البلاد. فالواجب على الأمير أن يجادلهم وأن يطردهم. وأن لا يترك أحد يتكلم في دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى، حتى يكون من أهل العلم والفتوى. ثم قرر قاعدة بقوله: "أليس من أعظم الواجبات على كل أمير أن يطرد عن طرق الدنيا جميع المفسدين؟ فكيف لا يجب عليه أن يطردهم عن طرق الدين؟".

ثم يعطي للأمير علامات وعلامات وأمارات يعرف بها العالم الصالح من الطالح.

1) أن ينفرد عالم مجدد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح أمور الناس بالعدل ونصر الحق على الباطل، فيكون غريباً عند علماء عصره لانفراده بالصفاء فيكون من الغرباء الذين قال الرسول فيهم "بدئ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يارسول الله؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الزمان".

---

1 - احمد جعفري- المقال السابق- ص09.

2 - عبد القادر زبايدية- المرجع السابق- ص163.

2) التأكيد من صدق العالم التقي الذي ينتمي إلى أهل الذكر فهو الذي تثق فيه وتسأله عن أمور دينك ودنياك.

وأعطاه قواعد ظاهرة ليميز بها بين العلماء حتى يعرف العالم الذي يعتمد عليه لأن العلماء في هذه الأمة ورثة الأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم.

وحكم على القراء في هاته الفترة في مملكة سنغاي بأنهم علماء سوء وأنهم لصوص يأكلون أموال الناس بالباطل وأنهم أضر على المسلمين من جميع المفسدين.

المسألة الثانية: يتعلق بسؤال الأمير عن حال هاته البلاد وأهلها الذين يدّعون الإسلام ويقولون بأنهم مسلمون، ولكن أفعالهم لا تمت بصلة إلى الإسلام فهو كافر بالمعنى الحقيقي يعبدون الأصنام ويعظمونها ويقدّمونها في جميع أفعالهم. وشرح الأمير ما كان يقوم به سني علي في مملكته من الأعمال التي تعاكس الإسلام. وكان يتعمدها ويصر عليها. فما حكم هؤلاء؟ وما حكم هذا؟ ووضع أسئلة تفصيلية توضح الأمر.

جواب المغيلي: حكم على سني علي وأعوانه بالظلم والفسق وجهادهم واجب شرعاً. ثم حكم أن عمل عملاً يوجب التكفير فهو كافر وإلا فلا. وفصّل في ذلك، ثم حكم عليه بحكم ما ذكروه له فقال: "وإذا علمتم ذلك تبيّن لكم أن الذي ذكرتموه من حال سني علي علم على الكفر بلا شك، فإن كان الأمر كما ذكرتم فهو كافر، وكذلك كل من عمل بمثل عمله، بل يجب التكفير بما هو أقل من ذلك".[1]

وبدأ في الحكم بالتفصيل على ذراريهم ونساءهم هل يستعبدون أم لا. حيث نجد: "إن المغيلي ينطلق في هذا من القاعدة القويمة في الإسلام، والقائلة بأنه يجب إفساح المجال أمام التحرر الإنساني ما أمكن ذلك، إن في الإسلام كان منذ البداية لم يأت بأمر يجعل بموجبه الرّق ممنوعاً منعاً باتاً، ولكنه استن عدداً من الطرق الكفيلة بإنهاء وجود الرق في المجتمع الإسلامي في ظروف معقولة، ومن تلك الموجبات التي تستدعي التحرر الأتي: الحنث لهم من الإمكانيات. وعلى هذا المبدأ يعتمد المغيلي في جوابه هذا. ولا نشك أنه كان من أعرف الناس بالأوضاع في السودان الغربي، حيث

1 - عبد القادر زبايدية- المرجع السابق- ص173.

كانت نسبة العبيد مرتفعة إلى حد كبير في ذلك الوقت، ولذا نراه يأخذ بجانب المساعدة على التخفيف من تلك الآفة الاجتماعية في جوابه للأمير".[1]

المسألة الثالثة: في حكم ما تركه سني علي وجماعته من أموال استوليت عليها. وأرجع جزءاً منها من قال بأنه مسلم حر. ولكن بالنظر إلى أحوال تلك العباد فإن ما زالوا على الكفر وعبادة الأصنام، فهل هذا يكفرهم ويحل دماءهم إن أصروا على ذلك وإلا فلا؟ ما حكم ذلك؟

جواب المغيلي: أوصاه الله بأن لا يعلق المسؤولية على سني علي وما فعله وإنما لا بد من إزالة الباطل ونثبت الحق، فكل ما فعله غيرك ثم صار إليك، إن كان خيراً فاثبته، وإن كان شراً فأزله، ولو طال زمانه، ثم وفّى بالأمر بقوله: "واجب عليك أن تصلح كل ما وصل إليك، ولأجل هذا كان فعلك في إطلاق من أدعى أنه حر مسلم صواباً، وكذلك كل ما تعيّن لمسلم معين واجب عليك رده، وأما أموال اختلطت وجهل أربابها فهي فيء لبيت المال فاصرفها فيما أراك الله من المصالح."[2]

المسألة الرابعة: يتعلق أساساً بالعلاقات بين الدول وبين الحكام. والتعاون فيما بينهم لمحو الظلم والفساد وإعانتهم على الصلح والإصلاح وسؤاله عن أعمال السلطان سني علي الخارجة عن الشرع. والفقهاء الذين يفتون بغير علم وأعوانهم الذين يظلمون الناس بغير حق.

جواب المغيلي: لخصّ المغيلي جوابه بأن البلاد ثلاثة: "الأول بلاد سائبة ليس لهم أمير. فادعوهم إلى مبايعتك والدخول تحت طاعتك، فإن أبوا ذلك فاجبرهم عليه ما استطعت....فجاهرهم بالسيف، حتى يدخلوا كلهم تحت طاعتك على طاعة الله ورسوله، وذلك من أفضل الجهاد وأهمه. الثاني: بلاد لهم أمير فهؤلاء لا يحل لك أن يترعاه في الطاعة ولا يحل لأحد أن ينازعه في رعيته. فأفعل وأن أدى ذلك إلى القتل."[3] وفسّر الجهاد في سبيل الله وادخل فيه دفع الظلم على المسلمين. واعتبره أفضل من جهاد الكفار وهو بهذا يعطي الأولية إلى الإصلاح الداخلي بين الأمة وتوحيد الصف ثم بعد ذلك نخرج إلى العدو بكامل قوتنا أمة واحدة قال تعالى: إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ الأنبياء92. فيقول المغيلي في هذا "ومن سبيل الله دفع

1 - تعليق عبد القادر زبايدية على العبيد ونظرة المغيلي فيهم- المرجع السابق- ص174.

2 - عبد القادر زبايدية- المرجع السابق- ص 176.

3 - المرجع نفسه- ص180.

الظلم على المسلمين وتغيير المنكر، والدفع عن المسلمين من أفضل الجهاد، بل جهاد هؤلاء آكد من الجهاد في أولئك الكفار الذين وصفت".[1]

وإن لم تستطيع فقد تعارض ضرران، فارتكب أخف الضررين. وحكم بقتال المفسدين والظلمة وأعوانهم ولو كانوا يصلون ويحجون، ولو أدى ذلك إلى قتل عدد كبير من المسلمين. وأوصاه بمساعدة إخوانه الحكام والسلاطين في فعل الخير وفيما فيه منفعة المسلمين.

المسألة الخامسة والسادسة: يسأل فيها سؤال مهم يتعلق بالخراج والزكاة وعن موقفه كأمير للمسلمين من تلك الفئة الظالمة من خاصة الناس. والتي امتلأت بطونهم وجيوبهم بما حرّم الله.

جواب المغيلي: كان جوابه يوافق الشريعة الإسلامية الداعم لأسس التكافل والتواصل بين عامة الناس، والمراعي لمبدأ ما نصّ في الحديثين الشريفين:"الناس شركاء في ثلاثة. الكلأ والماء والنار".[2] وقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم من وليّ من آمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن وليّ من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به."[3] ثم أعطى الإمام المغيلي قاعدة للأمير يقتدي بها ويطبقها في حكمه فقال: "إن ملاك الدّين الورع، وفساد الدين الطمع، والورع أن تترك ما لا بأس به خوفاً من الوقوع فيما به بأس. فعليك به في جميع الأمور."[4]

المسألة السابعة: هذا السؤال جاء تلخيصاً ومفتاحاً لكل ما دار بينهما في حوارهما السابق. حيث يعود إلى مسألة الشرك والاعتقادات الباطلة والطمع عند الخاصة. وهو ما أرق الأمير وجعله يصر على الاستبيان والتوضيح من الإمام المغيلي، عله يستطيع أن يغير بفتواه ووعيه، ما لم يستطيع أن يغيره هو بحد سيفه، وتلك حكمة بالغة، ونظر ثاقب من أمير يحرص على دينه وسلامة رعيته أولاً.

وفي هذا السؤال يسأل الأمير عن تلك الفئة الضالة من الناس التي ادعت معرفة الغيب وأخبار النجوم والجن وخط الرمل وأصوات الطيور وحركتها، إضافة إلى ممارستهم السحر ومعاشرة الإماء وكشف العورات عامة، وما إلى ذلك من البدع والمنكرات، وهاته البدع والمنكرات جميعها كما يقول المؤرخون. كانت متفشية بشكل واضح وصريح في كثير من البلدان الإفريقية قبل مجيء الإسلام. ومع دخوله بدأت في الاختفاء تدريجياً، وإن بقيّ بعضها كالسحر مثلاً أو كالعري الذي

---

1 – عبد القادر زبايدية– المرجع السابق – ص180.

2 – سنن أبي داوود– كتاب البيوع– رقم3016.

3 – صحيح مسلم– كتاب الإمارة– رقم3407.

4 – عبد القادر زبايدية– المرجع السابق– ص182.

أصبح بين العبيد أساساً. وهذه الأعمال أو بعضها على الأقل لا تزال بعض صورها إلى الآن في بعض المجتمعات.[1]

جواب المغيلي: إجابة المغيلي على هذا السؤال كانت واضحة وصريحة، انطلق فيها من رؤية الشرع التي جاءت لتحافظ على كرامة الإنسان وتصونه من كل ما يمكن أن يمس شرفه، أو يخدش حياؤه كما جاءت أيضاً لتحرم التلاعب بمشاعر الناس والعبث بأفكارهم وعقولهم مصداقاً لقوله تعالى:وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ الطلاق03[2].

والملاحظ على هذه الأسئلة جميعها أن كل سؤال منها قد تضمن مجموعة من الأسئلة الفرعية تباعاً مما يؤكد مبدأ الحوار العام بين الرجلين –كما قلنا– وينفي أن تكون الأسئلة قد وردت للشيخ دفعة واحدة وأجاب عنها كذلك، فالمتأمل لهذه الأسئلة يجدها قد صيغت وفق أصول وفروع ووفق مبدأ البداية من حيث تكون النهاية، بالإضافة إلى تلك التفريعات الجزئية التي تعقب كل سؤال من مثل قول السائل إن كان كذا فهل كذا وإن كان كذا فهل كذا ثم إنه كذا وكذا فهل يجوز كذا إلى آخر كذا).

وورود هذه الأسئلة والإجابة عنها وفق هذا النسق من الترتيب والتقسيم يجعلنا نعتقد جازمين أيضاً أن الأسئلة والإجابة معاً كانت بين الرجلين في شكل حوار مباشر. الأسقيا يسأل والمغيلي يجيب عن كل سؤال، ثم ينطلق الأسكيا من الإجابة عن السؤال الأول ليكون سؤالاً أدق منه وهكذا، وإن كانت بفاصل زمني بين سؤال وآخر. أما ورودها معاً ضمن مجموعة واحدة من مؤلفات المغيلي فيرجح أن الإمام المغيلي جمع تلك الأسئلة وردوده عليها مع شيء من الزيادة والنقصان، ثم قدمها ضمن مجموع واحد ليعم نفعها كما هو حال كثير من المؤلفات على هذا النهج.

وهكذا فإنه بمثل ذلك الحوار الشيق والهادف بين الرجلين، وبمثل تلك النصائح والتوجيهات السديدة التي استمدها الأمير الحاج محمد أسكيا من محاورته الدائمة والمستمرة للإمام المغيلي استطاع الأمير أسكيا ومن ورائه عقبه من الأسقين من بعده أن يحافظوا على عرش الحكم لأطول مدة ممكنة جيث "وصلوا بالمملكة من حيث القوة والتوسع إلى الحد الذي لم تصله لا من قبلهم ولا

1 – احمد جعفري– المقال السابق–ص11.

2 – المقال نفسه– ص11.

من بعدهم"[1]. وهذا رغم ما لقيّه من معارضة شديدة من طرف وجهاء سنغاي في بداية أمره والتي أدت إلى حد المقاومة بالسلاح. والمتأمل لتلك الأسئلة والأجوبة الحوارية بين الرجلين- الأمير ومستشاره- يستطيع أن يقف على مدى اطلاع الأمير أولاً على أوضاع السودانيين كما هي، كما يلتمس من خلال صراحته في بسط عدد من المواضيع الاجتماعية والسياسية التي كانت تشغل باله على طاولة الحوار والنقاش. تعتبر الأجوبة بما تضمنته من فتاوى وتوجيهات مهمة ومفيدة جداً للأمير وخلفه زعامة المسلمين، كما كانت الأسئلة بما راعته من أمور الدقة والإلمام معاً أهم من الإجابة لمجموع الدراسين والباحثين.[2]

1 - عبد القادر زبايدية- مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 /1591- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- ص31.

2 - احمد جعفري – المقال السابق- ص12.

من خلال هاته الرسالة التي هي عبارة عن أسئلة وأجوبة. أسئلة الأمير الأسقيا محمد الكبير وأجوبة الإمام المغيلي، وطريقة المغيلي في الإجابة عن هاته الأسئلة بطريقة تفصيلية، وواضحة، توضح لنا المعاناة التي كان يعانيها الأمير الأسقيا من خلال المشاكل السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها مملكة سنغاي في أول حكم الأسقيين، ومحاولة الأمير إعادة الأمور إلى الطريقة الإسلامية الصحيحة فبذلك نجده في أسئلته يفصّل ويسأل أسئلة جزئية وتفصيلية في الأمور التي تركها له –سني علي– وهو بهذا يحمل هم الدولة والشعب.

وحتى يؤسس دولته على أسس شريعة قرّب إليه العلماء والفقهاء، ومن بينهم الإمام المغيلي الذي جعله مستشاراً له في حكمه، فكانت بينهما هاته الأسئلة والأجوبة.

نحاول في هذا المطلب استخراج منهج الإمام المغيلي في إصلاح الأمور السياسية والاجتماعية التي كانت تتخبط فيها مملكة سنغاي.

1) الوقوف ضد الباطل وأعوانه وتغييره ولو أدى إلى قتال المسلمين

وهذا الأسلوب يدخل تحت باب المقاصد، وهو واضح في هاته الرسالة القييمة. فقد حكم في السؤال الأول على علماء السوء الذين يفسدون في الأرض ويأكلون أموال الناس بالباطل. حكم بجهادهم هم ومن يوالونهم ويناصرونهم حيث يقول:"أن كثيراً من علماء هذه الأمة وعبادها يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدّون عن سبيل الله، وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد في جميع البلاد، فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كل جهاد. قال صلى الله عليه وسلم: 'إنه من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، فقيل من يا رسول الله؟ قال: من علماء السوء'".[1]

وحكم في الإجابة عن السؤال الثاني على سني علي وأعوانه بالفسق والضلال، وأمر بجهادهم وتغييرهم فقال:"أن سني علي وجميع أعوانه وأتباعه وأنصاره لا شك أنهم من أظلم الظالمين الفاسقين الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، فجهاد الأمير أسكيا فيهم وأخذ السلطنة من أيديهم من أفضل الجهاد وأهمه."[2]

ويأتي بقاعدة في جوابه على السؤال الثالث ينصح فيها الأمير بتغيير المنكر وعدم السكوت عليه بقوله: "ولا تقل في باطل قدرت اليوم على إزالته هذا لا يلزمني لأني ما فعلته، إنما فعله غيري،

1 – أبو بكر اسماعيل ميقا– المرجع السابق– ص142.

2 – المرجع نفسه– ص149.

فكل ما فعله غيرك ثم صار إليك، إن كان خيراً فأثبته، وإن كان شراً فأزله، ولو طال زمانه، لأن الملك لله والحكم لله"[1].

وحكم على أهل البلاد الذين يدعون الإسلام ويعبدون الأصنام ويعظمون الأشجار والأحجار بالكفر ووجوب جهادهم فقال: "وأما القوم الذين وصفت أحوالهم فهم مشركون بلا شك، لأن التكفير في ظاهر الحكم يكون بأقل من ذلك كما بيّناه في السؤال الذي قبله هذا، فلا شك أن الجهاد فيهم أولى وأفضل من الكفار الذين لا يقولون لا إله إلا الله، لأن هؤلاء الذين وصفت لبسوا الحق بالباطل....، فهم أولى بالجهاد من الكفار الذين لا يقتدى بهم مسلم، فجهادهم بقتل رجالهم وسبي نساءهم وذراريهم ونهب أموالهم".[2]

ووصل إلى حدّ الحكم بقتال الظلمة والمفسدين في الأرض وأعوانهم ولو أدى إلى القتال إلى قتل عدد كبير من المسلمين حيث يقول: "وليس من المنكر قتل الظلمة والمفسدين وأعوانهم، ولو كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون، فقاتلوهم ولو قتلوا منكم كثيراً وقتلتم منهم كثيراً، إذا كان قتالكم لنصرة الحق على الباطل ونصر المظلوم على الظالم."[3]

وفي الإجابة عن السؤال السابع حمّل ولي الأمر قضية تغيير المناكر التي تحدث في مجتمعه وأنه مسؤول عنها بقوله: "فواجب على أمير المسلمين، وكل من له قدرة من المؤمنين، أن يغيير تلك المناكر كلها."[4]

وقال في موضع آخر: "فحاش المؤمنين المسلمين أن يفعلوا مثل ذلك ويواطأوا عليه خلفاً عن سلف، فواجب عليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى عاجلاً، وأن يبادروا إلى تغيير ذلك، وغيره من المناكر عاجلاً، وواجب على ولي الأمر أن يجتهد في ردعهم وردهم وردع كل من في حكمه، إلى العمل بشرائع الإسلام فإن ذلك من أفضل الجهاد وأهمه، فليبادر لتغيير المنكرات كلها، بحسب ما أراده الله، لا بحسب هواه من الرأي السديد في تغيير المنكر."[5]

---

1 - أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص153.

2 - المرجع نفسه- ص153.

3 - المرجع نفسه- ص157.

4 - المرجع نفسه- ص163.

5 - أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق - ص166.

2) النصح المستمر للأمير والسلطان في الأمور الكبيرة والصغيرة

يبرز لنا هذا المنهج جلياً في دعوة الإمام المغيلي في السودان الغربي، فمنذ انتقاله إلى هناك رفع راية النصح والإرشاد والتعليم، إضافة إلى علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يتنازل عنه طوال حياته الدعوية.

فبدخوله إلى السودان الغربي وانتقاله بين الممالك والبلدان، كان شعاره النصح لسلاطين تلك البلاد. وبهذا عرف الإمام المغيلي هناك، وذاع صيته، وصار محبوب الملوك والشعوب. وفي هاته الرسالة نجده ينصح الأمير الأسقيا محمد الكبير في الكثير من الأمور.

ومن أهم نصائحه للأمراء إنه كان يحملهم المسؤلية ويقول لهم إنكم مؤتمنون على هاته البلاد فامشوا فيهم بطريق الأمن والسلامة والخير والرحمة. فكان يقول: "فكن لله عبداً بطاعته يكن لك رباً بحفظه وإعانته، إنما أنت مملوك لا تملك شيئاً وقد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم، لا لتكون سيدهم ومولاهم، وأنت في جميع مملكتك راع لا مالك، وكل راع مسؤول عن رعيته، فانظر لنفسك قبل الفوت، فإنه لا بدّ من الموت."[1]

ويعود مرة أخرى وينصحه ويذكره بأنه مسؤول وأنه يجب عليه أن يكون شجاعاً أمامها، ولا يحمل من سبقه هاته المسؤولية، بل عليه أن يحملها ويصلحها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. حيث يقول: "أن الملك كله لله والحكم لله من قبل ومن بعد، فاشكر نعمة الله عليك، واتقه فيما ولاك وقلدك من أمور، واعلم أن سني علي حما عليه حمله عل عنقه، واكتسب في حمله حتى انقضى أجله. فترك ذلك الحمل بينكم فحملته أنت، فاكتسب لنفسك في حمله ما ترجى لك بركته، وتحمد لك عافيته في الدنيا والآخرة، ولا تقل في باطل قدرت اليوم على إزالته هذا لا يلزمني لأني ما فعلته، إنما فعله غيري، فكل ما فعله غيرك، ثم صار إليك، إن كان خيراً فأثبته، وإن كان شراً فأزله، ولو طال زمانه، لأن الملك لله والحكم لله. وأنت عبد الله."[2]

وكان ينصح ويقول: "فانظر في حقيقة قوله وبرهانه وزعمه، فإن لكل قول حقيقة، ولكل حقيقة برهاناً، ولسان الحال أنطق أي أصدق من لسان المقال، فلا يغتر بحسن الأقوال مع سوء الأحوال إلا الأغبياء من الرجال والأطفال."[3]

---

1 - أبو بكر إسماعيل ميقا - المرجع السابق - ص140.

2 - المرجع نفسه- ص153.

3 - أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق - ص157.

وينتهي بنصيحته بالعزم على تغيير المنكرات وعدم تركها بقوله: "فواجب على ولي الأمر أن يجتهد في ردعهم وردهم وردع كل من في حكمه، إلى العمل بشرائع الإسلام، فإن ذلك من أفضل الجهاد وأهمه، فليبادر لتغيير المنكرات كلها، بحسب ما أراده الله، لا بحسب هواه من الرأي السديد في تغيير المنكر، فإن لكل شيء وجهاً ينظر إليه، والظالم أحق أن يحمل عليه."[1]

3) نظرة المغيلي الواسعة للإتحاد بين المسلمين ونشر الإسلام في المناطق الأخرى

وهذا المنهج يدخل تحت باب:"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان". والله سبحانه وتعالى شرع الإسلام وجعله ديناً عالمياً للناس كافة. قال تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً" العربي والأعجمي، الأبيض والأسود. ومن هذا المنطلق كان لا بد من اتساع دائرة الإسلام إلى المناطق المجاورة لمملكة سنغاي. حتى يعم السلم والسلام والأمن والأمان ربوع هاته الأراضي الطيبة. والأمير الأسقيا جاءته دعوى للدخول إلى هاته البلدان وإصلاحها لأنهم رأوا فيه الرجل الصالح القائم بشرع الله الواقف عند حدود الله.

وفي هذا الأمر الخطير الذي يتعلق بالفتوحات والدخول إلى الممالك الأخرى وإخضاعها فصّل له الأمر تفصيلاً، فكانت إجابته بأن البلاد التي تريد إخضاعها ثلاثة بلدان.

1) بلاد سائبة لا أمير لها: هاته البلاد السائبة المهملة "هؤلاء أجبهم إلى مبايعتك والدخول تحت طاعتك، فإن أبوا ذلك فأجبرهم عليه ما استطعت، لأنه لا يحل لطائفة من المسلمين أن يكونوا هملاً،...فجاهدهم بالسيف حتى يدخلوا كلهم تحت طاعتك على طاعة الله ورسوله"2.

2) بلاد لها أمير صالح: هاته البلاد المجموعة تحت سلطان يوحدها ويرعى مصالحها، لا يجوز لك أن تنازعه السلطان، لأن ذلك يعد من الخلاف والفرقة والفتنة، والله يدعوا إلى الجماعة والتفاهم والتعاون.

3) بلاد لها أمير ولكنه طالح: هذا الأمير الظالم طبق معه حلان "فإن استطعت أن تزيل ظلمه عن المسلمين من غير مضرة حتى تقيم أميراً عادلاً فافعل وإن أدى ذلك إلى القتل وقتل كثير من أعوانك".3

---

1 - أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق - ص166.

2- المرجع نفسه- ص155. .156

3- المرجع نفسه- ص156.

وهنا يتضح لنا فكر الإمام المغيلي الذي ينظر إلى الأمور العامة بمنظار الإصلاح، فالإصلاح العام سيستمر ونتائجه وفضائله تعم الجميع. ولو أدى ذلك إلى الضرر على حساب الأقلية، فالأقلية النخبة لا بدّ أن تضحي من أجل العامة والإصلاح. وإلا فسيبقى الحال على ما كان عليه وتستمر الفوضى والفساد في الأرض.

فالإفساد لا بدّ من إزالته من خذوره ولو بالتضحية يشرط ألا يؤدي إلى ضرر أكبر منه "وإن لم تستطع أن تزيل ظلمه على المسلمين إلا بمضرة عليهم، فقد تعارض هنا ضرران، فاحذر تغيير منكر بمنكر مثله أو أعظم منه، فتثبت ههنا وارتكب أخف الضررين لأن ارتكاب أخف الضررين قاعدة مشهورة وسنة مأثورة".1

وكان شعاره في هذا الأمر العام هو نصرة الحق ونصرة المظلوم ولو أدى هذا العمل إلى قتل الكثير من الجانبين. لأنه كان يرى أن الظلم إذا بقي جاثماً على رؤوس الخلائق فإن صاحبه سيطغى ويعلو ويتجبر مثل فرعون الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيّعاً. أما إذا حورب ووجد من يقف له بالمرصاد فإنه سيضمر ويضمحل ويفنى، ومن هنا نجد الإمام المغيلي يتشدد في هذا الأمر ويفتي فيه بقسوة وشدة لإعطاء الحل الأنجع والصارم في هاته القضية المصيرية. فيقول:"وليس من المنكر قتل الظلمة والمفسدين وأعوانهم، ولو كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون، فقاتلوهم ولو قتلوا منكم كثيراً وقتلتم منهم كثيراً، إذا كان قتالكم لنصر الحق على الباطل ونصر المظلوم على الظالم، فافهم ذلك فإن علماء السوء يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله بالجهل والهوى، فإن كان بلد من بلاد المسلمين فيه سلاطين كثيرة أو كبراء كما وصفت، وزعم بعضهم أنه يقيم العدل أو يزيل الظلم إن أعنته عليهم، فانظر في حقيقة برهانه وزعمه".2

ويعطي هنا قاعدة ذهبية للحاكم يفصل فيها في قضية من يطلب منه الإعانة في القضاء على الظلم والظالمين فيقول:"فانظر في حال هذا الذي يطلب منك الإعانة فإن وثقت بزعمه وأنه إذا قويته وفّى بوعده وعهده فقوه على ما فيه منفعة للمسلمين حسبما بيّنت لك، وإن لم تثق فيه فيما زعم فلا تعنه".3

1- أبو بكر إسماعيل ميقا -المرجع السايق - ص.157

2- المرجع نفسه- ص157.

3- المرجع نفسه- ص157.

4) منهج الإمام المغيلي في الحكم على الآخر بالكفر

المتتبع لهاته الرسالة القييمة يجد فيها منهجه في التكفير واضح للعيان، فهو لا يحكم على الآخر بالكفر إلا إذا صدر عنه ما يوجب التكفير. وهو لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا إذا صدر عنه اعتقاداً أو عملاً ما يوجب التكفير. وهو بذلك يكون من أنصار أهل السنة في هذا المنهج، فلا نكفر أحد من أهل القبلة بسبب عمله أو ذنبه وإن كان من الكبائر أو أصر عليه، إلا أن ينكر معلوماً من الدين بالضرورة أو يشرك.

ويفصل الإمام المغيلي في الحكم بالكفر على الآخر فيقول: "وأما قولك هل هم كفاراً أم لا؟ فلا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة، إنما يكون التكفير بأحد أمور ثلاثة. الأول أن يكون نفس اعتقاده كفراً: كإنكار الصانع أو صفة من صفاته التي لا يكون صانعاً إلا بها، أو جحد النبؤة. الثاني: صدور ما لا يقع إلا من كافر وإن لم يكن كفراً في نفسه، مثل: استحلال شرب الخمر، وغصب الأموال وترك فرائض الدين والقتل والزنا وعبادة الأوثان والا ستخفاف بالرسل وجحد شيء من القرءان، فهذان الأمران الإجماع على من ثبت عليه واحد منهما حكمنا بكفره. الثالث: أن يقول قولاً يعلم أنه لا يصدق إلا ممن لا يعلم الله تعالى، وإن كان قائله يزعم أنه يعرف الله. وهذا مختلف فيه بين العلماء هل يكفر به أم لا، وعليه اختلفوا في تكفير المعتزلة ونحوهم من أهل البدع."[1]

وبهذا حكم على سني علي بالكفر لأنه عالم بأمور الدين ولكن ينكرها، ويعمل ما ينافي الإيمان ويماثل عمل الكفار فيقول: "فإن الأمر كما ذكرتم فهو كافر، وكذلك كل من عمل بمثل عمله بل يجب التكفير بما هو أقل من ذلك". وقسم الكفار إلى ثلاثة أصناف:"كفاراً أصالة كاليهود والنصارى والمجوس، والثاني من كان مسلماً ثم ارتد ارتداداً ظاهراً. والثالث من يزعم أنه مسلم وحكمنا بكفره لأنه صدر منه ما لا يقع في الظاهر إلا من كافر كما ذكرتم في سني عليً."[2]

وحكم على أهل بلا د السنغاي الذين يقولون لا إله إلا الله ولكنهم يعتقدون النفع والضر من عند البشر والحجر، ولهم أصنام ولهم بيوت معظمة مثل الكعبة لا يذبحون إلا أمامها ولا يقطعوا أمراً صغيراً ولا كبيراً إلا بأمر سدنتها. حكم عليهم بالكفر فيقول:"وأما القوم الذين وصفت أحوالهم فهم مشركون بلا شك، لأن التكفير في ظاهر الحكم يكون بأقل من ذلك وحكم بقتالهم وسبي

1- أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق ص149، 150.

2- المرجع نفسه- ص.150

نساءهم وذراريهم ونهب أموالهم على ما قدمناه في جواب السؤال الذي قبل هذا، فإن صمموا على شركهم فخرق سدنة بيوتهم لكفرهم وآلهتهم بالنار."[1]

ثم فصّل له في إجابته على السؤال الرابع بما حكم على الأخر بالكفر حيث قال:"وأما ما سألتني عنه من التكفير فقد تقدّم بيان ما يكون به التكفير، فمن ثبت عليه بأنه حلل المكس ونحوه من أكل أموال الناس بالباطل وجب الحكم بكفره، وكذلك من أنكر الحق المبين ولبسه بالباطل."[2]

وحكم على الذين لا يتوارثون وفق الشريعة الإسلامية وإنما يأخذون مال الميت عنوة، ولا يقسمونه على الورثة ولا يعطون الصغار حقهم ويحرمون النساء من الميراث. حكم عليهم بالكفر فيقول:"أما القوم الذين من شأنهم لا يتوارثون على الكتاب والسنة، إنما يرث منهم الخال وابن الأخت وابن الخال فإت رأوا أن ذلك حلالاً وجحدوا شرائع ميراث الإسلام فهم كفار، وإن لم يجحدوا الميراث وأقروا أنهم عصاة فليؤمروا بالتوبة والرجوع إلى الله في الميراث."[3]

ويحكم على المتحاربين الذين يخالطهم المسلمين في كل أمر يغزون معهم ويحاربون معهم، فيعطي رأيه في هؤلاء "وأما المحاربون فلا بد من غزوهم، ولا بأس عليكم فيمن أصيب بينهم من أولئك المسلمين، لأنهم ظلموا أنفسهم بالنزول معهم... وأما من سكن معهم اختياراً وكان يغير معهم ويعينهم على الفساد، فهذا منهم فاقتلوه وانهبوا أمواله، ولا تقبلوا له توبة إذا مكنكم الله منه."[4]

5) منهجه في تغيير المناكر والخرافات والمذعبالات التي تؤدي إلى الشرك

الإمام المغيلي نجده يتشدد في تغيير المناكر والخرافات التي قد يراها البعض سهلة لا تؤثر في تكوين المجتمع، لكنها في حقيقة الأمر تؤدي بالإنسان إلى الكفر وإلى الشرك، فلهذا نجده لا يتساهل مع أصحابها فهو يحكم عليهم بالكفر وبالقتل، وهذه هي طريقته في استأصال الشر، فالشر لا بد أن يستأصل وأن يترع من جذوره، ولا نداويه أو نعالجه.

ومن أهم المنكرات التي أفتى فيها الإمام المغيلي الذين يتعالون عن الشرع والشريعة الإسلامية ويتطالون على أحكامها، ويورثون الرجل دون المرأة والكبير دون الصغير، ويتصرفون فيه بغير ما أنزل الله. فكان حكمه بتكفير من يحللون هذا الأمر ويجحدون شرائع ميراث الإسلام، وأما الذين

1- أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص153.

2- المرجع نفسه- ص157.

3- المرجع نفسه- ص161.

4- المرجع نفسه- ص162.

لا يجحدون فليؤمروا بالتوبة وقال:"وإن لم يجحدوا الميراث وأقروا أنهم عصاة فليؤمروا بالتوبة والرجوع إلى فرائض الله في الميراث فيما يستقبل، فإن أبو فللسلطان أن يأخذ أموالهم كلها..."1

ومن أكبر المنكرات المنتشرة في بلاد السودان السحرة والكهنة ومن يدّعون علم الغيب، فهؤلاء يجب تحذير الناس منهم، وأن من يصدقهم فهو كافر بنص الحديث، وهؤلاء الأشخاص تجب محاربتهم والوقوف ضدهم وتطبيق حكم الشريعة فيهم فيقول:"أما من يزعم أنه يعلم علم الغيب شيء من تلك الأمور أو غيرها فهو كاذب ومن صدقه كفر، فواجب أن يوقفوا للتوبة تحت السيف، فمن تاب ترك ومن أبى قتل بالسيف كفراً، فلا يغسل ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين....، وكذلك يوقف تحت السيف كل ساحر أو ساحرة، وكل من يزعم أن عنده من الطلاسم والعزائم ونحوها ما يجلب الرزق أو يهزم العدو أو نحو ذلك، فمن تاب منهم ترك ومن أبى قتل...."2.

وحارب التطفيف في الكيل وحرّمه ووصى أمير البلاد أن يجعل من يراقب هذا الأمر فقال:"وأما التطفيف فهو حرام بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، فواجب على أمير المؤمنين أن يجعل أميراً على الأسواق وحفظ الأرزاق، فليصلح موازين كل بلد على نسبة واحدة بتقويم الميزان والوزن وتسوية الصنوج..."3.

وحارب كل أنواع الغش في البيع والشراء وأمر الأمير أن يقف لهم بالمرصاد وأن يزجرهم أعظم زجر وأن يتخذ معهم أقصى العقوبات.

ومن المناكر المنتشرة هناك بيع الإماء دون مراعاة الإستبراء. فاعتبر المغيلي هذا الفعل من أفعال الفاسقين وأمر الأمير أن يزجره بالعقوبة الرادعة له ولغيره فقال:"ومن باع أمةً قبل أن يستبرأها من مائه وأسلمها للمشتري كذلك، فهو من الفاسقين الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، يجب على الأمير أن يزجره عن ذلك بالعقوبة الرادعة له ولغيره...".4

وفصّل في القضية تفصيلاً واضحاً. لأن هذا الأمر يعتبر من الزنا وبه تختلط المياه والأنساب، فلا بدّ من التشديد فيه وعدم ترك العامة يفعلون فيه ما تشتهيه أنفسهم.

1- أبو بكر إسماعيل- المرجع السابق- ص161.

2- المرجع نفسه- ص163.

3- المرجع نفسه- ص164.

4- المرجع نفسه - ص165.

ومن أعظم المنكرات المنتشرة في بلاد السودان والتي ما زالت إلى الأن هي اختلاط الرجال بالنساء وكشف العورات وعدم وجود الحرمة ولا الغيرة، بل الأمر هناك الحبل فيه مطلوق على الغالب، فلا ناهي ولا منتهي ولا يوجد حكام ولا قضاة ولا شرطة ولا رقابة، وإن لم تستحي فافعل ما تشاء. فالإمام المغيلي أعطى للحاكم في هذا الأمر الحل وذلك بمحاربته، واتخاذ الحارس والأمناء في الليل ومراقبة هاته البيوت التي تنشر الفاحشة، وملاحقة من يشك أنه يقوم بهذا الأمر وتقديمه إلى المحتسب لعقابه فقال:"ومن أعظم المنكرات ما ذكرتم من اختلاط الرجال بالنساء وكشف العورات، فواجب على أمير المؤمنين أن يجتهد في منع ذلك كلّه بما استطاع، وأن يجعل أمناء يحتسبون على ذلك ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً، وليس ذلك من باب التجسس على المسلمين، إنما ذلك حسن الرعي وردع المجرمين، لا سيما إذا شاع الفساد في البلاد كما في تمبكتو وجنى ونحوهما...."[1].

وأكبر المناكر المنتشرة هناك: إن البكر لا تستر شيئاً من عورتها ما دامت بكراً حتى وإن كانت شابةً من أجمل النساء تخرج بين الناس عريانة بلا ستر أصلاً، وهي بين أبيها وأخواتها كذلك حتى تتزوج، ولو كانت بنت السلطان أو القاضي. فكان جواب المغيلي "فذلك منكر من أكبر المناكر وأقبح القبائح، لم يسمع قط بمثله في شيء من بلاد المسلمين، بل لا يرضى به حتى اليهود والنصارى، فكيف يزعمون أنهم مسلمون، إنا لله وإنا إليه راجعون، فحاش المؤمنين المسلمين أن يفعلوا مثل ذلك ويواطأوا عليه خلفاً عن سلف، فواجب عليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى عاجلاً، وأن يبادروا إلى تغيير ذلك وغيره من المناكر عاجلاً..."[2].

هاته هي أهم المناهج الدعوية التي كان يطبقها الإمام المغيلي في دعوته في السودان الغربي من خلال معالجته للأمور السياسية والإجتماعية في بلاد السنغاي من خلال هذا الحوار الذي دار بينه وبين الأسقيا محمد الكبير في طرحه لهاته الأسئلة وإجابة المغيلي عنها.

ولذلك نقول أن الإمام المغيلي في هذا الأمر كان يمثل المفتي الشرعي والقاضي الذي يعطي الحلول الإسلامية والدواء الشافي للأمراض التي كانت تنخر الدولة أنذاك في عهد الأسقيين، وتعتبر هاته

1 - أبو بكر إسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص165.

2- المرجع نفسه- ص.166

الإجابات من أهم المصادر التي كانت تعتمد عليها دولة الأسفيين بعد محمد الكبير في حل المشاكل التي تواجهها.

هاته الأسئلة والأجوبة تركت لنا إلمامة واسعة واطلاع عميق عما كانت عليه الأوضاع السياسية والإجتماعية في تلك الفترة، وتعتبر من المصادر التاريخية الأساسية التي يعتمد عليها الباحث في دراسته لهاته المنطقة والدولة.

ونجد أن الإمام المغيلي كان مهتماً كل الإهتمام بإصلاح الأوضاع السياسية للمسلمين على أيامه. ولذا فهو ليس من طبقة الفقهاء التي اكتفت بالاهتمام بمسائل الشريعة والتعمق فيها، بالرغم مما كان له من تمكن في علوم الشرع، ولكنه كان من بين القلائل في زمانه الذين حاولوا الإصلاح ما أمكنهم، ولما عجز عن إصلاح الحكام في الشمال ارتحل إلى الصحراء وغادر تلمسان وفي نفسه غيظ وحنق على الإنحراف في سيرة الحاكمين. ولما انتهى إلى توات يبدو أنه وجد في هيئة المشرفين عل أمور تلك المدينة استجابة لأرائه، وقد اضطره إلى الدخول في نقاش سياسي كبير، اصطبغ بصبغة دينية على عادة ذلك العصر، وكان رأي المغيلي له المكانة القوية بين علماء زمانه، وقد دافع عنه بحجج قوية أيضاً، ولما انتقل إلى كانو باشر الإصلاح على طريقته، فاكتسب مكانة كبيرة في السودان وذاع صيته كأحد المفكرين اللامعين في دنيا الإسلام.1

كان للإمام المغيلي تأثير كبير على الجانب السياسي والاجتماعي في إفريقيا الغربية، فهو يعتبر من أوائل من دفع العلماء والحكام في السودان عامة وفي كانو خاصةً إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأخضع المعارف الإسلامية في السودان لمحك النقاش والأخذ والرد والعطاء، ووسع دائرة النقاش العلمي، بحيث أصبح يشمل مناطق لم تكن العلوم الدينية قد وصلتها على الشكل المنهجي، وقام بدور عظيم في السودان لا يدانيه دور قام به عالم مغربي، فقد ترك أثراً إسلامياً بارزاً في جميع المماليك الإسلامية في بلاد السودان الغربي.

وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين، ودعم مفاهيم الدعوة الإسلامية، ووجه الحكام للعمل بها لطبع المجتمع بطابع إسلامي صحيح.2

1- عبد القادر زبايدية- المرجع السابق- ص163.

2- أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص170.

عند تتبع الأسئلة والأجوبة تتجلى لنا بعض الأثار الإيجابية التي تركها هذا الحوار بين الأمير والعالم ومن أهمها:

1) يظهر لنا جليّاً أن الإمام المغيلي اتخذ جانب الصراحة التامة لشرح وجهة نظره أثناء نصحه وإرشاده للأمير، وهذا على خلاف ما عرف لدى مرشدي الأمراء، وخاصةً في دولة بني العباس، من سلوك الطرق الملتوية لتبيين وجهات نظرهم للخلفاء والأمراء.

ومن المستحسن أن نلاحظ الفرق هنا، في أن الأمير أسقيا الأول، كان شديد التواضع مع العلماء، كما أن المغيلي كانت له طريقته الخاصة في العمل الإصلاحي إيضاً، ثم أن الأسقيا طلب من المغيلي أن يرشده إلى أقوم السبل التي تبرر سلوكه في جانب الدين، وقد اتفقت كل العوامل لتجعل المغيلي ينتهز الفرصة التي أتاحها له الأسقيا كي يشرح رأيه بصراحة وتعمق واستطراد، حول عدد من المسائل الاجتماعية في السودان الغربي على أيام الأسقيا، ويبرهن على صحة ما يذهب إليه بحقائق من الدين والشريعة.1

2) كان لإجابة الإمام المغيلي تأثير إجابي على قضية العبيد، فاستطاع بإجابته أن يوضع إلى غاية الإسلام وهي تحرير العبيد، فينطلق في هذا من القاعدة القويمة في الإسلام والقائلة بأنه يجب إفساح المجال أمام التحرر الإنساني ما أمكن ذلك، إن الإسلام منذ البداية لم يأت بأمر يجعل بموجبه الرق ممنوعاً منعاً باتاً، ولكنه استن عدداً من الطرق الكفيلة بإنهاء وجود الرق في المجتمع الإسلامي في ظروف معقولة، ومن تلك الموجبات التي تستدعي التحرر الأتي: الشرع جعل من الأحكام الفقهية عتق الرقبة، وقد سنّ العديد من القواعد لذلك: عتق رقبة عند قتل العمد، عتق رقبة عند إفطار العمد، وعند الحنث، وللعبد الحق في أن يحرر نفسه وذلك بالمكاتبة. وكما أن القرءان الكريم اختار العبد المؤمن وفضّله على المشرك. قال تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴿٢٢١﴾ "البقرة221. في قضية اختيار الزوج، فالأفضلية للإيمان وللدين وليست للجمال. وعلى هذا اعتمد المغيلي في جوابه للتركيز على أحوال الناس لاطلاعهم على أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعادات والتقاليد، فقد كانت نسبة العبيد مرتفعة في ذلك الحين، ولذلك نراه يأخذ بجانب المساعدة ومحاولة القضاء والتقليل من هذه الآفة المشينة في المجتمعات الضعيفة،

1- عبد القادر زبايدية- المرجع السابق- ص169.

وقد أصبحت في عصرنا تأخذ أشكالاً مختلفة، فهي باسم حقوق الإنسان، ومرة باسم المساعدات للفقراء، ومرة بالقضاء على الإرهاب وكلها تدخل في شؤون الغير.1

3) الإمام المغيلي كان يعالج بعض أمور الفساد التي كان يطبقها الحاكم في تلك الفترة وهذا ما يوحي بأن الأمراء كانوا يعيشون على عرق العمال والعامة، وكانوا يقهرونهم بالضرائب والغرامات اللاشرعية.

فينطلق المغيلي هنا من القاعدة العامة في الإسلام، وهي أن الحاكم مرشد وموجه، قبل أن يكون جابياً، ويرى في الجباية أن تفرض وتحصل من الممتلكات الخاصة التي وجب عليها الدفع حسب قواعد الضرائب في الإسلام، أما المرافق العامة التي لا تعود ملكيتها لأحد، في حين يستفيد منها الجميع، فإنه لا غرامة عليها، ويستفاد من أقواله ضمنياً، أن الأمراء في البلدان الإسلامية على أيّامه كانوا كثيراً ما يجبون الضرائب بصورة تخالف الواقع المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية. وهذا ما كان يلحق بالعامة المشقة وأنواع الصعاب، كما يذكر أن أولئك الأمراء يجدون في كثير من الأحيان علماء سوء يزينون لهم أعمالهم وقد يفتون بشرعيتها رغم مخالفتهم للإسلام وللمصلحة العامة للمسلمين.

ولا شك أن هذا هام تاريخياً، لأنه يفسر بعض وجوه الفساد في الحكومات الإسلامية آنذاك، وهي التي ترتب عليها كثير من النتائج السيئة التي ساهمت في دفع المسلمين نحو التقهقر مع بداية العصور الحديثة، حيث عاش المغيلي وشاهد بالعيان حيثيات ذلك الواقع المرير.2

ولهذا نستطيع أن نقول أن الإمام المغيلي ترك بصمة شاهدة للعيان في إفريقيا والسودان الغربي، من خلال الرسائل والمؤلفات والإصلاحات التي قام بها هناك، ولا زال السودانيون يدينون له بالفضل في الكثير من الأمور التي تغيرت في بلدانهم.

هاته الأعمال للمغيلي تركت له مكانة غظيمة وأثراً بالغاً في الأمة وأصبح اسمه عندهم مقروناً بالإمام وظلت أثاره قائمة بعد موته قروناً طويلة. وألف كثيراً من الرسائل والكتب أضاءت الحياة العلمية في قلب السودان وأوضحت لهم منهج الإسلام الصحيح في الحياة العلمية، وأصبحت كتبه مدرسة روحية تربت عليها العلماء والحكام والعامة، وظهر أثرها بارزاً على الأمة في عهده، وعلى

1- مبروك مقدم- أجوبة المغيلي وأسئلة الأسقيا- ص120.

2- عبد القادر زبايدية- المرجع السابق- ص.183

الأجيال التي أتت من بعده. فالذين أتوا من بعده من المصلحين السودانيين تأثروا بآرئه ومنهجه في تصنيف من يجب جهاده وقتاله من الكفار والمرتدين عن الإسلام، ومن يدعي الإسلام ويخلط بينه وبين عبادة الأوثان. أو يعتقد فيها النفع والضرر.

وقد أخذ بمنهجه هذا الشيخ عثمان دان فوديو وأتباعه وخلفاؤه من بعده. وكتابه المسمى:(سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان) عبارة عن نسخة طبق الأصل من أجوبة المغيلي على أسئلة الأمير محمد أسكيا، ورسائله إلى أمير كانو.

فآراء الشيخ عثمان وآراء أخيه عبد الله مبنية في كثير من المسائل على آراء المغيلي. ففي كتاب ضياء السياسات للشيخ عبد الله بن فوديو تشابه شديد بين آرائه وآراء الإمام المغيلي في كتابه الذي وجهه إلى أمير كانو فيما يجب على الملوك.1

ومن خلال هاته الرسائل القيّمة التي تركها في السودان الغربي، وخاصة رسالته إلى الأسقيا محمد الكبير التي هي عبارة عن حوار شيق وهادف بين الرجلين وبمثل تلك النصائح والتوجيهات السديدة التي استمدها الأمير الحاج محمد أسكيا من محاورته الدائمة والمستمرة للإمام المغيلي، استطاع الأمير أسكيا ومن ورائه عقبه من الأسقيين من بعده أن يحافظوا على عرش الحكم لأطول مدة ممكنة، حيث وصلوا بالمملكة من حيث القوة والتوسع إلى الحد الذي لم يصله لا من قبلهم ولا من بعدهم. وهذا رغم ما لقيه من معارضة شديدة من طرف وجهاء سنغاي في بداية أمره والتي أدت إلى حد المقاومة بالسلاح.2

من هذا كله نستطيع القول أن جميع المحاورات التي دارت بين الإمام المغيلي ومجموع من التقى بهم في إفريقيا الغربية خاصة لتعطينا صورة واضحة لما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من الازدهار والرقي في تلك المناطق خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، كما أنها تعكس لنا في الوقت نفسه الدور البارز الرائد الذي قام به الإمام المغيلي في سبيل إرساء قواعد الدعوة الإسلامية وإخضاع المعارف الإسلامية في تلك الديار لمحك الأخذ والرد والعطاء وتوسيع دائرة النقاش العلمي.3 ليشمل مناطق بعيدة ومختلفة في هذه الديار الحديثة العهد أنذاك بالإسلام، حيث يشير بعض الدارسين إلى بداية دخول الإسلام إلى هذه المناطق تحديداً كان في القرن الرابع عشر الميلادي، لكنه وبفضل

1- أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص170.

2- أحمد جعفري- المقال السابق- ص12.

3- أبو بكر اسماعيل ميقا- المرجع السابق- ص180.

ذلك الاتصال والاحتكاك الذي وقع للإمام المغيلي مع مجمل من التقى بهم من ملوك وأمراء إفريقيا توسعت رقعة الإسلام، وصححت كثير من المفاهيم والأفكار المغلوطة التي ظلت معششة لفترة طويلة جداً من الزمن في أذهان كثير من الأفارقة حكاماً ومحكومين على السواء.1

1- أحمد جعفري- المقال السابق- ص14.

الخاتـــمة

من خلال تناول آثار الإمام المغيلي، فإنك لا تكاد تجد من معاصريه من ينافسه على مرتبة الريادة، بخصوص الحياة العلمية. فقد خلّف العديد من المؤلفات في مختلف العلوم، بينما لم يترك يحي بن يدير وعبد الله العصنوني سوى نوازل فقهية قليلة، لا توضح منهجهما في الفتوى بصورة لائقة، ولكون المغيلي يجمع بين العلم والعمل، فقد كان له تأثير كبير في تاريخ منطقة توات والسودان الغربي. هذا التأثير شمل الجوانب الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية. وأعماله في تلك الجوانب لا يضاهيه فيها أحد من العلماء أو أعلام المنطقة، فقد غيّر مجرى الأحداث في فترة وجيزة، بفضل إرادته الكبيرة على التغيير، وفلسفته في ذلك بدءاً بالقواعد العليا في المجتمع، ثم التفرغ بعد ذلك للقواعد السفلى منه. لأنه يؤمن بأن الناس على دين ملوكهم. هذه الأمور لم يوليها غيره من علماء توات أهمية تذكر، لاشتغالهم بالجانب التعبدي من الدين والتفرغ له، لكن المغيلي أدرك بأن الإسلام كلٌ لا يتجزأ، فهو الدين الذي يجمع بين المادة والروح، كما أنه الدين الوحيد الذي يحدد بوضوح علاقة الحاكم بالمحكوم.

بالنظر إلى أهم الأثار التي تركها الإمام المغيلي نجد أن أفكاره في منطقة توات انحصرت في مجال ضيق، ولا تعبر إلا على نسبة ضئيلة من مؤلفاته. وهذا ما يفسر إلى حد ما توجه المغيلي إلى بلاد التكرور بعد تأسيسه لأمارة توات ببوعلى، لأنه أدرك بأن نفوس الزنوج أسلم، بحيث لم تصدعها الملل والنحل بعد. وكان يصبو إلى تأسيس علاقات خارجية مع الممالك الإسلامية الناشئة، والتي تسيطر على أهم سلع التجارة وهو الذهب، وهو ما جعل الدويلات الاسلامية في الشمال تحاول استدراك الوضع، بقطع الطريق أمام المغيلي في هذا الباب، وخاصة الدولة الوطاسية، وهي بذلك تريد ربح المعركة الداخلية، بعد فشلها في الجبهة الخارجية الخاصة بصد هجمات النصارى على شواطئ المغرب الإسلامي.

من خلال هاته الدراسة نحاول استخلاص النتائج التالية:

- الإمام المغيلي يعد من العلماء البارزين الذين ذاع صيتهم في كامل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي، وبلاد السودان الغربي. نظراً لغزارة إنتاجه الفكري، وكفاحه ومشاركته الإصلاحية والجهادية، في تطور الأحداث. وكان عصر المغيلي مع نهاية القرن التاسع شهد تطورات خطيرة، كان أهمها: سقوط الأندلس في يد النصارى، بعدما كانت للمسلمين زهاء ثمانية قرون، نتيجة لعدة عوامل منها تكتل أبناءها وقادتها ضدّ حملات الإسترداد المسيحي التي عجلت بسقوط الحصون والمدن، آخرها كان غرناطة. بالإضافة إلى العامل

المغربي حيث تخاذلت دول المغرب الإسلامي آنذاك عن نصرة الأندلس، لانشغالها بالثورات الداخلية حول الحكم، وفي حروبها المتبادلة فيما بينها .

- كانت نصيحة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي لتلميذه محمد بن عبد الكريم المغيلي، هي محور الدعوة والإصلاح عند الإمام المغيلي، وهاته النصيحة تتمثل في "أنه لا يمكث في أرض مهانة، وألا يعاشر أهل سفاهة". طبق الإمام المغيلي هاته النصيحة في تلمسان وفي توات وفي السودان الغربي، وكان لها الأثر الإيجابي البارز على دعوته الإصلاحية.
- كان منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر البارز في دعوة الإمام المغيلي، فلم يكن يستقر في موضع إلا قام بهاته الفريضة الدعوية، وكانت ظاهرة للعيان أثناء تنقلاته بين مختلف الأماكن والأوطان. فقد طبق هذا المنهج أثناء مكوثه بتوات، وجهاده ضد اليهود، فلم يستطع السكوت عن تدخل اليهود في الأمور السياسية والاجتماعية، للمجتمع التواتي، بحيث لا تتوفر فيهم شروط أهل الذمة، و لم يحترموا حقوق المواطنة.
- يظهر جلياً من تتبع الدعوة الإصلاحية للإمام المغيلي، أن هذا الإمام لا يتكلم فقط، وإنما يتبع القول بالفعل، فهو عملي بمعنى الكلمة، لا يعتقد شيئاً، أو يفكر فيه، إلا ونجده يحاول تطبيقه في أرض الواقع، ويوفر الأشياء التي تحافظ عليه، مثلما فعل عندما طرد اليهود من منطقة توات، عمل على إرجاع السيطرة السياسية بتأسيس إمارة له ببوعلي، وأسس جهاز الشرطة بقيادة ابنه عبد الجبار.
- بتتبع الأحداث، واستقراء الواقع، والوقوف على الأثار التي تركها المغيلي في أولاد سعيد، يتبين لنا بأن الإمام المغيلي، كان له تأثير وعمل كبير في هاته المنطقة، وهذا يدل على طول مكوثه هناك فترة طويلة، يؤسس فيها لمجتمع سليم وواعي لمحاربة اليهود، وهذا عكس ما كانت تنقله المراجع السابقة، والتي كان البعض منها يقول بأنه مكث في تمنطيط، ومرّ بأولاد سعيد فقط، ولكن عند الوقوف على الأثار، مثل السوق، والمسجد، والمصلى، هاته الأعمال تحتاج إلى وقت أطول، بالإضافة إلى الإرادة السياسية، والقبول الجماهيري.
- الإمام المغيلي استقبل في السودان الغربي، بالترحيب والتبجيل والإشادة، والفرح، والسرور، بينما وجد في أقليم توات، المخالفة، والطرد، والمحاربة، والتعنت. وهذا ما جعل مؤلفاته، وأعماله في السودان الغربي، كان لها تأثير كبير في الحياة السياسية، والاجتماعية. وعمل أهل المنطقة على تطبيق القواعد والقوانين التي أسسها، وعملوا على تطبيق أفكاره في أرض

الواقع، من خلال الحركة الإصلاحية التجديدية، التي قادها المصلح عثمان بن فوديو. والزواج الثاني للمغيلي في المنطقة، والذرية التي تركها هناك، دليل على راحة المغيلي، وتقبله لهذا الشعب الطيب الصافي، الذي يريد الإصلاح وينشده.

- الإمام المغيلي دفع لقتال اليهود دفعاً، و لم تكن له ضغينة أو حقد على جنس اليهود،كما يدّعي البعض، فاليهود يبقون ضمن أهل الذمة، الذين وصت عليهم التشريعات الإسلامية، ولكن الإمام المغيلي كان يكره تدخل اليهود في الشؤون العامة للمسلمين، واعتقادهم بأن شعب الله المختار، فلا أحد يرتفع عنهم، ولا أحد يسيرهم. ومن هذا المنطلق لم تعجبه تصرفات اليهود في تلمسان، ولما لم يستطع التغيير، سافر إلى توات، فقوبل بنفس التصرفات وأكثر، لكنه في هاته المرة، وضع جواً للتغيير، من خلال شحن العامة، والتلاميذ، وإظهار خبث اليهود للعيان، وفضحهم على رؤوس الأشهاد. هذا يوصلنا بأن الإمام المغيلي لم يكن يكره الشعب اليهودي، وإنما كان كارهاً لأفعال اليهود.
- إن ما يعرفه أهل المنطقة على الإمام المغيلي، هو أنه من الأولياء الصالحين، وأن له كرامات عديدة، وأن بركته ظاهرة للعيان، وأنه طرد اليهود من تمنطيط. لكن المتعمق في أفكار وأعمال ومؤلفات المغيلي، يلاحظ أنه بعيد كل البعد عن الصفات التي يلصقونها به، فالإمام زيادة على أنه صوفي على الطريقة القادرية، التي حمّلها إيّاه شيخه عبد الرحمن الثعالبي. إلا أنه صوفي على الطريقة العملية من تزكية للنفس وجهاد وعمل وإصلاح، لا كما يدّعي صوفية اليوم، من نوم، وزيارات للقبور، ووعدات، وشطحات، واتكال على الغير في لقمة العيش، وطأطأة الرأس للملوك والأمراء والرؤساء. فلقد كان رحمه الله عفيفاً عما في أيدي الناس، يأكل لقمة عيشه بعرق جبينه، لا يرضى بالذل ولا الهوان، مرفوع الرأس، لا يطأطها إلا لرب العزة والجبروت. إضافة إلى توسعه الفكري الحر، فلم تكن أفكاره مقيدة، ومكبلة، بطقوس المجتمع ، وإنما كان ثائر يدرس كل شيء، ويؤلف في جميع العلوم التي يتقنها، و لم يقتصر على الشريعة والقرءان والحديث، وإنما كان له باع كبير في الأمور السياسية، والعقلية، والفكرية.
- أن أفكار الإمام المغيلي الإصلاحية، والدعوية، لا زالت صالحة للتطبيق الآن، فالمجتمع اليوم يحتاج إلى إمام يجمع بين العلم والعمل، يستطيع أن يصل إلى سيادة القرار، ويغير المناهج والأسس، ويطبق الشريعة الإسلامية، التي تصبوا إليها المجتمعات في جميع الأوطان. فأفكاره

ومبادئه، ومنهجه في التغيير، يحتاج إليه الداعية، والمصلح اليوم، ليقتدي به ويقتفي أثره، حتى ينجح في مهمته الدعوية، مثلما نجح الإمام المغيلي.

ورغم هذا تبقى حياة المغيلي تشوبها بعض الغموض، الذي لا يمكنه أن ينجلي إلا بتظافر كل الجهود، وذلك بإنشاء مؤسسة وطنية للإمام المغيلي، تعمل على جمع مؤلفاته، وتنظيمها وتدقيقها، وتصحيحها، وإعطاءها عناوينها الصحيحة. بالإضافة إلى طبع الأعمال المتعلقة بالمغيلي، وتحقيقها. من مخطوطات، وأعمال حرة، ورسائل جامعية. مع إعطاء الفرصة للطلبة الباحثين الجدد في الإطلاع على ما تركه الإمام المغيلي. حتى تتضح الرؤية حول هذا العالم الجليل، وأن تعقد هاته المؤسسة ملتقى وطني أو دولي، للأهتمام بأعمال وأفكار الإمام المغيلي، ومحاولة الاستفادة منها. فكل أثاره الفقهية تعتبر في حكم المفقود، إضافة إلى كتب اللغة والسير والتصوف. والبحث عن هاته الأثار غير ميسر لشخص قليل الإمكانيات، وإنما يحتاج إلى تظافر الجهود من طرف هيئة رسمية تتكفل بهذا العمل. وهاته الدراسة المقدمة عن منهج الإمام المغيلي الدعوي، تبقى ناقصة، ولم تسلط الضوء على كل أفكاره ومناهجه، وإنما كانت محاولة تعطي الضوء الأخضر لمن يأتي بعدها، للتعمق في أفكار ومناهج المغيلي الدعوية، فالعقل البشري متصف بالنقصان، وما يراه البعض صحيحاً وسليماً، يراه البعض بعيداً عن الصحة. فالأفكار لا بدّ أن تتلاقى وتتناقش، حتى نصل إلى الحقيقة، والحقيقة فقط.

إن هذا البحث والذي عنون بالمنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء، هو في الحقيقة بحث في شخصية الإمام المغيلي، من حيث إبراز المعالم الدعوية والفكرية والجهادية لهذا العلامة الجليل، ولقد نهجت في البحث مبدأ الجدة في المعلومات ومحاولة الحصول على الأمور الجديدة في حياة المغيلي. وبعد المخاض العسير في تحديد موضوع البحث، قسمته إلى فصل تمهيدي، تناولت فيه، تحديد مفاهيم الدراسة، التي جاءت لأعطاء نظرة خفيفة على بعض المصطلحات، مثل: الدعوة، والمنهج، والرسالة، وإطلالة مختصرة على منطقة توات، والسودان الغربي. وذلك حتى نضع القارئ في وسط البحث، ويعرف إين كان يدور هذا الحوار والسجال.
وبعد الفصل التمهيدي، إنتقلت إلى الفصل الإول وعنونته ب: ثرجمة الإمام المغيلي. واستعرضت هاته الترجمة الأمور المتعلقة بالإمام، من ميلاده حتى وفاته، حيث عرضت على مولده ونسبه ونشأته وتعليمه وشيوخه وتلاميذته وأهم معاصريه، وكلام أهل الفضل فيه، ومؤلفاته، ووفاته. ثم حددت الأمال التي قام بها بمنطقة توات، إبتداء من أولاد سعيد، مروراً بتمنطيط، ونهاية بمنطقة بوعلى. ودرجت على تحركاته، وتنقلاته، بالسودان الغربي، وأهم الإصلاحات التي قام بها هناك.
وجاء الفصل الثاني بعنوان: دراسة رسائل الإمام المغيلي. وفيه حاولت إدراج كل الرسائل التي كتبها الإمام بمختلف أنواعها، الدعوية، والعقدية، والفكرية، والعقلية. ثم استخرجت الوسائل الدعوية للإمام المغيلي، التي طبقها في دعوته، فجاءت على الشكل الأتي: المراسلات وبينت فيها مراسلات الإمام المغيلي مع علماء عصرة، وهي الرسائل التي بعثها يوضح فيها موقفه وفكره وعقيدته. ويحاول بها معرفة الأراء المختلفة في القضايا المناقشة. الخطابة وبينت فيها كيف كان الإمام خطيباً، وكان يوظفها في الأوقات المناسبة، في تحريض الناس على قتال اليهود، وفي لمّ الناس من حوله، ومساندته لقضاياه. مروراً بالرحالات وقسمتها إلى ثلاث رحالات. رحلته في طلب العلم، والرحلة الجهادية بتوات، والرحلة الإصلاحية بالسودان الغربي. وعرجت عن المناظرات وكيف حققت للإمام المغيلي، شيوعاً وشهرة بين أقرانه العلماء، ووصل بها إلى أن أصبح من العلماء المشهورين عالمياً. رجوعاً إلى التأليف والتنظير وكيف كان وسيلة، لتوسيع الرقعة الجغرافية، لأفكار الإمام المغيلي. ثم عملت على تأصيل الشرعي لرسائل الإمام، وبينت فيه كيف كان يدلل بالقرءان،

والسنة وأقوال العلماء، والشعر، والحكمة، واعتماده على المصادر كل فن.
وجاء الفصل الثالث كفصل تطبيقي لأستخراج المنهج الدعوي للإمام، من خلال رسالتين مهمتين هما: رسالته في أهل الذمة بعنوان: رسالة إلى كل مسلم ومسلمة، وهي خاصة بيهود توات. ورسالته إلى أمير السنغاي بعنوان: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي. ولقد نهجت في هذا الفصل تحليل هاتين الرسالتين تحليلاً دقيقاً بمعرفة الجوانب التي درساها مع أستخراج المنهج الدعوي للإمام المغيلي منهما، وهو المنهج الذي طبقه طوال حياته الدعوية، مع تحليل الأفكار، ومعرفة المواقف. ولقد احتوي المبحث الأول من هذا الفصل على تحليل مختصر لرسالة أهل الذمة، ومعرفة الأدلة التي اعتمد عليها الإمام في فتواه، وقراءة في الردود المعارضة للإمام المغيلي، وبالضرورة استخرج منهجه الدعوي في هاته الرسالة. أما المبحث الثاني، لخصت فيه الأسئلة والأجوبة، وعرضت على أهميتهما على الصعيد السياسي والاجتماعي، واستخراج منهج المغيلي في الرسالة، إضافة إلى تأثير هاته الأسئلة والأجوبة على الممالك الأخرى، في الزمن القريب. وختمت هذا البحث بخاتمة استخلصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث. وفي هذا القدر كفاية، وأسأل الله التوفيق والسداد.

Conclusion:
Cette recherche, dont le titre du programme d'études de l'Imam de la poursuite de Maghili
Grâce à des messages envoyés aux rois et aux princes et les savants, est en rechercher la vérité dans le personnage de l'Imam Maghili, en termes de mettre en évidence les caractéristiques.
Plaidoyer et intellectuel pour l'imam, et a poursuivi en a trouvez le principe de la nouveauté de l'information et essayer de faire avancer les nouvelles choses dans la vie de Maghili après une grande difficulté dans la définition de l'objet je répartis entre le chapitre d'introduction, qui traite, l'identification des concepts de l'étude, qui est venu donner un éclairage sur certains termes, Tels que: le plaidoyer, les programmes et le message, et un bref aperçu de la zone Touat, et l'ouest du Soudan. Nous avons donc le lecteur au milieu de la recherche, et savoir où cela allait dialogue et le débat.
Après le chapitre introductif, elle a déménagé au premier chapitre et examiné les questions suivantes relatives à la traduction Imam, depuis sa naissance jusqu'à sa mort, tel que présenté à la naissance et le pourcentage de l'éducation et la formation, les personnes âgées, et la plupart de ses contemporains, et les mots de la population crédit pour elle, et ses écrits, et sa mort. Sélectionnez ensuite l'espoir que par région Touat, à partir de la joie des enfants, par le biais Tamentit, et la fin de zone de Bou. Et la pratique de ses mouvements, et ses mouvements, le Soudan Ouest, les réformes les plus importantes qui y sont menées.
Le deuxième chapitre intitulé: «Étude des messages Maghili Imam. J'ai essayé d'inclure tous les messages écrits par différents Imam types, le plaidoyer, intellectuelle et la santé mentale. Ensuite, extrait des moyens de défense de l'Imam Maghili, qui s'appliquait dans l'appel, cependant, ont été comme suit: la correspondance et a montré la correspondance Imam Maghili avec des savants de son temps, tous les messages envoyés par la montre la position, les idées et les croyances. Et essaie de trouver les points de vue différents
Questions dans le débat. Rhétorique et d'expliquer comment l'imam et a été employé au moment approprié, incitant la population à lutte contre les Juifs, et non pas le peuple autour de lui, et le soutien à

leurs problèmes travers et divisé en trois voyages. Son voyage à la recherche du savoir, le voyage de l'ouest de la réforme du Soudan.
Et j'ai couru tous les débats et comment ils ont obtenu de l'imam Maghili, communément appelé parmi ses collègues scientifiques, et tendu la main à devenir des scientifiques de renommée mondiale. Retour à l'écriture et de théoriser la façon dont moyens, à élargir la portée géographique, les idées de l'imam Maghili. Ensuite, a travaillé à consolider les messages légitimes à l'imam, et montré comment il a été démontre le Coran et la Sunna et les paroles des savants, et la poésie, et la sagesse, et sa dépendance sur les sources de tous les arts.
Le troisième chapitre, comme la méthode de séparation à extraire le procès de l'Imam, à travers deux messages importants: le message au peuple du Livre adresse: Message à tous les musulmans et musulmanes, qui est liée aux juifs du Touat.
Et sa lettre au prince intitulé:
Questions et réponses cheikh Maghili. Il a adopté l'analyse dans ce chapitre une analyse de ces lettres une connaissance approfondie des aspects qui étudie à l'extraction procès approche Imam Maghili d'entre eux, une approche qui s'applique tout au long de sa vie plaidoyer, avec une analyse des idées, connaissances et attitudes. Il a été contenue la première section de ce chapitre sur la brève analyse du message au peuple de la divulgation, et la connaissance de la preuve invoquée par l'imam dans la fatwa, et sont à lire réponses de l'opposition Maghili à l'Imam, et la méthode pas nécessairement extrait
Le message suivant dans le procès.
Et les réponses, et présenté à l'importance sur le plan politique conseil économique et social, et la méthode d'extraction Maghili dans la lettre, en plus de la questions et réponses suivantes aux autres royaumes, dans le temps proche. En conclusion, cette conclusion tirée par la recherche des résultats les plus importants atteint par la recherche. Dans ce tout aussi inadéquat, et demander l'aide de dieu et guide.

ابن بطوطة

محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي عرف بابن بطوطة (ولد في 24 فبراير1377 - 1304 م بطنجة(779 - 703) هـ. هو رحالة ومؤرخ وقاضي وفقيه مغربي لقب بأمير الرحالين المسلمين.

الاسم الكامل :شمس الدين أبوعبدالله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن اللواتي الطنجي بن بطوطة بن حميد الغازي بن القريش العلي. ولد في طنجة سنة(703 هـ/1304 م (بالمغرب وفي فتوته درس الشريعة وقرر عام 1325 وهو ابن 21 عاماً أن يخرج حاجاً كما أمل من سفره أن يتعلم المزيد عن ممارسة الشريعة في أنحاء بلاد الإسلام . وخرج من طنجة سنة 725 هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين الجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا .وإتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم – وكان ينظم الشعر – واستعان بهباتهم على أسفاره.

عقبة بن نافع

عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي الفهري هو من كبار القادة العرب والفاتحين في صدر الإسلام. ولد في حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم– سنة 1 ق. هـ، ولا صحبة له، شهد مع عمرو بن العاص فتح مصر، ثم شارك معه في المعارك التي دارت في أفريقيا) تونس حاليا)، فولاه عمرو برقة بعد فتحها، فقاد منها حركة الفتح باتجاه الغرب، فظهرت مقدرته الحربية الفائقة وحنكته وشجاعته، وعلا شأنه .

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان ولاه أفريقية، وبعث إليه عشرة آلاف فارس، فأوغل بهم في بلاد المغرب حتى أتى وادياً يسمى القيروان فأعجب بموقعه، وبنى به مدينته المشهورة، كما بنى به جامعاً لا يزال حتى الآن يعرف باسم جامع عقبة، وفي سنة 55 هـ عزله معاوية من ولاية أفريقية .

محمود أقيت، أبو البركات(955هـ، 1548م). محمود بن عمر بن محمد أقيت بن يحيى الصنهاجي التمبكتي، القاضي شيخ الإسلام أبو البركات الفقيه.

كان يقوم بالتدريس إلى جانب تولّيه منصب القضاء. وكثر طلبته ونبغ منهم جماعة. وكان أكثر ما يدرِّس المدونة والرسالة ومختصر الشيخ خليل، والألفية. وعنه انتشر قراء ومعلمو مختصر الشيخ خليل في غربي إفريقيا، وكان طلابه يسجلون دروسه عن مختصر الشيخ خليل، فأخرجوها شرحًا في مجلدين.

شهاب الدين القرافي،(684هـ،– 1285م). أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبوالعباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي. فقيه مالكي وعلم من أعلام الأصول. ولد بالبهنسا بمصر وأصله من صنهاجة بالمغرب. تلقى علومه عن كبار علماء عصره ومنهم العزّ بن عبد السلام، وجمال الدين بن الحاجب، وقاضي القضاة شمس الدين الإدريسي، وغيرهم. كان إمامًا عالمًا بالفقه وأصوله والتفسير والحديث والعلوم العقلية وعلم الكلام والنحو. انتهت إليه رئاسة المالكية في عصره. يعدُّ من أفضل أهل القرن السابع بالديار المصريةله مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه، منها :تنقيح الفصول في اختصار المحصول في أصول الفقه،

الإمام سحنون بن سعيد(160هـ–240هـ): القاضي الفقيه وصاحب المدونة

مولده ونشأته:

هو أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي ولد سنة 160هـ قدم والده من الشام مع الجند العرب. درس القرآن واللغة والفقه في القيروان وتونس على الإمام الأكبر الشيخ علي زياد التونسي رضي الله عنه وهو الذي يعتبر أول من جلب كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس حيث تتلمذ عليه بالمدينة المنورة وعاد إلى إفريقية فكان الإمام سحنون أبرز وأشهر تلاميذه وخليفته الذي واصل رسالته في نشر المذهب المالكي في ربوع إفريقية ومنه انتشر بربوع الأندلس وصقلية و بلارمو و مالطا وبقية بلاد المغرب والسودان وغرب إفريقيا

الإمام مالك بن أنس

نسبه وقبيلته: هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي. وكان أبو عامر – أبو جَدِّ مالك – حليف عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي، وكنيته أبو عبد الله من سادات أتباع التابعين، وجلّة الفقهاء والصالحين. وأمه هي عالية بنت شريك الأزدية. وُلِد بالمدينة المنورة سنةَ 93هـ/ 703م، وعاش فيها .

طفولته وتربيته

بدأ الإمام مالك طلبه للعلم وهو غض طري، فحصل من العلم الكثير، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة وهو ابن إحدى وعشرين سنة، كما قصده طلاب العلم من كل حدب وصوب.

قال ابن المبارك: "رأيت مالكًا فرأيته من الخاشعين، وإنما رفعه الله بسريرة كانت بينه وبين الله، وذلك أني كثيرًا ما كنت أسمعه يقول: من أحبَّ أن يفتح له فرجة في قلبه، وينجو من غمرات الموت، وأهوال يوم القيامة، فليكن في عمله في السر أكثر منه في العلانية."

ابن القاسم المالكي(133- 191 هـ)

" أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي بالولاء، الفقيه المالكي؛ جمع بين الزهد والعلم وتفقه بالإمام مالك رضي الله عنه ونظرائه، وصحب مالكاً عشرين سنة، وانتفع به أصحاب مالك بعد موت مالك، وهو صاحب " المدونة" في مذهبهم، وهي من أجل كتبهم، وعنه أخذها سحنون.

وكانت ولادته في سنة اثنتين، وقيل ثلاث وثلاثين ومائة، وقيل ثمان وعشرين وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائة، ليلى الجمعة لسبع ليال مضين من صفر بمصر، ودفن خارج باب القرافة الصغرى قبالة قبر أشهب الفقيه المالكي، وزرت قبريهما، وهما بالقرب من السور، رحمهما الله تعالى.

ابن رشد (1126 ــ 1198 م)

هو محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد. كان والده قاضي قرطبة وكان جده قاضي قضاة الأندلس. ولد في قرطبة ودرس القرآن والفقه والطب والفلسفة. أُسند إليه القضاء في اشبيلية، ثم صار قاضي قضاة قرطبة. وبعد وفاة ابن عقيل، الطبيب والفيلسوف المعروف، استوزره أبو يعقوب بن عبد المؤتمن، لكن الوشاة والحساد أوغروا صدر ابن أبي زيد عليه، فأمر بمحاكمته وإحراق كتبه بتهمة الكفر. وقد نفي ابن رشد حوالي سنة، ثم صدر العفو عنه. لكنه عزف عن الحياة السياسية والاجتماعية.

مات في مراكش ودفن فيها ثم نقل رفاته إلى قرطبة.

القاضي عياض

مولده ونشأته : ولد عياض في منتصف شعبان عام 476 هـ (1083م) بمدينة سبتة في حضن أسرة كانت تعتز بما كان لها من ذكر في القيروان وبسطة وقلعة يحصب وفاس وبما بنته في سبتة من آثار، وفي السنة التي ولد فيها عياض استولى على سبتة المرابطون الذين ارتبط مصيره بمصيرهم وبعد ثلاث سنوات من ولادته كانت وقعة الزلاقة الشهيرة، وهكذا كان ميلاد القاضي عياض في ظرفية تاريخية سيبرز خلالها اسم المغرب ويذيع صيته وينتشر إشعاعه وينجب أعلاما من طبقة القاضي عياض. وقد كانت مدينة سبتة غداة ولادته أصبحت مركزا علميا لعله يفوق غيره في المغرب بحكم موقع المدينة على طريق الجهاد والحج والعلم .

ابو منصور الثعالبي

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الذي يُعرف بأبي منصور الثعالبي النيسابوري 350) هـ - 430هـ (أديب عربي لقب بالثعالبي لأنه كان فرّاء يخيط جلود الثعالب ويعملها، وإذا عرفنا أنه كان يؤدِّب الصِّبيان في كُتّاب استطعنا أن نقول جازمين أن عمل الجلود لم يكن صناعة يعيش بها، ويحيا لأجلها،بل كانت من العمال التي يعالجها المؤدِّبون في الكتاتيب وهم يقومون بالتأديب والتعليم، وما أشبه هذا الحال بحال مؤدبي الصِّبيان في مكاتب القرية المصرية في عهد مضى، من بدائع وقد شدّ كل منهم خيوط الصوف إلى رقبته والمغزل في يده .

العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني:، ولد بتنلان سنة 1151 هـ وتوفي بأولاد علي من قصور تيمي عام 1233.

هو الإبن الثاني لعبد الرحمن بن عمر التنلاني، واصل المسيرة العلمية لوالده وأخيه عبد الله، وحافظ على السمعة العلمية لمركز تنلان، كان متضلعاً في البلاغة والعروض، وتتلمذ على شيوخ والده السجلماسين.

كان عالماً مفتياً فأجازه الشيخ سيد محمد بن عبد العزيز الهلالي بالعلم حتى كانت هناك مراسلات بينهما.

التنبكتي محمود كعت:

ت بعد سنة(1075هـ، – بعد سنة1664 م). القاضي محمود بن الحاج المتوكل كعت. ينتمي إلى أسرة كعت التنبكتية.كان من العلماء المرموقين في تنبكت (تمبكتو الآن)، مقربًا لدى السلطان. وتولى قضاء تنبكت.

اشتهر القاضي محمود بمؤلفه تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار.

ابن حوقل:(367هـ/ 977م)

أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي المعروف بابن حوقل، رحالة من بلدة نصيبين بالجزيرة. اتخذ التجارة مهنة له، وبدأ تجواله من بغداد عام 331هـ/943م. فحملته أسفاره إلى شمالي إفريقية والأندلس، وزار نابولي وباليرمو في إيطالية، وعرف العراق وإيران وجزءاً من الهند عن كثب، وعاد من أسفاره عام 362هـ/973م. وهذا يعني أنه قضى في الترحال نحو ثلاثين عاماً.

لإصطخري

اسم المصنف أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي

الإصطخري (346 هـ = 957 م)

إبراهيم بن محمد الفارسي، أبو إسحاق الإصطخري ويقال له الكرخي: جغرافي، رحالة، من العلماء.

من أهل إصطخر (بإيران) قام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند، وبلغ الأوقيانوس الأتلانتيكي، واستعان بكتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي، ولم تكن مصادر علم البلدان موفورة في عصره،

فألف كتابيه (صور الأقاليم على اسم كتاب البلخي، و (مسالك الممالك) ونقل ياقوت عنهما أو عن أحدهما في معجم البلدان، وأغفل ترجمته أو الإشارة إليه في كلامه على إصطخر، مكتفيا بتسميته في مقدمة المعجم أبا إسحاق الإصطخري.

اليعقوبي

(أبو العباس اليعقوبي) أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي

كاتب ومؤرخ وجغرافي في دولة بني العباس وأحد مؤرخي أواخر القرن 9ه، ينتمي لطبقة الكتاب وقد قامت شهرته على أثرين من آثاره هما :كتاب التاريخ أو تاريخ اليعقوبي؛ وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام حتى سنة 258ه 872) م(، وكتاب البلدان؛ وتحدث فيه عن كبريات المدن في بلاد الإسلام. ولد في بغداد وقضى بعض حياته في أرمينيا وخراسان ثم هاجر إلى الهند والمغرب ومصر، توفي في مصر سنة 284ه 897) م) وفي روايات أخرى عام 284ه أو 298ه.

عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أو ،أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي رحالة وفقيه مغربي، ولد في شهر شعبان سنة 1037هـ = 1627 م / وتوفي بالطاعون سنة 1090هـ = 1679 م، ينتمي أبو سالم عبد الله العياشي إلى قبيلة أمازيغية تدعى (آيت عاش). إرتحل وهو شاب إلى مدينة فاس.

المصمودي: أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي المصمودي أحد الأذّكياء ممن أوتي بسطة في العلم والخلق ت عام (820هـ 1427م).

العبدوسي : الفقيه الشيخ الحافظ أبو عمران موسى بن محمد بن معطي، كان له مجلس في الفقه لم يكن لغيره في زمانه بفاس ت عام (776هـ 1374م).

الماواسي: عيسى بن أحمد بن محمد البطوني اشتهر بابن ماواس مفتى فاس وفقهيها ت عام (896هـ 1490م).

سني علي: من أقوى ملوك مملكة سنغاي اشتهر بظلمه وجبروته حيث كان من سياسته التضييق على العلماء وقد وصفه مؤرخ السودان عبد الرحمن السعدي بقوله " الظالم الأكبر والفاجر الأشهر" امتدت فترة حكمه ما بين أعوام (869هـ 899هـ)

الشيخ سيد المختار الكنتي

هو المختار بن أحمد بن أبي بكر بن سيدي محمد بن حبيب الله بن الوافي بن سيد عمر بن الشيخ بن سيدي محمد الكنتي بن سيدي اعل ولد سنة 1142هـ ـ 1730م في الشمال الغربي بآروان ، من أبرز علماء بلاد شنقيط والصحراء والسودان الغربي أوسط القرن (18م) كان رجلا عالما ورعا ورجل سياسة بارزا ومصلحا اجتماعيا حكيما لعب دورا سياسيا واجتماعيا وفكريا وروحيا في الحياة الصحراوية حتى وفاته 1811م.

الإمام عبد الحميد بن باديس {1889هـ/1940م}

كانت الجزائر أول أقطار العالم العربي وقوعًا تحت براثن الاحتلال، وقُدّر أن يكون مغتصبها الفرنسي من أقسى المحتلين سلوكًا واتجاهًا، حيث استهدف طمس هوية الجزائر ودمجها باعتبارها جزءًا من فرنسا، ولم يترك وسيلة تمكنه من تحقيق هذا الغرض إلا اتبعها، فتعددت وسائلة، وإن جمعها هدف واحد، هو هدم عقيدة الأمة، وإماتة روح الجهاد فيها، وإفساد أخلاقها، وإقامة فواصل بينها وبين هويتها وثقافتها وتراثها، بمحاربة اللغة العربية وإحلال الفرنسية محلها، لتكون لغة التعليم والثقافة والتعامل بين الناس.

وتوفي ابن باديس في (8 من ربيع الأول 1359 هـ= 16 من إبريل 1940م).

عبد العزيز الفِشتَالي (956 ـ 1031 هـ) (1549 ـ 1621 م)

عبد العزيز بن محمد الفشتالي، أديب كاتب، شاعر. من آثاره: مناهل الصفا في أخبار ملوك الشرفاء، ومدد الجيش في الذيل على جيش التوشيح.

السلطان أبو حسون بن محمد الشيخ الوطاسي: (1549م -1554م)

وفاتــه: في يوم السبت 24 شوال سنة 961 هـ 22 شتنبر 1554 م

وكان دخول السلطان أبي حسون إلى فاس ثالث صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة ولما دخلها فرح به أهلها فرحا شديدا وترجل هو عن فرسه وصار يعانق الناس كبيرا وصغيرا شريفا ووضيعا ويبكي على ما دهمه وأهل بيته من أمر السعديين واستبشر الناس بمقدمه وتيمنوا بطلعته وقبض على كبير فاس يومئذ القائد أبي عبد الله محمد بن راشد الشريف الإدريسي واطمأنت به الدار ثم لم يلبث السلطان أبو حسون إلا يسيرا حتى كثرت شكاية الناس إليه بالترك وأنهم مدوا أيديهم إلى الحريم وعاثوا في البلاد فبادر بدفع ما اتفق معهم عليه من المال وأخرجهم عن فاس وتخلف بها منهم نفر يسير.

أبو يحي بن محمد المنياري: هو الرجل الفقيه الصالح والعالم النابغة صاحب الجود والإكرام . جاء توات ونزل بتمنطيط فاتفق الجماعة التواتية على توليته قضاء الجماعة سنة 815هـ، توفي سنة 840هـ.

مولاي سليمان الإدريسي: هو العالم الكبير الصوفي العارف سيدي مولاي سليمان بن علي الشريف بن عمر بن أحمد، قصد توات سنة 580هـ فنزل بتينلان ثم انتقل إلى أولاد عيسى، وأسس زاوية معلما ومدرسا ومفتيا. ت 670هـ.

القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد التادلي الفاسي: الفقيه الإمام العالم الفاضل العمدة القاضي العادل كان أبوه من حفاظ المذهب، ولد سنة 511هـ وتوفي سنة 597هـ.

القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عسكر البغدادي: الإمام العلامة المتفنن في العلوم والفهامة بلواء مذهب مالك بالعراق. كان من العباد وأعلام الفضلاء الزهاد، أخذ عن والده وغيره. مولده سنة 701هـ وت: سنة 767هـ.

رجز المغيلي المسمى بمنح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب

الحمد لله الذي هدانـــــا لدينه القويم واجتبـــــــانا
بخير من الوحي والكتاب وفى ومن دعا إلى الصواب
محمد صلى عليه ربنـــــا ماهب أوكف الصبا مــنشئنا
ثم على أصحابه وآلـــــه ومن أتى مقتفيــا بحالـــــه
وبعد لما كان علم المنطـق رعية الذهن من الغي يقـــي
نظمت نظما شاملا قواعدا راج من الله الكريم مـــــددا
وحفظ خافظ لـــــه وناظرا قد أخذ الإنصاف ثوبا ساتــرا

أنواع العلم الحادث

العلم إن حكما فتصديق وما عدا تصور فكان لازمـــــــا
لكن ما حصولـــــه بالنظر ليس ضروريــا ولكن نظــري

الدلالة اللفظية والوضعية

دلالة اللفظ لوضعه لـــــه مطابقــة ثم لما شملـــــــــه
تضمن ثم لما لـــــــزمه هـو التزام إن حجى ألزمـــــه

مبادى التصورات

واللفظ إن يجزئه قد قصـد دلالــة قول وإلا مفـــــــردا
فانسب لكل لا لجزء ما عنا إن قبل الشرك وإن لم يمكنـــا
ثم لذات إن يكن قد انــدرج في الذات أو فى العرض حيث خرج
فالأول المختص منه فضلها وما عن المختص منه جنســها
والنوع ما شمل ذين دائمــا والثاني جـاء ذاهبا ولازمـــــا
لكن ما اختصت به قد منعـا وشامــل الأفراد منها جمـــعا

مقاصد التصورات

عرف بحد وبرسم وهمـــا للنقص والتمــام كل قســـما
فذو التمام ما بجنس قد دنـا والحـد منها بفضــل بيـــــنا
وشرط كل أن يكون جامعا وظاهــرا للسامعين مانـــــعا

مبادى التصديقات

ما احتمل الصدق لذاته خبر حملي إذا الحكـم به لـم ينتظر
كصالح يصلح فالموضوع ما كان على محمولـه مقـدما
فانسبه في الكل وفي الجزء لما لـه انتمى موضـع أي منهـما
وإن على الكلي سور دخـلا كان مسـورا وإلا مهمـلا
وسوره كـل وبغض ثـم لا شيء وليس بغض أو ما مثلا

التناقض

إن التناقض اختلاف حققـا لذاتـه في خبرين اتفـقا
فيما عداكم وكيف لهـما وكـذب واحد فحسب منهما

العكس

عكس الخبر تحويل جزأيه كما تجعل تـالى المنطبع مقدمـا
مع بقـاء ما به قد فرضـا إلا ككـل فكبعـض عوضـا
والعكس لازم لكل ما عـدا ما بـه جمع لحسبتين وجـدا

القياس الاقتراني

قياسنا من القضـايا ركبـا وخبـر لذاته قد وجبـا
لكن بالقـوة ذكـره فمـا كان اقتـرانيا كما قد علما
فضع له ما اختصت الصغرى به وهو التى تقدمت بضربـه
واحصل له ما اختص بالكبرى وما
بأول الشكـل واعكس رابـعا
واحمله فيهما بثان دائمـا كمـا بثالـث تضعـه بهمـا
فاضرب الأول أعنى المنتجا أربعـة وغيرهـا لن ينتـجا
كل فكـل ثم كل يلـه لا شيء ثـم البعض كلا أولـه
ورابع بعض فلا شيء وقـد ينتـج أول بكـل ورد
للثان لا شيء وثالث لـه بغض وفى الربـع ليس قبلـه

جميع ضروبه

والثـان قل ضروبـه كالأول كـل ولا شيء وعكسـه جلي
بعض فلا شيء ورابع أتـى بليـس بغض ثم كـل ثبتـا
فنتج لا شيء لأوليـه كمـا ينتـج ليس بغض ما تلاهمـا
وثالث الأشكال ستـة لـه كـل فكـل ثم بعـض بتلـه

كل، وعكسه، وكل بعـــده لا شيء، ثم بعض لا شيء له
كل، فليس يعض بعضا ينتج نصف ونصف ليس يعض منتج
وأربع بخمسة قد رويـــا كـل فكـل، وبعض ثانيـا
لا شيء كل ثم ليـس ثم لا شيء لبعض قـد تلا مكمـلا
فنتج لا شيء لا وما، كمـا آخر ليس بغض والبعض لمـا

القياس الاستثنائى

انسب للاستثنا قياسا شملا بالفعل نتـجا أو نقيضـه فلا
فإن يك الشرطي فيه اتصلا انتج وضع أول ما قـد تـلا
ورفع تال رفع ما تقدمـا والنتـج في عكسهما لن يلزما
وإن يكن منفصلا فما وضع من وضعـه لرفعـه لقد رفـع
وإن يكن مانع جمع واعكسا كـأن يكـن من الخلـو آيسـا
وقـد وفـى ما رميته مبينا والحمـد لله الذي قد أحسنـا
ثم الصلاة والسلام دائمـا على رسول هاشمـي خاتمـا
وآلـه وصحبـه ومن سعى بدينـه القويـم ثم اتبـعا

القصيدة الميمية التي ألقاها الإمام المغيلي أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم حين أدائه لفريضة الحج

بشراك يا قلبي هذا سيد الأمـــم وهذه حضرة المختـــار في الحـرم
وهذه الروضة الغراء ظاهـــرة وهـــذه القبـــة الخضراء كالعلـــم
ومبنر المصطفى الهادي وحجرته وصحبـــه وبقيـــع دائـــر بهـــــم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها وسل تنل كـــل ما تـرجوه من كرم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيـــدي فالعبـــد ضيف وضيف الله لم يضم
يا سيدي يا حبيب الله خذ بيـدي فبحـــر جـودك مورد لكل ضـــــم
يا سيد الرسل يا من ضيف ساحته يبيت في الأمن في خير وفي نـــعم
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي يا من لقاصديـه أمن من الســـــقم
يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل يا أفضل الناس في الذات وفي الشيم
يا أشرف الأنبياء يا من شفاعته عمت على الخلق في الوجدان وفي العدم
يا صفوة الله يا مولاي مكارمـــه عمت على الخلق من طفل إلى هـــرم
يا صاحب الحوض يا بحر فضائله عمت على الخلق من عرب ومن عجم
إني فقير إلى عفو ومرحمـــــة وأنت أدرى بما في القلـــب مـــن ألم
فقد أتيتك أرجو منك مكرمـــة وأنت أهل الرضـــا والجود والكـرم
فاشفع لعبدك وجبر كسره فلقـد أودى له الكـسر فيمـا نال من جرم
لقد سعت إلى أبواب حجرتكـــم سعيا على الرأس لا سعيا على القدم
أتى من أم القرى يرجو القرى كرما مـن سادتكـم بحار الجود والكـرم
فإن قبلتم فإني مفلح بكـــــــم في زورة واعتـــراف وافر القيـــم
يا من أجلّ ملوك الأرض قاطبة في باب أفضلهم من أصغر الخـــدم
فهل عسى نظرة منكم لزائركم يغني بها عن جميع الخلـق كلـــهم
محمد وضجيعه الذين بهـــــم طبنا وغبـنا عن الخسران والنـدم
يا رب يا رب يا مولاى عبدك في باب الرجـى يرتجي أمنا من النقـم
فجد عليه بما يرجوه من كـرم لقـــــد توســل في الدنيا بحقـــهم
ثم الصلاة وتسليم الإله عـــلى هــذا النبي رافــع القدر والشيـــم
محمد المصطفى والآل ثم عـلى أصحابـــه ما سار ركـــب لربعهـم

قصيدة لعبد الرحمان الجوزي في مدح الإمام المغيلي

بُشرى يا اولاد سَعيد زدتِ فَخَاراً ... يوم حلّ بكِ العزيزُ الأوّاهُ
نجلُ عبدُ الكريمِ أعني المغيلي ... جلَّ شأناً في العالمينَ أرآهُ
قد أقضَّ مضاجعاً ليهودٍ ... يومَ كادَ الإسلامُ يَلْقَى فَنَاهُ
بفسادٍ طغَى وسُوءِ أخلاق ... ثُمَّ جورٍ جلا وزِيحَ غِطاهُ
غاصتِ النَّاسُ في الجهالةِ تَغْدواْ ... بدجّالِ الأوثانِ تخطُواْ خُطاهُ
واصطَفَتْ من بَنِي صُهْيونٍ شيوخاً ... عمّمُواْ الأرضَ بالأذَى وقَذَاهُ
وأبى اللهُ ذا المَذَلَّةِ حقّاً ... فأضاءَ توات نورُ عُلاهُ
وأَتَى للإقليمِ شيخٌ أبيٌّ ... قد قَلاهُ المَلا لفكرٍ وَعَاهُ
فاستشارَ أهلَ العلومِ فأَفْتواْ ... فارتَمى كالجسورِ ينحوُ مُناهُ
قطعَ الأرضَ في الصحاري مُريداً ... لبلادٍ تسقيهِ كأساً يَرْضاهُ
فُتحتْ بابُ اولاد سعيدِ تِرْحَاباً ... بأيادٍ للعونِ تَصْغَى نِداهُ
سخّرواْ له من أمورٍ جِسَامٍ ... عُدِمَ المِثْلُ في الولاءِ صَدَاهُ
فاجتباها الإمامُ منطلقاً يَدْ ... عُو إلى الخيرِ من خِلالِ رُبَاهُ
أسكنَ الأهلَ في البلادِ فأَرْضَى ... فعلُهُ جملَةَ الورى وصفَاهُ
أنشأَ السوقَ والمتاجرَ واشتدَّ ... إقتصادٌ، بأولاد سعيدِ عَطَاهُ
لم يزل طَلَلٌ (بنَهْزُوف) يَدْوي ... وقُصُورٌ تَحُفُّ بيتاً أواهُ
وضريحٌ لزوجهِ زينبٍ بِنْـ ... ـتِ الإمامِ الثعالبيِّ نَهْواهُ
ومُصلَّى الأعيادِ والمسجد الـ ... ـغرّ الذي لليهودِ فخرٌ وجَاهُ
حبّذا حبّذا إمامٌ وشعبٌ ... وبلادٌ للصَّحْوِ تنحُو مَنْحَاهُ
هذا مهدُ العلومِ والعزِّ والفَـ ... ـخرِ فهل ثَمَّ مَن يُريد سَنَاهُ

أ- الملاحـــــق:

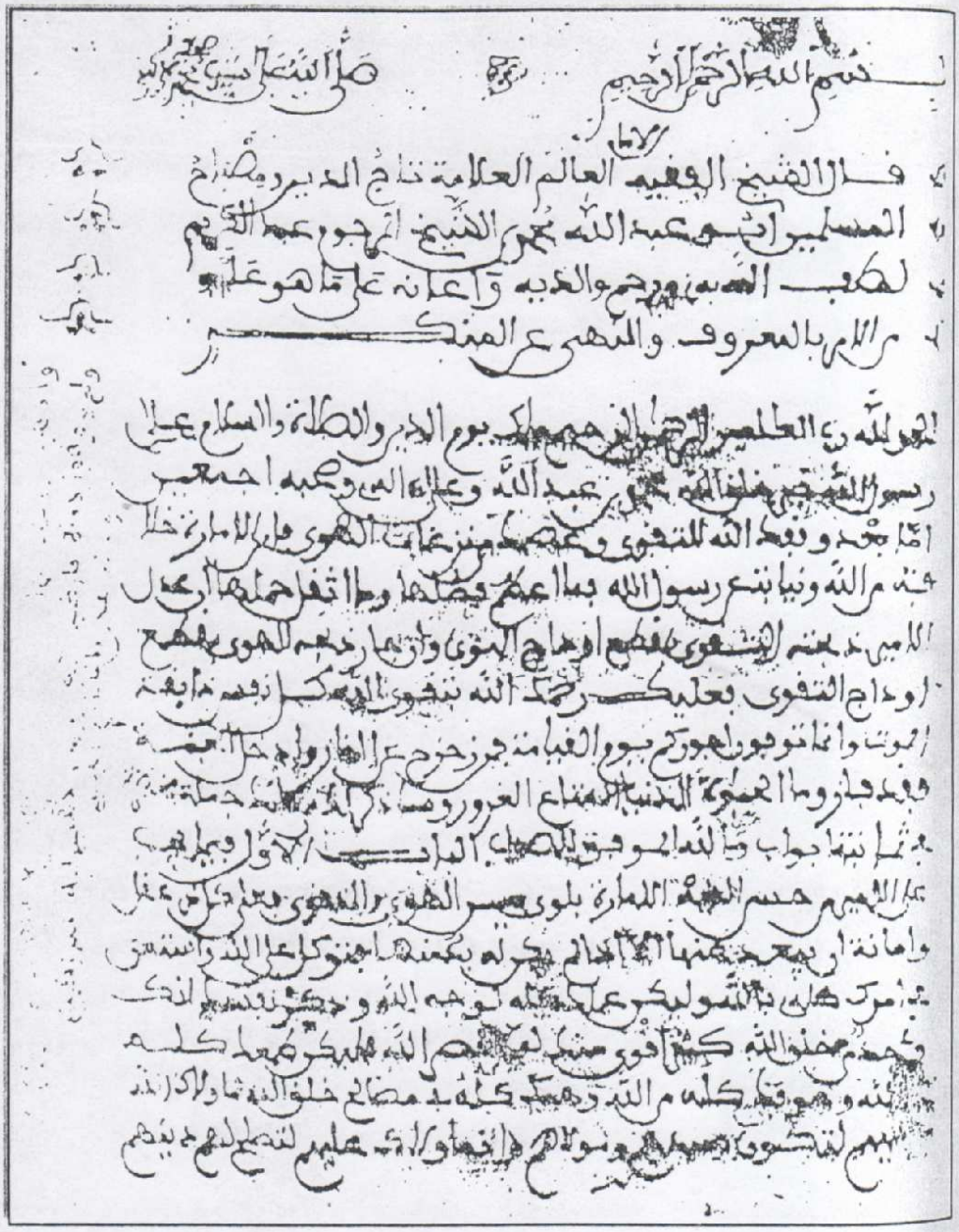

الملحق رقم (01): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:

("رسالة الإمارة" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

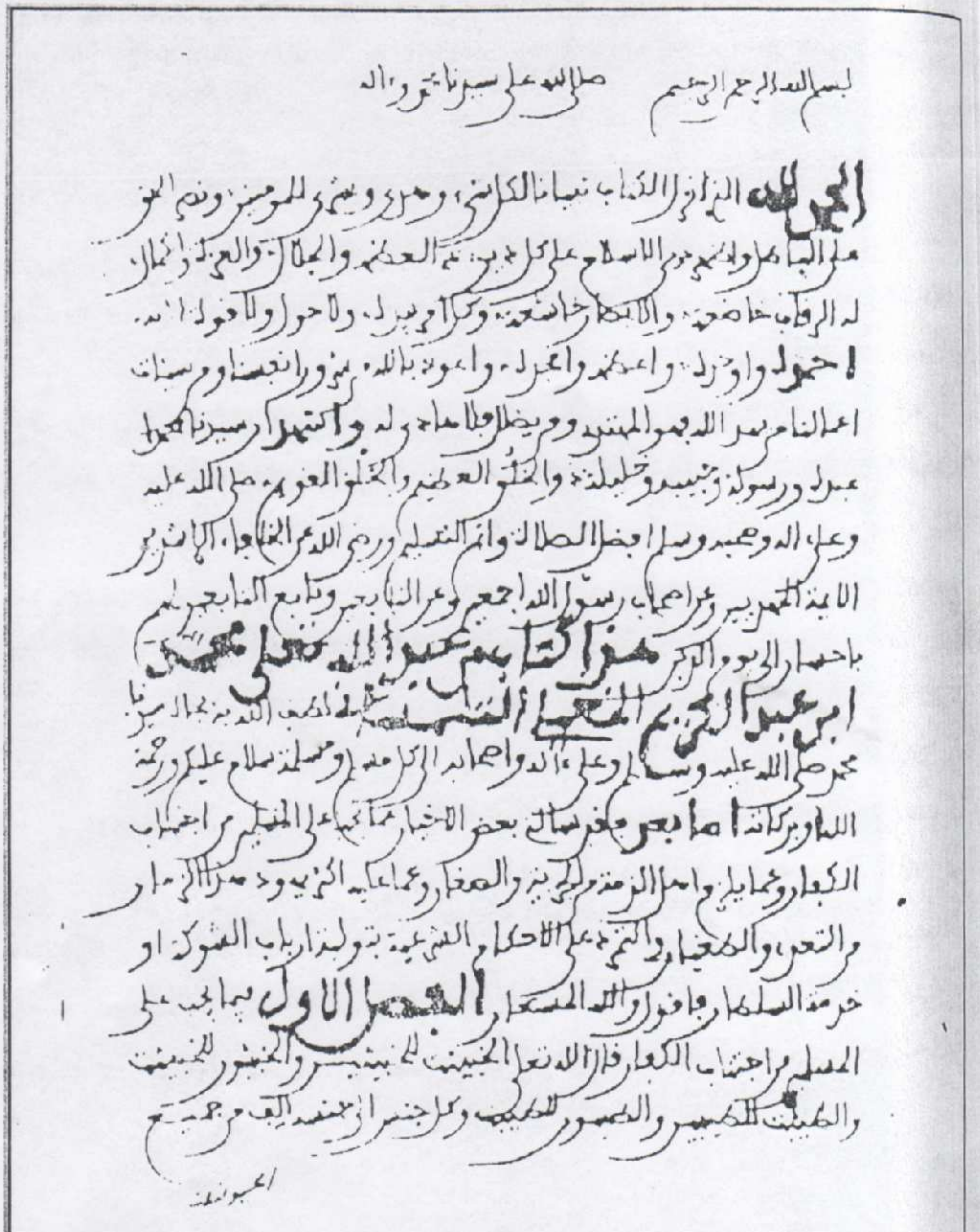

الملحق رقم (03): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:
("رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

مضمون الملحق رقم (03):

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله

الحمد لله الذّي أنزل الكتاب تبيانا لكلّ شيء وهدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحقّ على الباطل، وأظهر هدى الإسلام على كلّ دين، ذي العظمة والجلال، والعزّة والكمال، له الرّقاب خاضعة والأبصار خاشعة، وكلّ أمر بيده، ولا حول ولا قوّة إلاّ به، أحمده وأوحده وأعظّمه وأمجّده وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله، ذو الخلق العظيم، والخلق القويم، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم، ورضي الله عن الخلفاء الرّاشدين، الأئمّة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التّابعين، وتابع التّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. هذا كتاب من عبد الله تعالى محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني، لطف الله به بجاه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وأصحابه، إلى كلّ مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد. فقد سألني بعض الأخيار عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، وعمّا يلزم أهل الذّمّة من الجزية والصّغار، وعمّا عليه أكثر يهود هذا الزّمان من التّعدّي والطّغيان والتّمرّد على الأحكام الشّرعيّة بتولية أرباب الشّوكة أو خدمة السّلطان، فأقول والله المستعان.

«**الفصل الأوّل: فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار**» قال الله تعالى: ﴿الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، وَالطّيبات للطّيّبين، والطّيّبون للطّيبات..﴾[5]، وكلّ جنس إلى جنسه ألف من جميع الحيوانات.

---

[5]- سورة النور، الآية 25.

مضمون الملحق رقم (02):

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله

الحمد لله الذّي أنزل الكتاب تبيانا لكلّ شيء، وهدىً وبشرى للمؤمنين، ونصر الحقّ على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كلّ دين، والصّلاة والسّلام الأتمان على النّور المبين، محمدّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن الخلفاء الرّاشدين، الأئمّة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، ورضي الله عن التّابعين، وتابع التّابعين، لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد. فيقول محمّد بن عبد الكريم، المغيلي التّلمساني لطف الله به: أعاننا الله وإيّاك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من الرّد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وذكرت لي أنّ طائفة من العزائية ببلاد المغرب، بينهم قوم من المالكية، لا قوّة لهم، ولا علم عندهم، وطلبت منّي أن أذكر أدلّة تنصرهم. فاعلم أرشدنا الله وإيّاكم أنّ هدى الله هو الهُدى، ومن يضلل فلا هادي له، ألم تر على قوله عزّ وجلّ لنبيه صلّى الله عليه وسلّم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤمِنُونَ، خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَمَا يُخَادِعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ، فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَّ يَشْعُرُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُومِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4]. فواجب على من قلّده الله أمور المسلمين أن يردع أهل البدع بالعرض على التّوبة، والسّيف أجمعين، حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلاّ على الظّالمين، وهذا هو الأمر اللاّزم، والحكم الجازم في أهل الأهواء والبدع، وإن لم يكونوا كافرين.

---

[4]- سورة البقرة، الآيات 6...13.

الملحق رقم (04): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:
("عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار وعمّا يلزم أهل الذّمّة من الجزية والصّغار"
لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

مضمون الملحق رقم (04):

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله

الحمد لله الذّي أنزل الكتاب تبيانا لكلّ شيء وهدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحقّ على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كلّ دين، والصّلاة والسّلام الأتمان على النّور المبين محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد. فيقول عبد الله تعالى محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني لطف الله به: لقد سألني سائل عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، وعمّا يلزم أهل الذّمّة من الجزية والصّغار، ثمّ ورد عليّ سؤال آخر فيما عليه يهود بعض الأقطار من منع الجزية وإظهار العزّة بقوم كبار. ولمّا رأيت في هذا السّؤال من المسائل ما اندرج فيه مقصد ذلك السّائل، اختصرت على تفصيل جوابه، وإيضاحه، ونصّه بعد بسط افتتاحه: ما تقولون في مسألة قبائل في آخر الصّحراء حيث لا تنالهم أحكام الأمراء، يتّخذهم اليهود أخلاّء، ويُلقّبونهم بالغلائف، فيأوونهم ويترلونهم في قصورهم، ويجعلون الموازين والسّكّة بأيديهم، دون أمير يكون عليهم، فيغشّون المسلمين، ويخونونهم ويجحدوهم شيأهم، ويخدعونهم، ومتى قام عليهم أحد من المسلمين كفّته غلائفهم عنهم، وخاصمته دونهم، حتّى لا يتوصّل إلى أخذ الحقّ منهم، والفرض أنّ هؤلاء الغلائف جهّال ليس، ليس عندهم علم بموجب الجزية، وغيرها من حقوق المسلمين على اليهود، فإذا قيل لهم أنّكم أعنتم اليهود على التّمرّد ومنع الجزية، وإذاية المسلمين، يقولون على هذا أدركنا آباءنا، وعليه أدركت آباؤنا آباءهم، و لم نسمع قطّ من أنكر ذلك، ولا من غيره من الفقهاء، ونحن إن قهرنا اليهود يرحلوا عنّا إلى من يجمعهم فتدركنا المعرة، وتتعطّل أسواقنا. وكان من كيد الطّائفة الملعونة..

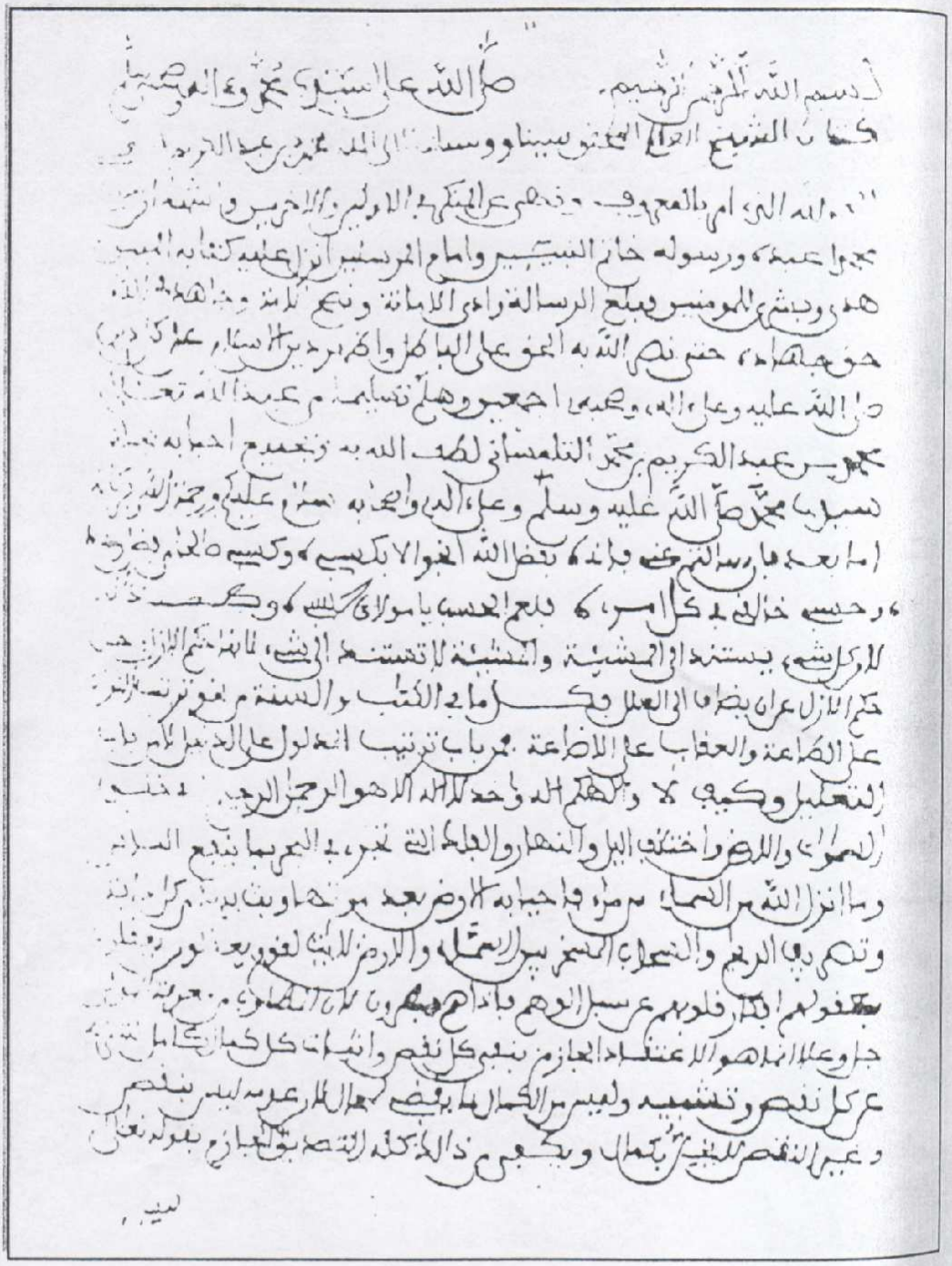

الملحق رقم (05): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:
("مصباح الأرواح في أصول الفلاح" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

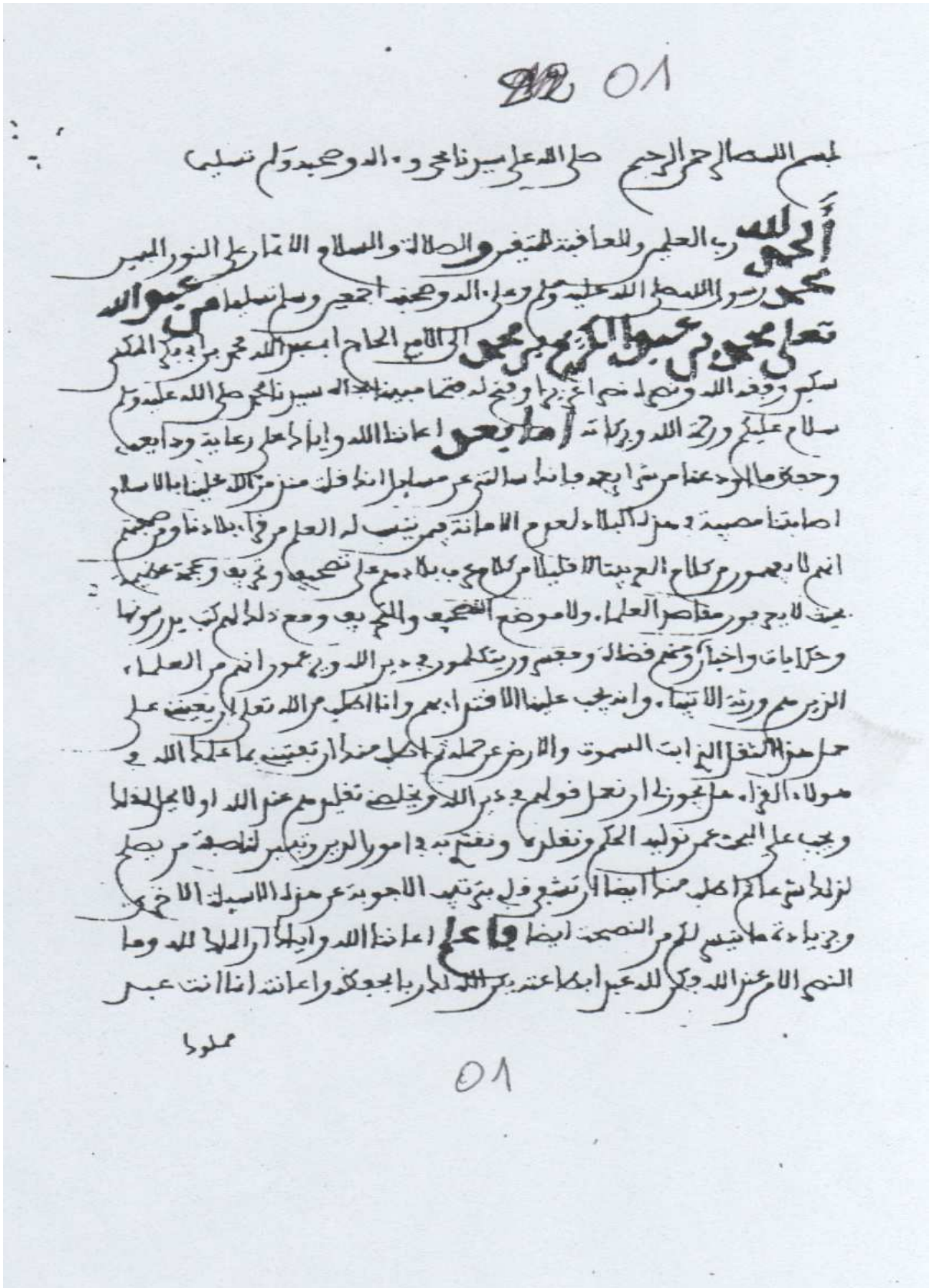

ملحق رقم 06 : الورقة الاولى من مخطوط أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي – و1

مضمون الملحق رقم (05):

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

كتاب الشّيخ العالم المُحقّق سيّدنا ووسيلنا إلى الله محمّد بن عبد الكريم المغيلي

الحمد لله الذّي أمر بالمعروف ونهى عن المنكر في الأوّلين والآخرين، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين أنزل عليه كتابه المبين، هدى وبشرى للمومنين، فبلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة، وجاهد في الله حقّ جهاده حتّى نصر الله به الحقّ على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كلّ دين، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليماً. من عبد الله تعالى محمّد بن عبد الكريم بن محمّد التّلمساني لطف الله به وبجميع أحبابه، بجاه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وأصحابه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أمّا بعد.

فإن سألتم عنّي فإنّي بفضل الله أنجو إلاّ كسبي، وكسبي صالحاً من فضل ربي وحسبي خالقي في كلّ أمري، فنعم الحسب يا مولاي حسبي، وكذلك لأنّ كلّ شيء يستند إلى المشيئة والمشيئة لا تستند إلى شيء لأنّها حكم الأزل، وجلّ حكم الأزل عن أن يضاف إلى العلل، فكلّ ما في الكتب والسّنّة من نحو ترتيب الثّواب على الطّاعة، والعقاب على الإضاعة، فمن باب ترتيب المدلول على الدّليل لا من باب التّعليل، وكيف لا وإلهكم إله واحد لا إله غلاّ هو الرّحمن الرّحيم أنّي خالق السّماوات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والفلك التّي تجري في البحر بما ينفع النّاس، وما أنزل الله من السّماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها، وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسّحاب المسخّر بين السّماء والأرض لآيات لقوم يعقلون، يعقلون بعقولهم أفكار قلوبهم عن سبل الوهم، فإذا هم مبصرون، لأنّ المطلوب من معرفة المولى جلّ وعلى إنّما هو الاعتقاد الجازم بنفي كلّ نقص وإثبات كلّ كمال كامل التّتريه عن كلّ نقص وتشبيه وليس من الكمال ما يقتضي لمحال لأنّ عدمه ليس بنقص وغير النّقص لا يخلّ بكمال ويكفي من ذلك كلّه التّصديق الجازم بقوله تعالى

مضمون الملحق رقم (01):

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم

قال الشّيخ الفقيه الإمام العالم العلاّمة تاج الدّين ومصباح المسلمين أبو عبد الله محمّد بن الشّيخ المرحوم عبد الكريم، لطف الله به، ورحم والديه، وأعانه على ما هو عليه من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

﴿الحَمْد لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1] والصّلاة والسّلام على رسول الله خير خلق الله محمّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد. وفّقك الله للتّقوى وعصمك من نزغات الهوى، فإنّ الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله، فما أعظم فضلها وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذبحته التّقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التّقوى، فعليك رحمك الله بتقوى الله ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ، وَإِنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَمَا الحَيَاةُ إِلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾[2]. وسأذكر لك ( )[3] جملة مختصرة في ثمانية أبواب، والله المُوفّق للصّواب:

«**الباب الأوّل: فيما يجب على الأمير من حسن النّيّة**»: الإمارة بلوى بين الهوى والتّقوى، فعلى كلّ ذي عقل وأمانة أن يبعد عنها إلاّ إذا كان لم يكن له بدّ منها، فتوكّل على الله، واستعن في أمرك كلّه بالله، وليكن عملك كلّه لوجه الله، وذكّر نفسك إنّك واحد من خلق الله، كثير أقوى منك لنصر الله، فليكن طمعك كلّه من الله، وخوفك كلّه من الله، وهمّك كلّه في مصالح خلق الله، ما ولاّك الله عليهم لتكون سيّدهم ومولاهم، وإنّما ولاّك عليهم لتصلح لهم دينهم.

---

[1]– سورة الفاتحة، الآيات1...4.

[2]– سورة آل عمران، الآية 185.

[3]– كلمة غير مفهومة.

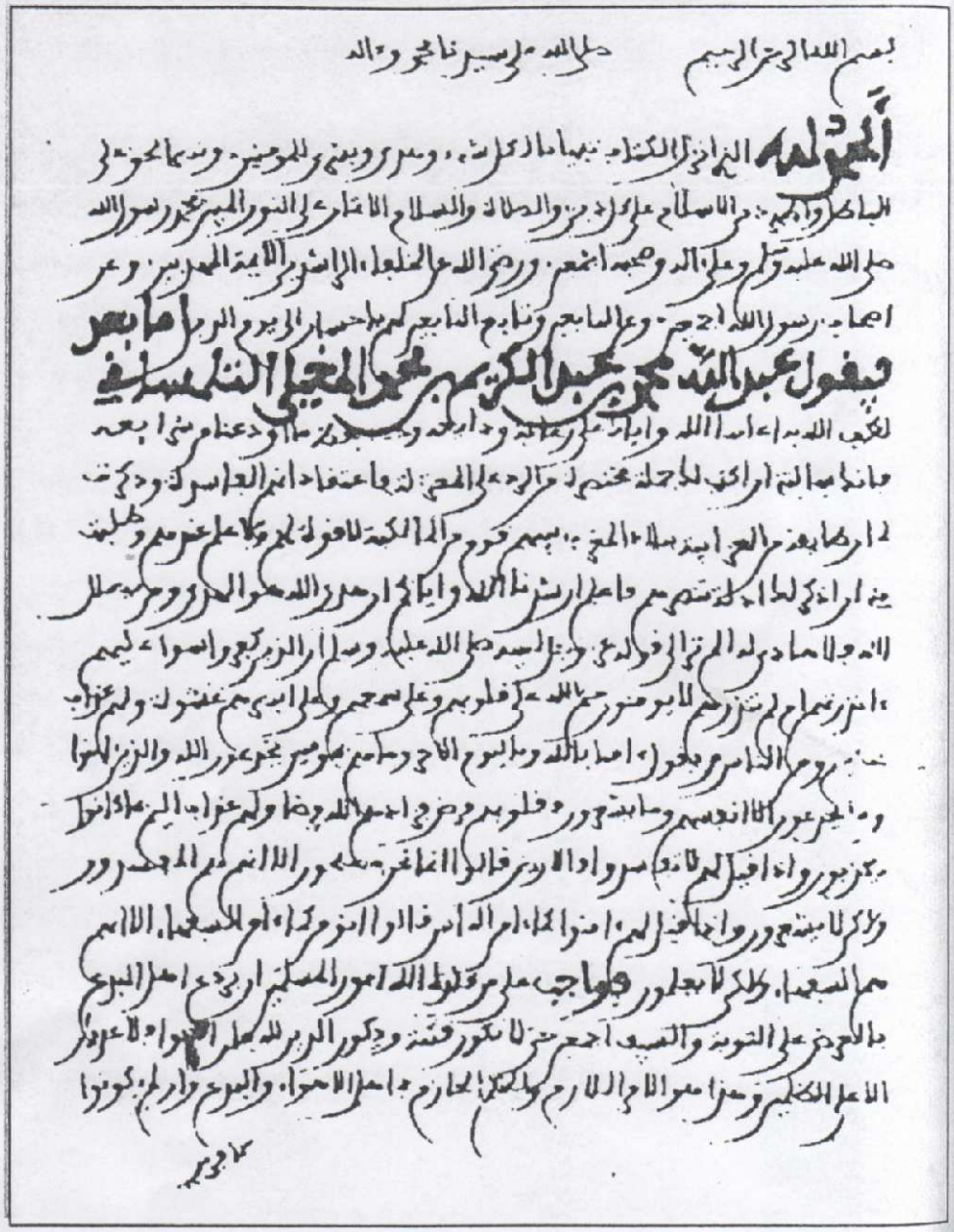

الملحق رقم (02): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:
("رسالة الرّدّ على المُعتزلة" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

ب- الخرائـــــــط:

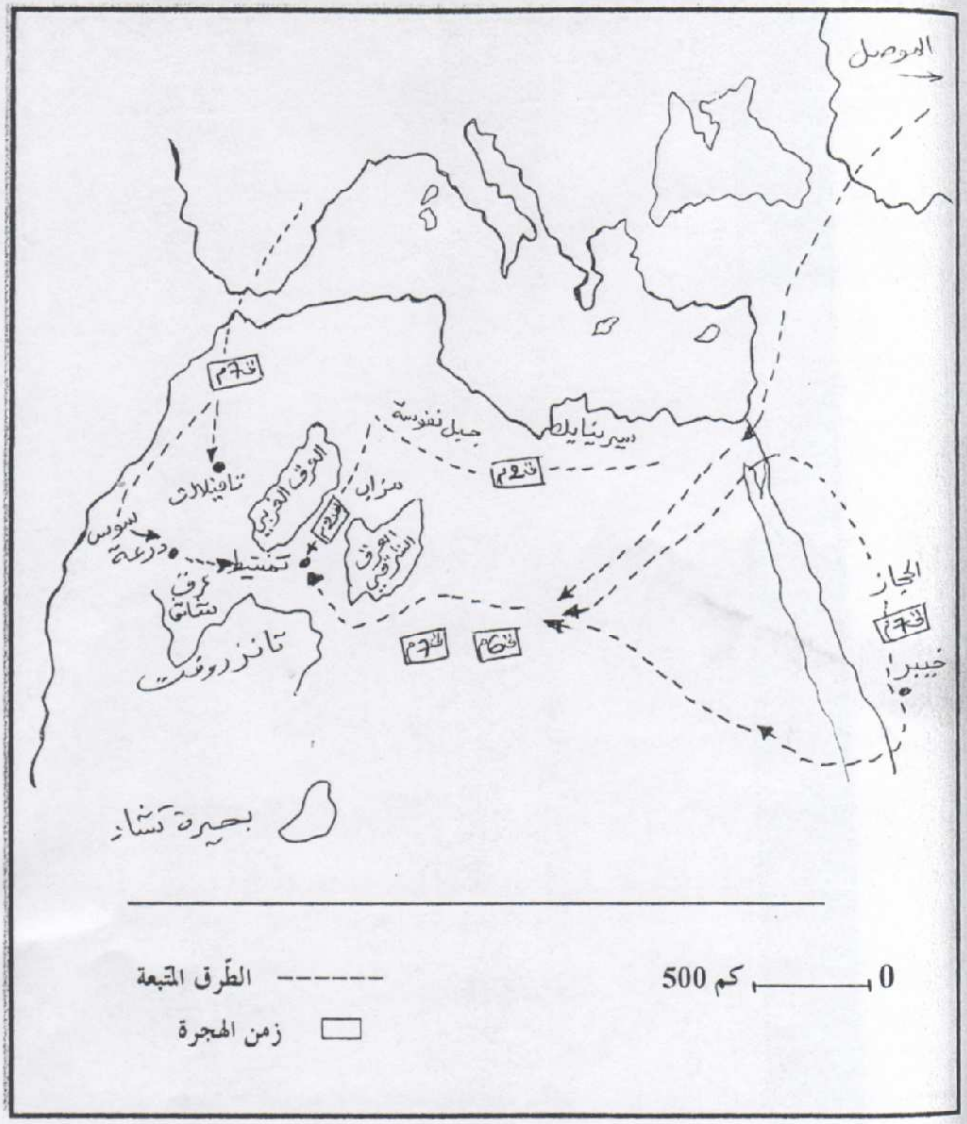

خريطة رقم 01: تمثّل الهجرات اليهوديّة إلى توات(الأصول، الزّمن والطّرق المُتبعة)

ينظر: -Jacob Oilil, Les Juifs au Sahara ,P: 14 -15.

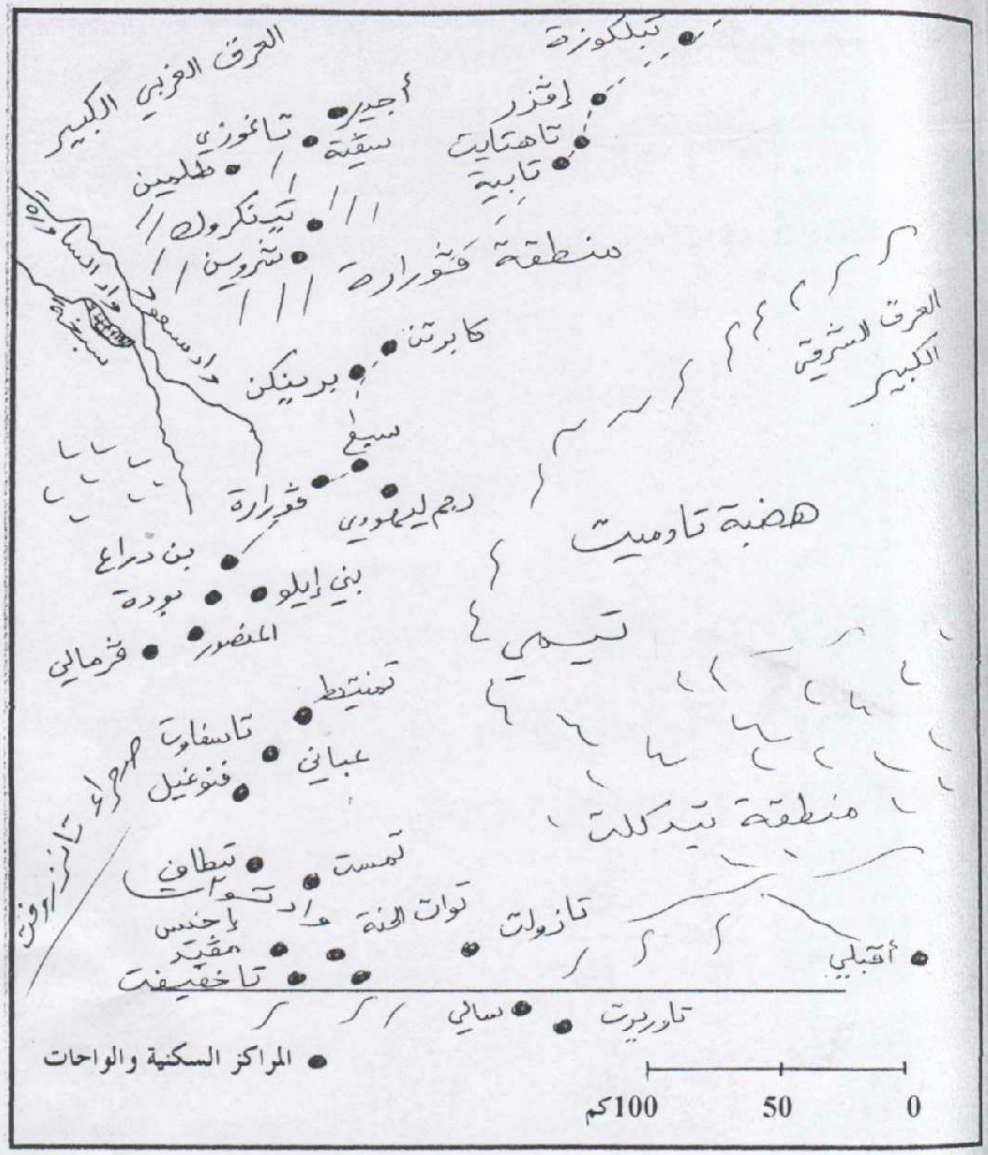

خريطة رقم 02: تمثل القرى والواحات اليهودية بتوات في القرون الوسطى

ينظر: Jacob Oilil, Les Juifs au Sahara ,P: 140-

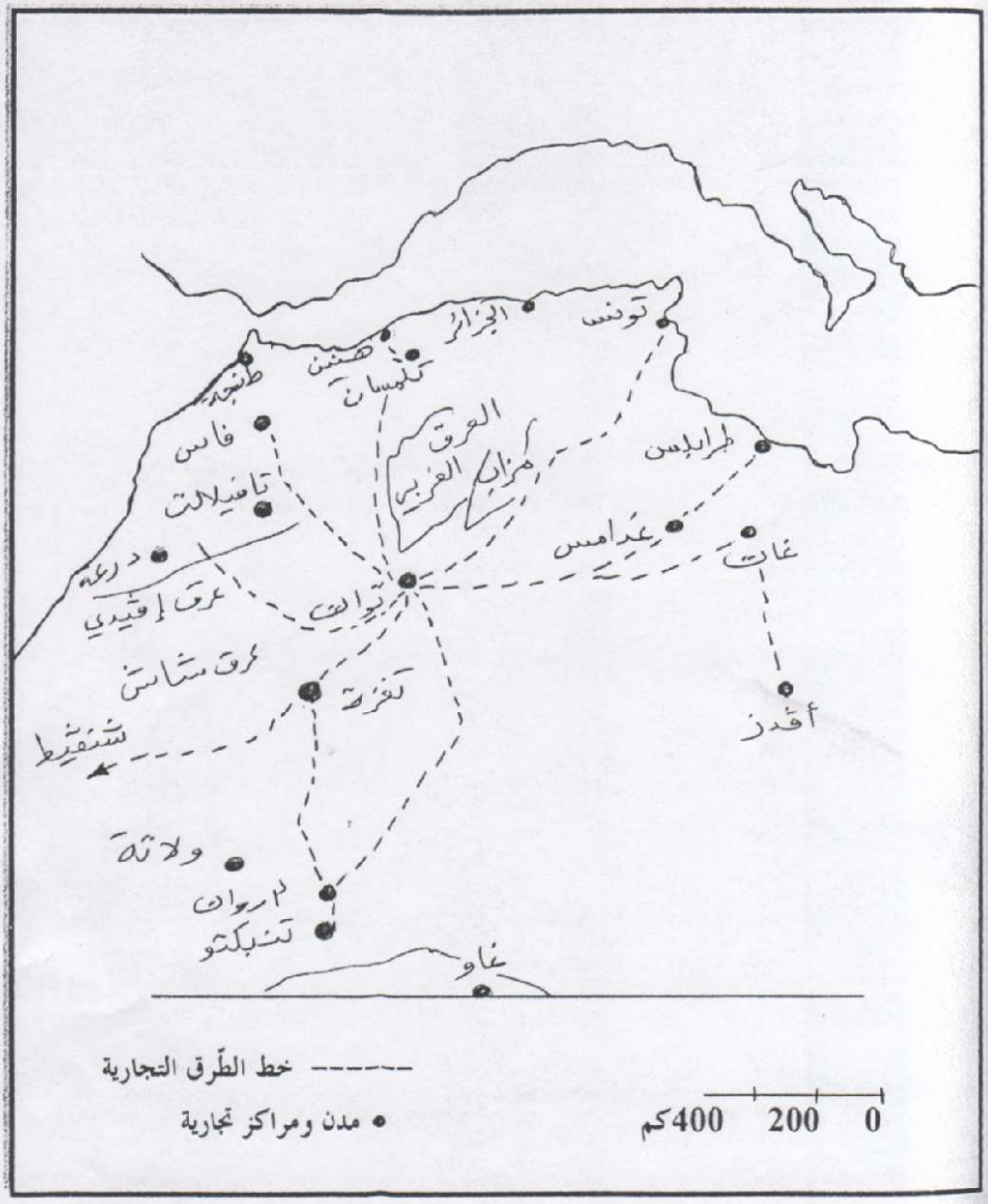

خريطة رقم 03: تمثّل التجارة المغربية الإفريقيّة وطرقها الصّحراويّة في القرون الوُسطى

ينظر: Jacob Oilil, Les Juifs au Sahara ,P: 57.

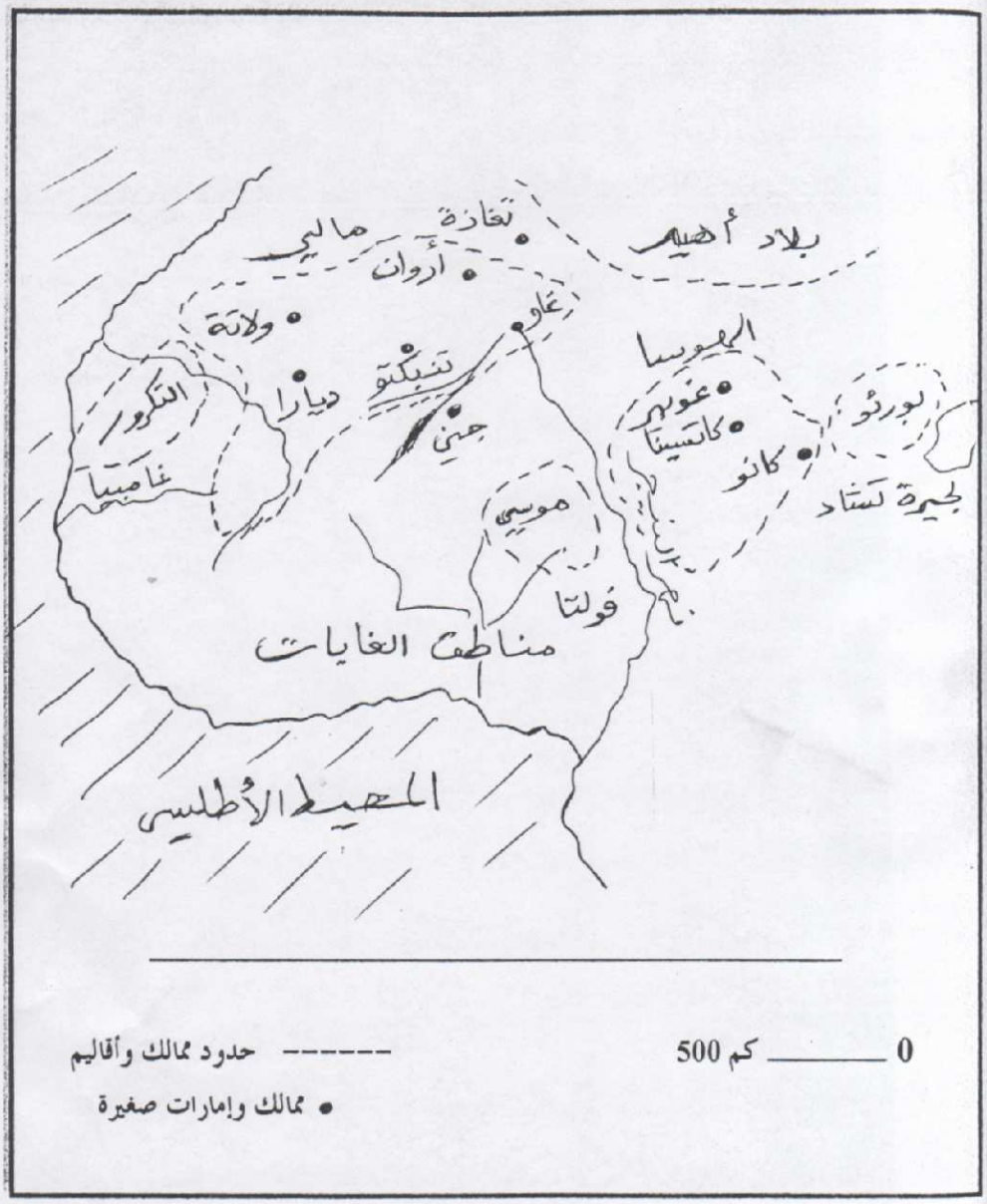

خريطة رقم 04: تمثّل ممالك السّودان الغربي في القرن الثّامن الهجري(14م)

ينظر: عبد القادر زبايدية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، ص: 27.

قبر السيدة زينب بنت الثعالبي زوجة الإمام المغيلي – موجود بقصر كالي أولاد سعيد

قبر ابن المغيلي علي المشهور بالزيعلي الموجود بقصر كالي أولاد سعيد

الخلوة التي كان يتعبد بها الإمام المغيلي بأولاد سعيد

مصلى العيدين الذي أسسه الإمام المغيلي بأولاد سعيد

الكرسي الذي كان يجلس عليه الإمام المغيلي في وسط السوق - أولاد سعيد

مسجد الإمام المغيلى بعد إعادة بنائه بأولاد سعيد

مخزن الأسلحة المعروف بأكري الموجود بتمنطيط

جواب السنوسي الذي بعثه للإمام المغيلي في قضية يهود توات

الباب القديمة لضريح الإمام المغيلي زاوية الشيخ

مسجد الإمام المغيلي بوعلي

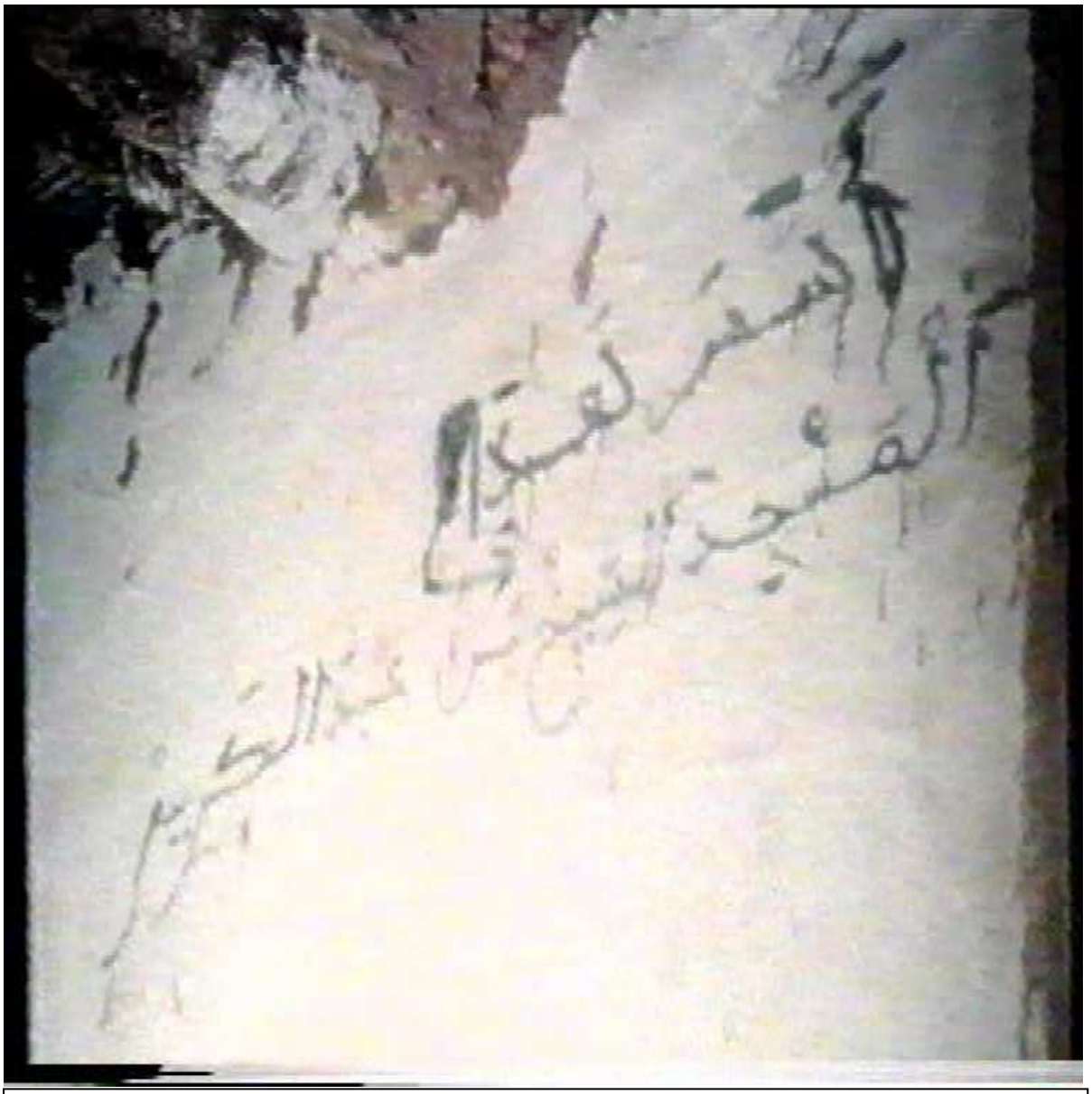

موجودة بمسجد الإمام المغيلى القديم بأولاد سعيد

مسجد الإمام المغيلي القديم بأولاد سعيد

ضريح الإمام المغيلى من الداخل زاوية الشيخ

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المخطوطات:

1. رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ، نسخة موجودة بخزانة الإمام المغيلي بزاوية الشيخ زاوية كنتة ادرار .

2. عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الزمة من الجزية والصغار ، نسخة مصورة لخزانة الشيخ شاري الطيب كوسان تيمي أدرار

3. مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، نسخة مصورة من خزانة شاري الطيب كوسان تيمي أدرار.

4. رسالة الرد على المعتزلة نسخة موجودة بخزانة الإمام المغيلي بزاوية الشيخ زاوية كنتة ادرار .

5. رسالة الإمارة بخزانة الإمام المغيلي بزاوية الشيخ زاوية كنتة ادرار .

6. المغيلي- أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي- مخطوط- بخزانة الإمام المغيلي بزاوية الشـــيخ زاوية كنتة ادرار.

7. المغيلي- منح الوهاب في ردّ الفكر إلى الصواب- بخزانة الإمام المغيلي بزاوية الشـــيخ زاوية كنتة ادرار.

8. محمد بن عبد الكريم التمنطيطي- التقييد- و1ظ.

9. مولاى احمد الإدريسي- نسيم النفحات ذكر جوانب من اخبار توات .مخطوط . خزانة الشارى .كوسان.

10. رسالة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام – مخطوطة موجودة بخزانة أحفاد الشيخ المغيلي زاوية الشيخ أدرار

11. الرسالة الإستخلافية لابنه عبد الجبار موجودة في مخطوط أضواء على اقليم توات لمحمد بن عبد الكريم البكري.

قائمة المصادر المطبوعة:

1. ابن بطوطة –تحفة الأنظار في غرائب الأمصار –ت محمد عبد الرحيم ، بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، سنة 2003م .
2. ابن بطوطة –رحلة ابن بطوطة –دار صادر بيروت–د ع س.
3. ابن خلدون – المقدمة– بيروت:دار الجيل –د ع س –.
4. ابن عساكر– دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر–ت محمد حجي –الرباط–ط2–1997م–.
5. ابن منظور –لسان العرب – دار صادر – بيروت –ط1، ج1
6. أبو سالم العياشى– الرحلة العياشية (مائداالموائد)–ج1 ت: محمد حجى –1977م المغرب.
7. احمد بابا التنبكتي –نيل الابتهاج بتطريز الديباج –ت علي عمر –القاهرة ط 1– 2004–ج2.
8. أميل يعقوب– قاموس المحيطات اللغوية والأدبية– ط1 فبراير1987– دار العلم للملايين– بيروت– .
9. ديشال عاصي– اميل بديع يعقوب– المعجم المفصل في اللغة والأدب– ج1– دار العلم للملايين– بيروت– ط1987،1–.
10. المعجم العربي الأساسي بمؤسسة لاروس 1989م.
11. محمد بن محمد مخلوف– شجرة النور الذكية في طبقات المالكية – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – د ط ع س .
12. الونشريسي أحمد بن يحي – المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والمغرب – ت مجموعة من الدكاترة بإشراف محمد حجي بيروت ، دار الغرب الإسلامي د ع س.
13. ابن مريم أبو عبيد الله محمد ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ع ، سنة 1986م

قائمة المراجع:

14. ابن عاشور محمد الطاهر – تفسير التحرير والتنوير ج18 تونس 1984م .
15. إبن عبد الرحيم- القول البسيط في أخبار تمنطيط- ت"فرج محمود فرج"-الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية -د ع -1977م ..
16. أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- بيروت ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، سنة 1998م.
17. أبو بكر إسماعيل ميقا- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من400هـ إلى 1100هـ -مكتبة التوبة -ط 1 -.
18. أبو بكر إسماعيل ميقا- من أعلام الإسلام في نيجيريا- مجلة الفيصل-ع280-سنة 2000- .
19. أبو بكر بن الحسن بن دريد- جمهرة اللغة- ج2- دار العلم للملايين- ط1- .
20. أبي البقاء بن موسى الحسنين الكفوي- الكليات- ط2،1993- مؤسسة الرسالة بيروت .
21. أبي الغيض مرتضى الواسطي الزبيدي- تاج العروس- م14- ط2، 1994- دار الفكر.
22. أحمد العملي حمدان- رسالة المغيلي في اليهود- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – فاس – العدد 06 سنة 1983.
23. أدم عبد الله الألوري- الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا- مطبعة مصطفى البابي- القاهرة 1974.
24. بوساحة- أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر- دار هومة- الجزائر 2002-
25. البيانوني محمد ابو الفتح – المدخل الى علم الدعوة – مؤسسة الرسالة – بيروت ط3- 1995م.
26. جمعة امين عبد العزيز – الدعوة قواعد وأصول .
27. د.احمد علوش:الدعوة الإسلامية – دار الكتاب المغربي – ط1،1987م.

28. رابح بونار-مصباح الأرواح في أصول الفلاح –الطباعة الشعبية للجيش الجزائر 2007.
29. الرازى محمد بن ابي بكر عبد القادر – مختار الصحاح –ت محمود خاطر – مكتبة لبنان بيروت ط1 -1999م .
30. الصديق حاج احمد- التاريخ الثقافى لإقليم توات ، من ق11الى ق14هـ، ادرار ، مديرية الثقافة ، ط1، سنة 2003م
31. عبد الحليم محمد الرمحى –مفاهيم في فقه الدعوة وأساليبها –دار الحامد للنشر والتوزيع –ط2002،1.
32. عبد الحليم منتصر، عطية العرابي-المعجم الوسيط- ج1- ط6-.
33. عبد الرب عبد النبي ابو السعود- الخطيط للدعوة الاسلامية واهميته .
34. عبد الرحمان الحيلالي -تاريخ الجزائر العام-ديوان المطبوعات الجامعية -ط 07-- 1994-.
35. عبد الرحمان السعدى ،تاريخ السودان- طبعة هوداس- باريس1964-.
36. عبد الرحمن بن عبد الحي الجوزي- ذاكرة الماضي في تاريخ أولاد القاضي- معد للطبع- .
37. المغيلي –رسالة في اليهود: ت :عبد الرحيم بنجادة-عمر بنميرة.ط1 2005 – دار قرفي للطباعة والنشر .
38. عبد القادر زبايدية- الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء- دراسات ونصوص- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989- .
39. عبد القادر زبايدية- مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 /1591- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-.
40. عبد اللطيف محمد العيد – مناهج البحث العلمى – بيروت ط2-.
41. عبد العزيز الفشتالى –مناهل الصفا في ماثر موالين الشرفاء –ت –د: عبد الكريم كريم –مطبوعات وزارة الأوقات –المعرب 1972.

42. غيتاوي مولاي التهامي –سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي توات- أدرار – المطبعة الحديثة للفنون المطبعية ، ط1 ، سنة 1981م.
43. فتحي يكن – الإسلام (فكرة ، حركة ، انقلاب).
44. فرج محمود فرج-اقليم توات خلال القربين18 .19م- الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعية ، دع ، سنة 1977م.
45. فوزي سعد الله- يهود الجزائر هؤلاء المجهولون- الجزائر- شركة دار الأمة- د.ع- سنة1996م-.
46. مبروك مقدم - أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر الأسقيا الكبير- دار الغرب-.
47. محمد أبو الفتح البيانوتى –المدخل إلى علم الدعوة :دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل – مؤسسة الرسالة بيروت –ط3.
48. محمد الخضر - الدعوة إلى الإصلاح / على محفوظ – هداية المرشدين .
49. محمد الغزالي – مع الله
50. محمد أمين حسين – خصائص الندوة الاسلامية.
51. محمد سالم -تأثير الأزمات التاريخية والإقليمية في حياة الشيخ العلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي-مخطوط -.
52. محمد عبد الحميد – تحليل المحتوى في بحوث الاعلام – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر – ط1 -.
53. مسعود جيران- الرائد- ط6- دار العلم للملايين- بيروت لبنان- م1- .
54. مقدم مبروك -الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال مصادر والوثائق التاريخية- مؤسسة الجزائر للطباعة والنشر والتوزيع- ط1-2002.
55. مقدم مبروك-الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية- خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة- دارا لغرب للنشر والتوزيع- ج1-ط2002.

56. نور الدين حاج احمد- الجانب العلمي للإمام المغيلي ، مذكرة تخرج للمعهد الإسلامي بعين صالح ، سنة 2002م.
57. يحي بوعزيز- أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة- ج2- .
58. يحي بوعزيز -تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر -د ط -.

رسائل الماجستير

1. بن نيني شعيب – قواعد الدعوة الى الله من خلال القصص القرآني ماجستير الدعوة – جامعة الامير – 1995 _1996م.
2. بوعلام جوهرى – البعد الدعوى في اعمال مولود قاسم نايت بلقاسم –رسالة ماجستير في الدعوة والاعلام - جامعة الامير قسنطينة – 2002م .
3. بوغرارة منيرة -محمد بن عبد الكريم المغيلي -ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا-ماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر-جامعة الأمير عبد القادر كلية الآداب والعلوم الإنسانية-قسم التاريخ تحت إشراف الدكتور احمد صاري.
4. سهيلة عظيمى – منهجية التجديد عند ابي الاعلى المودودى – ماجستير الدعوة والأعلام – جامعة الامير 2001م.
5. الشيخة ورغى – البعد الروحى في منهج الدعوة عند بديع الزمان سعيد النورسى- رسالة ماجستير – دعوة واعلام .
6. عليق ريحة نايت –قصر ملوكة –دراسة تاريخية واثرية –ماجستير قسم الاثار كلية العلوم الانسانية –بجامعة الجزائر 2002 .
7. ميلود رحالى – القصور المنهجى في العمل الدعوى في نظر الشيخ محمد الغزالى – ماجستير الدعوة والاعلام- جامعة الحاج لخضر2007، 2008م.
8. حسين حاجو –حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر –ماجستر –معهد التاريخ جامعة الجزائر -1994-.

9. أحمد الحمدي- محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره-رسالة ماجستر في التاريخ والحضارة الإسلامية -كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- عام 1999-2000.

10. ياسين شبايبي- الفكر السياسي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودعوته الإصلاحية بتوات والسودان الغربي -رسالة ماجستر في التاريخ والحضارة الإسلامية- بإشراف :الدكتورة جهيدة بوجمعة (نوقشت بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- بجامعة وهران -الموسم الجامعي 2006-2007).

مقال:

1. أحمد جعفري – حوار الإمام المغيلي مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة المد الإسلامي في إفريقيا-مقال- مجلة العلوم الإنسانية- جامعة غرب كردفان- جمهورية السودان 2010.

السمعي البصري :

1. الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني رائد النهضة العلمية الإصلاحية والجهادية بقصور توات، ودور علمائها في نشر الإسلام بإمارات وممالك إفريقيا خلال القـــــرن 9هـــ 15م.

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل التمهيدي: تحديد مفاهيم الدراسة 01

تعريف الدعوة.....02

الدعوة لغة.....02

المعنى الإصطلاحى.....04

المنهج.....08

المعنى اللغوي:.....08

المعنى الاصطلاحي :.....09

أهمية المنهج :.....10

المنهج عند العلماء المعاصرين.....10

أنواع المناهج الدعوية.....11

الرسالة.....11

الرسالة لغة.....12

اصطلاحا.....12

السودان الغربي.....14

التعريف بمنطقة توات:.....17

الفصل الأول: ترجمة الإمام المغيلي.....

المبحث الأول: حياته ونشأته.....26

نسبه 26

مولده:.....27

نشأته:.....27

علماء عصره.....28

شيوخـــه:.....30

تلاميذه.....31
المبحث الثاني: الإمام المغيلي في توات.....
دخول المغيلي إلى توات.....36
المغيلي في أولاد سعيد.....37
المغيلي في تمنطيط.....41
دور الإمام المغيلي الجهادي في توات.....45
زاوية الإمام المغيلي ببوعلي ودورها.....47
المبحث الثالث: المغيلي في السودان الغربي :.....50
أهم المناطق التي دخلها في السودان الغربي.....51
تأثر العلماء بالإمام المغيلي:.....55
المغيلي و السيوطي.....58
آخر أيام المغيلي في بلاد السودان.....59
الفصل الثاني: دراسة رسائل الإمام المغيلي.....
المبحث الأول: وصف لرسائل الامام المغيلي.....61
رسالة إلى كل مسلم ومسلمة.....61
رسالة المغيلي لأمير كانو في شوؤن الإمارة:.....63
أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:.....64
رسالة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام:.....64
الرسالة الإستخلافيه لابنه عبد الجبار:.....66
رسالة مصباح الأرواح في أصول الفلاح:.....68
رسالة: الرد على المعتزلة.....69
فصل الخطاب في ردّ الفكر إلى الصواب.....71
المبحث الثاني: وسائل الدعوة والإصلاح عند الإمام المغيلي من خلال رسائله.....
الرسائل والمراسلات:.....75
الخطابة.....81

التأليف والتنظير:.....86
الرحلات.....90
المناظرات.....98
المبحث الثالث: مرجعيات التأصيل الشرعي للدعوة والإصلاح عند المغيلي من خلال رسائله
القرءان الكريم 103
الأحاديث النبوية.....109
أقوال العلماء.....110
الشعر.....112
الحكم.....116
الإحالة على الكتب.....117
الفصل الثالث: المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال رسالتيه: رسالة إلى كل مسلم ومسلمة– أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي .....
المبحث الأول رسالة إلى كل مسلم ومسلمة.....122
تحليل مختصر للرسالة 122
الأدلة التي اعتمد عليها المغيلي في فتواه.....127
منهج الإمام المغيلي في طرد اليهود.....132
قراءة في ردود العلماء الرافضة لرأي المغيلي.....139
المبحث الثاني: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي 146
أهمية الأسئلة والأجوبة التاريخية والعلمية على الصعيدين السياسي والاجتماعي.....148
أهم المسائل التي أجاب عنها المغيلي في هاته الرسالة.....151
منهج الإمام المغيلي في الإجابة عن الأسئلة وإعطاء الحلول.....158
التأثيرات الإيجابية والسلبية للأسئلة والأجوبة على الصعيدين السياسي والاجتماعي...168
خاتمة.....173
ملخص البحث 177
التعريف بالأعلام 182

الملاحق والخرائط والصور 190
قائمة المصادر والمراجع 216
فهرس المحتويات 223